AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

سَنسحَقُ أوهامَكُم

الهدف - فلسطين - العدد 75 (1549) - أيلول / سبتمبر 2025

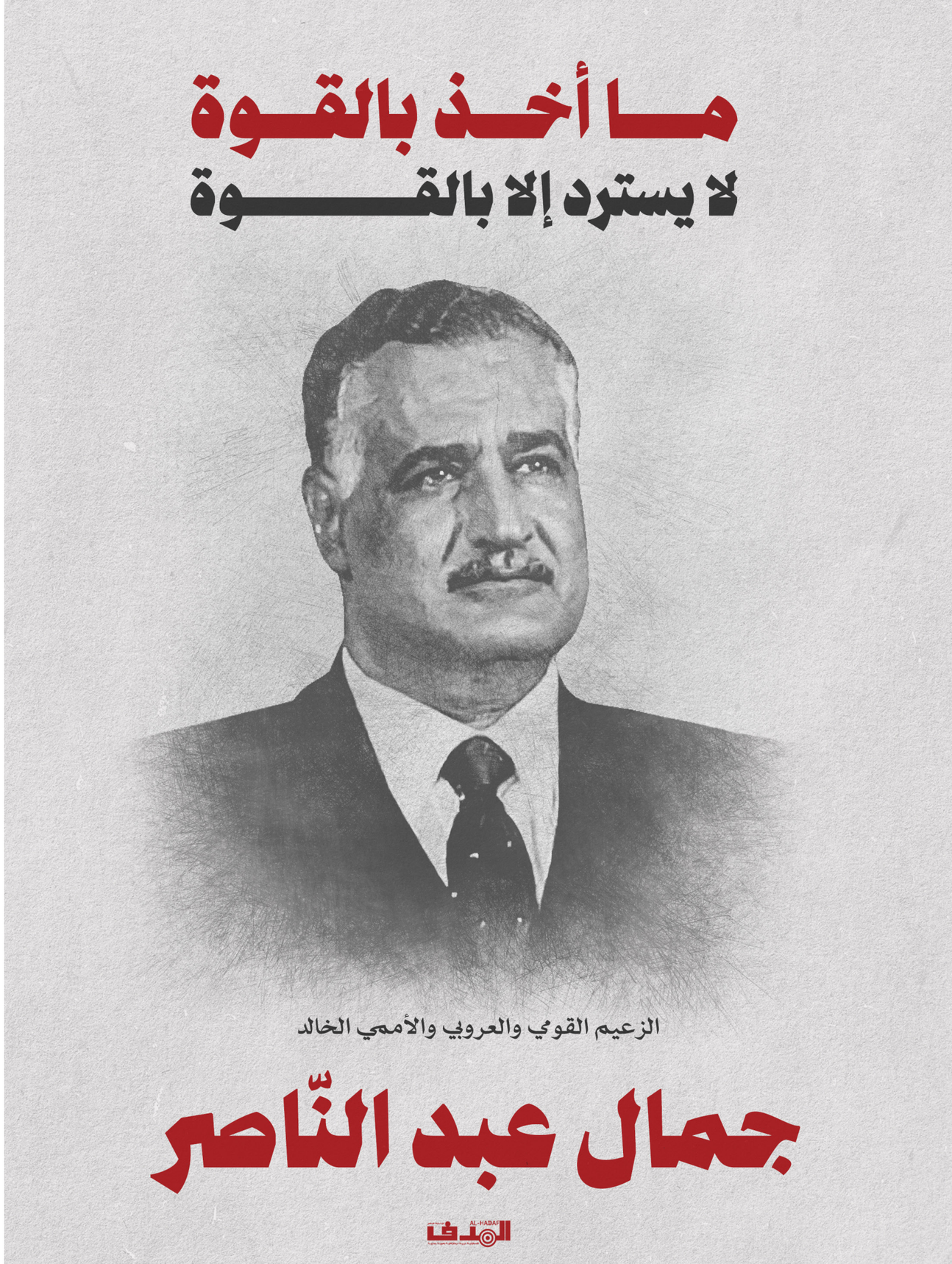

الافتتاحية

من سيوقف العدوان الصهيوني إذاً؟؟

شهد العالم حراكاً سياسياً واسعاً ومكثفاً عشية وأثناء اجتماعات الأمم المتحدة التي تأتي مع الذكرى الثمانين لتأسيسها. سبق ذلك اجتماع لمجلس الأمن لمناقشة الأوضاع في قطاع غزة، وتم التصويت على مشروع قرار لوقف الحرب، نال موافقة أربع عشرة دولة واصطدم بالفيتو الأمريكي الذي عطل القرار.

انعقد مؤتمر حل الدولتين في نيويورك بدعوة ورعاية فرنسية وسعودية في شهر يوليو/ تموز الماضي، ثم في أيلول على هامش دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبغض النظر عن بعض مقرراتها المجافية لكفاح الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية، إلا أنهما دعيا إلى وقف الحرب على غزة والاعتراف بالدولة الفلسطينية، طبعاً في ظل مقاطعة أمريكا والكيان الصهيوني لكلا المؤتمرين. انتهى المؤتمر الأخير بإعلان إحدى عشرة دولة اعترافها بدولة فلسطين، منها دول كبرى مثل فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال وكندا وأستراليا..

تلا ذلك اجتماع للرئيس الأمريكي ترامب مع بعض قادة الدول العربية والإسلامية نتج عنه وعود أمريكية كاذبة (مبادرة ترامب) للعمل على وقف إطلاق النار في غزة وإطلاق «الرهائن» الإسرائيليين المحتجزين في غزة دون شروط، إضافة لطمأنة الجميع بعدم تكرار ما حصل من ضربات إسرائيلية للعاصمة القطرية الدوحة في أية دولة من دول المنطقة، المقصود هنا الدول الحليفة أو الصديقة للولايات المتحدة الأمريكية.

بدأت الأمم جلساتها وتتالت كلمات وخطابات الرؤساء والزعماء والوزراء التي تناولت الكثير من الهموم المحلية والإقليمية لكل بلد والأوضاع الدولية وضرورة الالتزام بالقانون الدولي، أما غزة فقد حظيت بالمكانة المميزة من التضامن، والتأكيد على ضرورة وقف الحرب أو الإبادة ورفع الحصار وتسهيل دخول المساعدات، ووضع حد للقتل والتجويع ورفض التهجير، والتأكيد على حق الفلسطينيين بالعيش بدولة مستقلة وبأمن وكرامة. رغم الإشارة في عدد من الكلمات إلى إدانة عملية السابع من أكتوبر، وما رافقها من «قتل واحتجاز الرهائن الإسرائيليين».

أكد الرئيس الأمريكي ترامب في كلمته المطوّلة التي غلب عليها تعابير الرجل المقرّر والمتحكم بمصير العالم، على رؤيته المنحازة للكيان الصهيوني حول شروط وقف الحرب في غزة، وكذلك حول مستقبل المنطقة والشرق الأوسط، عدا عن القضايا العالمية الأخرى بما في ذلك أوكرانيا.

وتبقى غزة رغم كل ما تعانيه من جرائم قتل ودمار وإبادة جماعية ومحاولات الاقتلاع والتهجير، بعينها تقاتل وتحاصر المجرم الصهيوني العنصري والفاشي نتنياهو في كل العالم، وتجلى ذلك بحجم الإدانات واللعنات وحجم الاعترافات بالدولة الفلسطينية، ومقاطعة معظم الوفود ورفض سماع كلمته في الأمم المتحدة، ومغادرتهم القاعة لمجرد دخوله لها.

نعم غزة تباد ولكنها تقاتل وتطارد المجرمين أينما كانوا، وأينما حلّوا، دماء غزة تصرخ بالحق الفلسطيني وتحفظه وتعليه لينال تأييد شعوب العالم، والكثير من دوله وحكوماته وبرلمانييه ...

فرضت غزة على بعض زعماء الدول الغربية التأهب وإرسال السفن لنجدة ما يمكن أن يواجهه أبطال وأحرار الأسطول البحري المتضامنين مع أهل غزة والقادمين انتصاراً للحق، وتقديم المساعدات الإغاثية وخرق الحصار الظالم عليهم من قبل مجرمي الحرب الصهاينة.

إن فائض القوة عند الكيان الصهيوني، وضعف قوة الردع يجعلانه يتمادى ويتغول في إجرامه وعدوانه إلى ما هو أبعد من غزة أو الضفة والقدس وتصفية القضية الفلسطينية، ليضرب في الدول العربية لبنان وسوريا واليمن وأبعد، وصولاً إلى إيران وتهديد دول أخرى مثل تركيا ومصر، محاولاً فرض الخارطة ومناطق النفوذ التي يريد، والتي تخدم مشروع الهيمنة الصهيونية- الأمريكية ومشروع الشرق الأوسط الكبير.

• من سيردع العدوان والغطرسة الصهيونية إذاً؟؟؟

هل يعقل أن يخاطب الرئيس الفلسطيني العالم حول عدالة القضية الفلسطينية، وبنفس الوقت يطالب بتسليم سلاح المقاومة الفلسطينية؟!! ويؤجل ترتيبات البيت الفلسطيني إلى ما بعد وقف العدوان دون أن يتخذ أو يقدم مبادرة لتوحيد الصف الفلسطيني استعداداً للمواجهة وحماية الوجود الفلسطيني، في ظل الدعوة لتحالفات وإقامة أحلاف دفاعية، وتفعيل اتفاقات الدفاع المشترك لمجلس التعاون الخليجي وكثير من الدول، وفي ظل دعوة الرئيس الكولومبي «لتشكيل جيوش لتحرير فلسطين.»

لم يعد أمام الدول العربية إلا خيار واحد هو الدفاع عن سيادة وأمن وكرامة الشعوب العربية، أو على الأقل الدفاع عن الكرامة الوطنية والشخصية لقادة هذه الدول، عدا عن الدور المطلوب بإنقاذ ما تبقى من غزة بل فلسطين، وما تبقى من حياة وأرض وقضية.

نعم آن للفلسطينيين أن يتحدوا، وآن الأوان لتطبيق الاتفاقات الوطنية، والشروع بخطوات ملموسة ملحة للوحدة الوطنية الفلسطينية في منظمة التحرير الفلسطينية التي يجب أن تضم الكل الوطني، باعتبار ذلك الخيار الملح والأوحد الذي تتطلبه عملية المواجهة وحماية الشعب والأرض والهوية، وقيادة المرحلة الخطيرة الراهنة لوقف حرب الإبادة ومخططات الاستيطان والضم ومحاولات التهجير.

كل الحقيقة للجماهير

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف
يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة بجوار مشفى الشفاء -
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (75) - (1549) - أيلول (سبتمبر) 2025

الافتتاحية

- من سيوقف العدوان الصهيوني إذاً؟؟ — 1

حوار الهدف

- مع الرفيق عبد القهار سعود عضو المكتب السياسي في حزب العمل الشيوعي السوري — حوار: محمد أبو شريفة — 3

شؤون فلسطينية

- بيان سياسي صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية — 8
- الجبهة الشعبية تُحمّل الاحتلال المسؤولية عن حياة الأمين العام القائد أحمد سعدات — 9
- تصريح الجبهة الشعبية حول الاعتراف الغربي بدولة فلسطين — 10
- في الهدف: ذلك هو اسمها.. وهو ارتقاء العاشقين — 12
- «7 أكتوبر 2023 أفشل المؤامرات على القضية الفلسطينية — بسام عليان — 13
- خياران لا ثالث لهما — مروة محمد — 14
- حلّ الدولتين.. تسويق للوهم وإصرار على الوقوف في الجانب الخطأ من التاريخ — نعيم ابراهيم — 15

شؤون عربية

- حرب الإبادة في غزة والمواقف العربية — د. علي زيدان — 17
- ثَلاثَةٌ بِوَاحِدٍ — صفا أبو ناموس — 19
- قمة الدوحة: خطاب تصعيدي وقرارات متواضعة — محمد حسين — 20
- من غزة إلى الضفة باب الشرق الأوسط الجديد — وفاء حميد — 21
- اتفاقية الدفاع السعودية الباكستانية... بين العلاقات التاريخية والعدوان على قطر — رضي الموسوي — 22
- الانتماء الممزق: كيف أعادت الحرب في سوريا تشكيل المواطنة على أسس الولاء والطائفة؟ — عزيز موسى — 25
- قمة الدوحة الطارئة بين الطموح و الواقع — أحمد عويدات — 27
- غطرسة العدوان تتهاوى: «إسرائيل» تصطدم بصمود صنعاء المستحيل — عادل عبده بشر — 29

شؤون دولية

- إبادة غزة .. بين صمود وبقاء أهلها.. وريفييرا ترامب — محمد صوان — 30
- العرض العسكري الصيني: بين القوة والقوة المضادة — مسعود أحمد — 31
- أسطول الصمود العالمي صرخة إنسانية بوجه الإبادة والحصار — حمزة البشتاوي — 32
- الانتفاضة العالمية من أجل فلسطين — حاتم استانبولي — 34

شؤون العدو

- تكتيكات إسرائيل والولايات المتحدة في إدارة المساعدات ومفاوضات غزة — د. سعيد سلام — 36
- "إسرائيل الكبرى" تتماذج وإسبارطة العظمى — د. محمد عياش — 40
- التوسع العملياتي الإسرائيلي وانكشاف النظام الإقليمي العربي — د. عابد الزريعي — 42
- البرهان الفلسفي على زوال (إسرائيل) — د. سامي الشّيخ محمّد — 43
- العدوان الصهيوني على الدوحة ضربة في صميم الأمن القومي العربي — نواف الزرو — 45
- من دير شبيغل إلى تل أبيب: من جدار السرد إلى هاوية الفضيحة — نبال عمر — 48

- **دراسات الهدف:** دراسة نفسية سياسية في الذات الصهيونية نتنياهو نموذج الشخصية الدموية — **د. محمد عبد القادر** — 49
- **ترجمات الهدف:** عزلة إسرائيل تتعمّق في الأمم المتحدة، ونتنياهو يتوعّد بمواصلة الحرب حتى «النهاية» — **ترجمة: نور نوارة** — 53
- **تحقيق الهدف:** غزة تحت وطأة التشريد: آلاف النازحين بلا مأوى وسط انهيار الخدمات وارتفاع التكاليف — **أحمد زقوت** — 55

شؤون ثقافية

- حوار مجلة الهدف مع المخرج السينمائي والكاتب قاسم حول — محمد المواسي وموسى مراغة — 57
- الأدب والنضال، أو نضالية الأدب وأدب النضال — أحمد طنيش — 63
- تجليات مجزرة صبرا وشاتيلا في الأدب الفلسطيني والعربي — د. ثائر يوسف عودة — 65
- عرقبادةُ قطاع غزّة كمصطلح فارق في التاريخ — د. مكرم خُوري - مَخُّول — 67
- غَسَّان كَنَفَاني.. أُسْطُورَةُ العِشْقِ الفِلَسْطِينِيِّ — مَحْمُود عَلِي السَّعِيد — 68
- من صبرا إلى غزة الصورة تتحدث — مصعب عيسى — 69
- قبَسات من تاريخ المسرح الفلسطيني — إعداد: جوان جان — 70
- هُنَّ: قصة قصيرة — راسم عبدالقادر الحديثي — 71
- قضاءات سورية في (سيرة ذاتية لكحولي واضح) لباسم الصباغ — بسام سفر — 72
- رشاد أبو شاور لم يسكت عن الخطأ.. وانتقد كل المشاريع المشبوهة — أمينة عباس — 74
- أفق لسردية مغايرة نضال عبد العال: رواية اكتملت بالشهادة — أحمد علي هلال — 76
- بين داوود وداوود حكاية عزٍّ ترويها البندقية — خليل خليل — 78
- فعاليات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق — 80
- الغزّي: الإنسان الأعلى وإرادة الحياة — لمى الشطلي — 82
- سباق - سيزيفي - على النهاية عن العربي الذي كان يشبه وردة البراري — عبد النور الهنداوي — 83

حوار العدد

حوار الهدف
مع الرفيق عبد القهار سعود

عضو المكتب السياسي في حزب العمل الشيوعي السوري،
نائب المنسق العام لهيئة التنسيق الوطنية، عضو اللجنة السياسية في تحالف تماسك

◄ أجرى الحوار:محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف

لعب دوراً محورياً في سياق حركة القوميين العرب إلى الحلقات الماركسية وحلقه دير الزور والمساهمة في إنشاء رابطة العمل الشيوعي تكلل بمسار كفاح دؤوب ميّز فكره السياسي المنفتح على حضور القضايا العادلة على المستويين الوطني والقومي تمثل بحضور المسألة الفلسطينية لرابطة العمل الشيوعي في سوريا والتأكيد على الوعي القومي بتجذير الخط الوطني على الساحة الفلسطينية إلى جانب قضيته الوطنية وحدة سوريا أرضاً وشعباً وتحالف الوطنية السورية المتساوية معبراً عن هوية تحالف (تماسك) إنه الرفيق عبد القهار سعود الذي التقته الهدف وكان لها معه الحوار التالي:

■ من حركة القوميين العرب إلى الحلقات الماركسية في سوريا وحلقة دير الزور وشخوصها ومساهمتها في إنشاء رابطة العمل الشيوعي، ماذا تقول ذاكرتك؟

كنت من المساهمين في هذه الحلقة وتلك المرحلة. كانت الحلقات تناقش التقرير العام للحلقات المعروف في تقرير آب 1976، الذي ناقش الوضع العالمي مقسَّماً إلى معسكر الإمبريالية ومعسكر الثورة العالمية، وينقسم إلى ثلاث قوى هي: المعسكر الاشتراكي، حركة التحرر الوطني، والطبقة العاملة. والوضع على الساحة العربية والوضع الاقتصادي المحلي والطبقات والفئات الاجتماعية في سوريا. (-1 الطبقات المستَغَلة -2 الطبقات المُستَغَلة: أ. الدونية ب.الفلاحون الفقراء ح. الفلاحون الصغار ج. الدنيا في البرجوازية الصغيرة، خ. البدو ه. الفئات المتوسطة والعليا في البرجوازية الصغيرة، وأهمها الفئات التالية: أصحاب المهن الراقية، كبار الحرفيين، التجار المتوسطون، الفلاحون المتوسطون. وبعد ذلك كنا ندخل في الوضع السياسي المحلي من أن السلطة في سوريا كانت تمثل مصالح الجناحين: الدولة والخاص للبرجوازية المحلية التي كانت تعتاش من خلال فائض القيمة في قطاع الدولة وقطاع الاستخراج والوكالات والسمسرة والاقتصاد الخدمي الاستهلاكي، في تلك المرحلة التي كان منها تشكيل برنامج التنظيم مجموعة المهام والعمل على تحقيقها لأهداف مؤقتة ومرحلية، تستمر كلما استمرت مقدماتها الموضوعية والذاتية. ومن المهام التي كانت مطروحة: أولاً المهمة الدعاوية، وثانياً المهمة التحريضية، وثالثاً المهمة التنظيمية، ورابعاً المهمة السياسية. واعتبرت الحلقات المهمة الدعاوية هي المهمة المركزية، وجرى العمل عليها وتفنيد لماذا هي المهمة المركزية؟! وساهمت الحلقة في إنضاج الخط السياسي ونقاشه والمساهمة في الدخول نحو رابطة العمل الشيوعي. حلقة ديرالزور (عبدالقهار السعود، عدنان المفتي، عبدالله طعمة ،عدنان الرحبي ،عبدالملك عساف، مهيدي الضويحي ، زياد المشهور و زهدي الحمادة) ومنهم من عمل في الحلقات الماركسية لفترة قصيرة وغادر إلى كيانات أخرى _احمد رفاعي غادر إلى المجالسية (العفيف الاخضر) _جابر الاحمد غادر الى الحزب الشيوعي (المكتب السياسي).

■ الخط الاستراتيجي للرابطة كان فيه كُراس حول رؤية القضية الفلسطينية شكل طرحاً متقدماً حول رؤية القضية الفلسطينية كقضية مركزية. كيف عبر عنها؟

يقدم كُراس المسألة الفلسطينية لرابطة العمل الشيوعي في سوريا لمحة سريعة عن النضال الفلسطيني والمسألة الفلسطينية في إطار المتغيرات والمستجدات.

1. المتغيرات الدولية والتغلغل الإمبريالي في المنطقة.

2. على المستوى العربي الرسمي (المتغيرات والتأثيرات الناجمة). وصنف أن هناك مجموعتين من الدول العربية لعبت وتلعب دوراً أساسياً في المسألة الفلسطينية: الأولى تشكل مجموعة دول المواجهة، والثانية مجموعة الدول المنتجة للنفط. ويناقش الكُراس كيفية عمل:(أ. أنظمة المواجهة عبر المسيرة الاقتصادية والاجتماعية والارتهان السياسي والأيديولوجي، ب. ومجموعة الدول المنتجة للنفط).

والفقرة الثالثة في الكراس، المتغيرات داخل الكيان الصهيوني، والرابعة تعالج المتغيرات على صعيد مناطق التواجد الأساسية للشعب الفلسطيني وأهمها على صعيد الضفة الغربية وقطاع غزة، والخامسة على صعيد الجماهير العربية، الواقع والمتغيرات.

> **وقف الحزب ضد التسوية في المنطقة وطالب بتجذير الخط الوطني على الساحة الفلسطينية**

ويعرض وضع المقاومة الفلسطينية وعلاقتها بالمتغيرات والبناء الداخلي «لإسرائيل» اقتصادياً، اجتماعياً، سياسياً، أيديولوجياً. ويكمل النقاش في إطار جدل العلاقة الصهيونية بين الداخل والخارج والارتباط بالإمبريالية الأمريكية.

وينتقل الكراس لمشروع السلطة الفلسطينية كبرنامج حد أدنى، وشعارها وبرنامج الرفض وحركة الواقع والمتغيرات، الذي تناول جبهة الرفض كتجمع قوى مختلفة طبقياً وسياسياً وأيديولوجياً وتباينها في فهم برنامج ومهمات مشروع الرفض.

ويقدم الكراس إسهاماً في تحديد المهام الراهنة للنضال الفلسطيني ودور القوى الوطنية والديمقراطية العربية، ويثير الكراس مسألة بناء الحزب الشيوعي الفلسطيني وقيام الجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة، وتحديد المهام الأساسية المرحلية والحلقة المركزية للنضال في تلك المرحلة من تاريخ النضال الوطني الفلسطيني.

■ يُوصف حزب العمل الشيوعي والرابطة القضية الفلسطينية (قضية مركزية). ما هي آلية التعبير عن هذا التوصيف في عمل الحزب؟

حملت الجريدة المركزية لحزب العمل الشيوعي في سوريا «الراية الحمراء» شعاراً مركزياً: «فلنناضل لدحر التسويات الإمبريالية وكافة مرتكزاتها في المنطقة» في ثمانينيات القرن الفائت. وكان هذا الشعار هو الشعار المركزي الأول للحزب في الجريدة وليس الشعار الثاني. من تمركز هذا الشعار في الترويسة الأولى للجريدة، يتبين للمتابع والقارئ أن الاهتمام الأول للحزب لسنوات وعقود في القضية المركزية للشعوب العربية والحرب الإمبريالية العالمية على منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وانتزاع الاعتراف الدولي ووصولاً إلى زعيمها ياسر عرفات ومشاركته في عملية التسوية. مع وجود معارضة لهذا الخيار الذي عارضته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إذ وقف الحزب ضد التسوية في المنطقة وطالب بتجذير الخط الوطني على الساحة الفلسطينية وإسقاط اتفاق أوسلو في تسعينيات القرن الفائت وما جاء بعده من الاتفاقيات. ورغم تعاطي السلطة (عباس) مع صفقة القرن، إلا أن الحرب على غزة عطلت كل شيء. فالموقف الفلسطيني كان وما زال منقسماً ما بين السلطة والمقاومة. والموقف العربي الرسمي لم يدخل على خط إيقاف الحرب سوى لفظياً، بينما عملياً ذهب جزء منه لمساعدة ودعم الكيان وحكومة نتنياهو من خلال دعم اقتصادي قامت به دول عربية مطبعة مع الكيان، ودول عربية لم تدعم المقاومة، بينما هناك مقاومة شعبية دعمت المقاومة مثل الحوثيين وحزب الله في لبنان. وجاء ذلك في جريدة الحزب «الآن» من خلال العددين 92» و99.»

■ لديك تجربة طويلة في السجون السورية من أمن الدولة في كفر سوسة إلى تدمر وسجن صيدنايا. ماذا تحدثنا عن تجربتك في تدمر وصيدنايا وغيرها؟

اعتقلت أكثر من مرة، لكن الفترة الزمنية الطويلة (أكثر من 12 عاماً متواصلة) كانت ما بين إدارة أمن الدولة في كفر سوسة وسجن تدمر سيء السمعة والصيت، وسجن صيدنايا المركزي الأول. عموماً في الفروع الأمنية حيث يجري الاعتقال والتحقيق، لا حقوق للسجين أبداً في ظل حكم الأسدين. وفي فترة التحقيق يكون السجين في زنزانة منفردة ويتعرض للضرب المبرح في «الدولاب» و»الكرسي الألماني» والكهرباء وغيرها. بينما في السجون الكبيرة مثل تدمر، كان الضرب فقط في «الاستقبال» وعند وجود مخالفة، لكن غالباً العقوبات جماعية من قبل الإدارة. أما في سجن صيدنايا كان الأمر مختلفاً تماماً، فهناك بالنسبة لنا أصبح لدينا حياة متكاملة رغم الصعوبات التي تعرضنا لها كحزب عمل شيوعي. في بداية العام الأول لنا – إذ في ذكرى الحركة التصحيحية- كانت إدارة السجن تضع أغاني سلطوية مع خطابات حافظ الأسد، اعترض عليها رفيقنا الشهيد إحسان عزو وطالب إدارة السجن بوقفها. فكانت عقوبته العزل في الزنازين تحت الأرض. وطلب من المساعد إحضار الدواء الذي كان يأخذه من أجل معالجة قلبه المريض. رفض المساعد إيصال الدواء إليه، وبذلك وقع المحظور واستشهد الرفيق إحسان. واضربنا لمدة ثلاثة أيام حداداً على روحه. فجاءت عقوبة الإدارة توزيعنا على أجنحة ومهاجع صيدنايا لأكثر من ستة أشهر، ثم عدنا للتجمع في جناح واحد حيث أعدنا ترتيب حياتنا من جديد وعادت إلينا الكتب والجرائد والمجلات والراديو بالإضافة إلى «الغازات الصغيرة» وطلبات «الفاتورة».

ان وجود أكثر من 100 رفيق في جناح واحد في السجن كان مسبباً بوجود حياة اجتماعية عامة، إذ أن هؤلاء أوجدوا صيغة حياة فيها الكثير من الإبداع. فالمالية العامة واحدة عبر لجنة اجتماعية منتخبة تقوم على تنظيم الحياة في الجناح في كل شيء: فهي المسؤولة عن توزيع الطعام، الزيارات وأغراضها، والدور الخاص بالمهاجع والأفراد. وهناك رئيس جناح للعلاقة مع إدارة السجن. إلى جانب ذلك، هناك حياة سياسية حزبية وعامة، وندوات سياسية وأدبية، وأمسيات شعرية وقصصية، ومشاهد تمثيلية وصولاً إلى عمل مسرحي واحد تم عرضه بإخراج بدر زكريا، وعرض مسرحي لم يكتمل من إخراج الراحل غسان جباعي. وعلى الجانب الترفيهي، أجرينا دوري شطرنج لمرات عديدة، ونظمنا مسابقات للقصة القصيرة، ودوري كرة قدم للمهاجع، إلى جانب بطولات الشدة - الورق، ودورات اللغات التي كان يقوم بها أساتذة مختصين ومترجمين. كل ذلك من أجل التخفيف من ضغط السجن وإيجاد إحساس أن الزمن الطويل غير قاتل، والحياة والسياسة عند المعتقلين.

> **حافظنا على السلمية في الأشهر الأولى من العام 2011، لكن خرجت الأمور عن السيطرة**

خلال مواجهات العام 2011، ظهرت لمدينة دير الزور مساهمة واضحة في المظاهرات المدنية في وجه داعش والنظام البائد. كيف تنظر إلى تلك المرحلة في الثورة السورية؟

شارك شباب أبناء وأهالي دير الزور في المظاهرات السلمية وهتفوا ضد نظام بشار الأسد، وطالبوا بالحرية وإسقاط رأس النظام بشار الأسد من خلال مظاهرات في حي الحميدية وغيره من أحياء المدينة. وعمل الشباب في تنسيقيات دير الزور. والتقيت بهم في أكثر من اجتماع وحذرت من التحول عن السلمية نحو السلاح، لأن بوادر السلاح كانت واضحة ورغم القمع والتدخل العسكري من قبل النظام. حافظنا على السلمية في الأشهر الأولى من العام 2011، لكن خرجت الأمور عن السيطرة في نهاية العام 2012 وذهب الحراك نحو العسكرة. وهذا غير ما طالبنا به بالحفاظ على السلمية واستمرارية العمل بها، حتى القول إن السلمية هي التي تستطيع إحراج النظام. وفرض آلية عمل أخرى خارج ما يرغبه النظام في الانجرار وراء الفعل العسكري. وحاصر النظام المدينة، واستولت داعش على الجزء الشرقي من المدينة. ما أوقعنا بين فكي كماشة، وخرجنا من أحيائنا ومنازلنا إلى مدينة القامشلي في أقصى الشمال الشرقي لنغادرها فيما بعد إلى دمشق عن طريق الطيران.

■ تشغل موقع نائب المنسق العام في هيئة التنسيق الوطنية، وهذا ما يستدعي عملاً داخلياً في المكتب التنفيذي وتمثيلاً خارجياً مع مكتب المنسق الدولي بخصوص الملف السوري لدى الأمم المتحدة المستقيل «غير بيدرسون» وغيره من السياسيين الدوليين. هل استطاع العمل الدبلوماسي والتنظيمي تعزيز حضور عبد القهار كما يرغب سياسياً وتنظيمياً؟

شاركنا كحزب العمل الشيوعي في سوريا في تأسيس هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي، وكتب رفيقنا المغيب عبد العزيز الخير أكثر من وثيقة من وثائق هيئة التنسيق. وحضرنا مؤتمر «حلبون» وقبله جلسة الإعلان عن تشكيل هيئة التنسيق. وبعد أكثر من 14 عاماً، وسقوط النظام الديكتاتوري . ولعب المنسق العام، الاستاذ حسن عبد العظيم، على لعب دوراً تنظيمياً بارزاً في قيادة اجتماعات المكتب التنفيذي وتعزيز علاقات هيئة التنسيق السياسية لذلك شاركتُ شخصياً في العديد من الوفود السياسية باسم هيئة التنسيق ولعبت هيئة التنسيق دوراً محورياً في العملية السياسية التفاوضية، رغم عدم تحقيق أي إنجاز سياسي ملموس على الأرض، وذلك بسبب تمسك النظام البائد بالحل الأمني والعسكري من جهة، ومواجهته من قبل الفصائل العسكرية التي ساهمت في إسقاطه من جهة أخرى. وقد فتح هذا الواقع طريقاً آخراً مختلفاً عن مسار القرارات والشرعية الدولية.

وما زال المكتب التنفيذي يقوم بدور سياسي فاعل، من خلال الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني عام، قد يتمكن من جمع السلطة الجديدة مع القوى السياسية المختلفة من أجل رسم ملامح مستقبل سوريا، بعيداً عن الاقتتال الذي حصل في الساحل والسويداء، نحو مستقبل واعد لكل السوريين ويتجاوز خطاب الكراهية المنتشرة خلال هذه الفترة.

■ ماذا يعني لك تاريخ 2024/12/8، وكيف استقبل السوريون السلطة الجديدة برأيك؟ ما هي أبرز المهام التي يجب أن تقوم بها الحكومة الانتقالية؟

2024/12/8 هو تاريخ سقوط الديكتاتور المجرم وهروبه، والبدء في حرية الشعب السوري العظيم الذي قدم التضحيات الكبيرة للوصول إلى هذه اللحظة. فمنذ الشهر الثالث من العام 2011، قدم الشعب السوري التضحيات الجليلة على مذبح الحرية. دمر الديكتاتور وجيشه الأسدي وميليشياته العديد من المدن السورية. استقبل الشعب السوري السلطة الجديدة بالفرح والسعادة بالخلاص من الديكتاتورية والحكم القمعي البوليسي، واعتبر السلطة الجديدة هي سلطة الشعب السوري التي استُقبلت بالأفراح في العديد من المحافظات والأحياء السورية، مع المزيد من الترقب لمعرفة ردود فعل المحيط الجغرافي السوري الذي لم يكن مرحباً بها سوى من النظام التركي، بينما بقي المحيط العربي حذراً لرؤية ردود الفعل الدولية نحو السلطة الجديدة.

قامت السلطة الجديدة بعقد مؤتمر حوار وطني في دمشق بعد جولات في المحافظات السورية لم تُدعَ إليه القوى السياسية السورية، وإنما دُعي إليها السوريون كأفراد وشخصيات وطنية إلا أنه للأسف، جاء مسلوقاً بدون إنضاج وقراءة لما يحتاجه السوريون من نوع آخر من الحرية بكل ألوانها وتعبيراتها السياسية، التي عملت على حضورها منذ آذار العام 2011 وحتى الآن. ينبغي لهذه الحكومة العمل على عقد مؤتمر وطني سوري جامع لكل السوريين وتعبيراتهم السياسية والمدنية والأهلية، بعيداً عن شكل التمثيل الطائفي، والعمل على التئام الجرح الوطني الذي عمق الشرخ في النسيج الوطني والوطنية السورية في أحداث الساحل والسويداء وريف دمشق، ولم تسلم منه أماكن مثل الكنيسة في حي الدويلعة الدمشقي. فهذه الجراح تحتاج إلى ترميم وطني جامع يعيد للوطنية السورية ألقها ومكانها الطبيعي في نفوس وذوات السوريين جميعاً، بعيداً عن خطاب الكراهية والحقد الطائفي.

أما على الصعيد الاقتصادي والأهلي، فما زالت الأسعار في سوريا مرتفعة جداً ولا تتناسب مع الدخل المنخفض رغم الزيادة الأخيرة في الرواتب. إذ ما زالت المعالجات الاقتصادية تحتاج إلى برنامج عمل وطني يوقف ارتفاع الأسعار غير المضبوط، وآليات عمل السوق المنفلتة في المعايير الوطنية والتابعة لحركة السوق التجارية التي تعاين كل ما هو موجود فيها عبر تسعير الدولار، ولا تعمل على إعادة ربطها بالمنتج الوطني السوري، وبالعملة الوطنية (الليرة السورية).

■ ظهر مصطلح اللامركزية عند البعض كأسلوب لإدارة الحكم في سوريا، هل من الممكن تحقيق ذلك؟

إن الأرض السورية، بفعل الواقع والحكم الديكتاتوري الذي استمر أكثر من 50 عاماً، مُقسمة بسبب أفعال النظام البائد وتصنيفه للسوريين منذ العام 2012. ومع التدخل الروسي الذي دمر العديد من المدن السورية مع النظام الديكتاتوري، وإعادة بعض مناطق خفض التصعيد إلى مناطق النظام قبل إسقاطه، استقرت المناطق السورية منذ العام 2018 مُقسمة إلى أربع مناطق: شمال شرق سوريا تحت سيطرة قوات (قسد) بوجود مسد والإدارة الذاتية، وشمال غرب سوريا (منطقة نفوذ تركية) بوجود هيئة تحرير الشام وعدد من الفصائل العسكرية إلى جانب الجيش الوطني المشكل من قبل تركيا، ومناطق سيطرة النظام البائد، والسويداء والحراك الشعبي الوطني فيها، بالإضافة إلى الاحتلال الصهيوني في الجولان السوري.

إن أفضل طريق للعودة إلى وحدة سوريا أرضاً وشعباً هو الحوار الوطني مع الممثلين السياسيين المختارين في كل منطقة من المناطق السورية، والإصغاء إلى مطالب السوريين وهمومهم، سواء سُمي ذلك لا مركزية سياسية أو إدارية أو برلمان محلي أو إدارة محلية كما هو معمول الآن وفق القانون 107 الذي كان سائداً أيام الدكتور الفار. في النهاية، غير مهم المصطلح، المهم ما يرغب به السوريون في إنتاج حكم قابل للاستمرار يساعد جميع السوريين على الحياة في حرية وكرامة.

> **استقبل الشعب السوري السلطة الجديدة بالفرح والسعادة بالخلاص من الديكتاتورية واعتبر السلطة الجديدة هي سلطة الشعب السوري**

■ الكثير من الدول العربية والغربية تعهدت بتقديم المساعدات الاقتصادية للنهوض بالبلاد من أزماتها، وإلى الآن لم يلحظ السوريون انعكاساً لحجم ما أُعلن عنه وتم الاتفاق عليه، كيف تقرأ ذلك؟

لعبت وما زالت تلعب العقوبات المفروضة على النظام البائد دوراً كبيراً في عدم وصول المساعدات والمنح إلى السلطة الجديدة في دمشق، والكل يعرف ويتابع معركة رفع قانون قيصر الذي فُرض على نظام بشار الأسد، إلا أنه ما زال معمولاً به حتى الآن وقد يستمر طويلاً رغم الجهود التي تُبذل من أجل رفعه. ورغم أن الرئيس السوري أحمد الشرع كان في زيارة غير رسمية للولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة بمناسبة الدورة الجديدة في العام الحالي للجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أن الهيئات التمثيلية والتشريعية في الولايات المتحدة لم ترفع قانون قيصر. من جانب آخر، بقي المصرف المركزي السوري خارج نظام العمل الدولي (سويفت) لفترة طويلة، إذ لا يوجد تعامل بنكي مع العالم سوى مع عدد محدود من الدول التي كانت داعمة للنظام الديكتاتوري، وربما مع عودته لنظام التعامل الدولي قد تساعد في عودة الحياة للتعاملات المالية والاقتصادية والتجارية السورية.

قد يمضي زمن طويل حتى يلحظ المواطن السوري تحسناً واضحاً في الوضع الاقتصادي، خصوصاً أن قوانين السوق ونهب التجار كبير منذ النظام البائد حتى الآن، لذا ينبغي التركيز على المساعدات المباشرة في السوق السورية التي قد تساعد الإنسان السوري على تجاوز الصعوبات الاقتصادية التي يعاني منها.

■ التدخلات الخارجية الإقليمية في سوريا... إلى أين؟

السلطة الجديدة في دمشق جاءت محمولة على اتفاقات إقليمية نتيجة تعنت الديكتاتور الفار ورفضه أي حل سياسي معمول به وفق قرارات مجلس الأمن، وفي مقدمتها القرار 2254. وفي اللقاء الأخير للرئيس أحمد الشرع على القناة الإخبارية السورية، أوضح فيه أنه كان هناك تنسيق مع الروس منذ دخول مدينة حلب في أواسط الشهر الأخير من العام السابق. فالتنسيق مع الروسي بالتعاون مع الرئيس التركي أردوغان يعني وجود تنسيق مع الثلاثي الموجود على الأرض السورية (ثلاثي أستانا). وشاهد الشعب السوري اجتماع وزراء خارجية هذه الدول مع عدد آخر من وزراء الخارجية العرب في الدوحة، الذي قرر متابعة العملية العسكرية بعد حل الجيش السوري.

ما أردت قوله إن الوضع السوري مُدول منذ العام 2012 وفق قرارات مجلس الأمن، وما وجود العديد من الاحتلالات للأرض السورية يحتم علينا كقوى سياسية وسلطة جديدة العمل على تحرير الأرض السورية واستعادة الجولان من المحتل الإسرائيلي.

■ ما هي الرسالة التي توجها إلى الحكومة الحالية؟

إن شرعية أي نظام تقوم على عوامل متعددة، منها ما هو داخلي شعبي سوري، ومنها ما هو خارجي. وعلى ما يبدو، استطاع النظام الجديد الحصول على الشرعية الخارجية من خلال دعم عربي وإقليمي و دولي.

إن الشرعية الداخلية التي تقوم على عقد مؤتمر سياسي واجتماعي واقتصادي جديد بين الشعب السوري وممثليه وبين السلطة الجديدة، قادرة على ضمان الاستقرار وإضفاء الشرعية من أجل الاستمرار في المرحلة الانتقالية وتحقيق العدالة الانتقالية ومحاسبة جميع المجرمين الذين ساهموا في عذاب جميع السوريين وتهجيرهم.

> **إن أفضل طريق للعودة إلى وحدة سوريا أرضاً وشعباً هو الحوار الوطني، والإصغاء إلى مطالب السوريين وهمومهم**

■ ظهر تحالف «تماسك» في مرحلة ما بعد سقوط النظام، ما هي المهام التي يقدمها في هذه المرحلة الانتقالية خلال الحكم الجديد؟

تحالف «تماسك» هو تحالف الوطنية السورية المتساوية، مؤلف من عدد من القوى والأحزاب والتحالفات السياسية السورية، ونحن في حزب العمل الشيوعي من المؤسسين لهذا التحالف. وهو يضع أولى مهامه في السلم الأهلي، كما جاء في تقريره السياسي المقدم في اجتماع الهيئة العامة في 2025/7/10 بدمشق. فلا يمكن فصل السلم الأهلي والعدالة الانتقالية عن عملية الانتقال الديمقراطي المطلوبة في عموم سوريا. والمهمة الثانية هي وحدة سوريا أرضاً وشعباً وسيادتها، بسبب خضوع أجزاء واسعة من الجغرافيا السورية لنفوذ متعدد داخلي وخارجي، وتتباين أشكال الإدارة فيها من منطقة إلى أخرى.

وثالث المهام: المؤسسة العسكرية وحصر السلاح، إذ يرتبط ملف السلم الأهلي ارتباطاً عضوياً بموضوع حصر السلاح وجمعه، وإنشاء مؤسسات وطنية جامعة ينحصر فيها حق حمل السلاح، أي مؤسسة الجيش الوطني ووزارة الداخلية التي ينبغي أن تكون حيادية تجاه السياسي وفي التعبير عن آرائهم. والمهمة الرابعة: توزيع الصلاحيات بين السلطات الثلاث بما يتناسب مع الديمقراطية المطلوبة في المرحلة الانتقالية. والمهمة الخامسة: الوضع المعيشي المتدهور منذ النظام البائد واستمراره في التدهور، محافظاً على أكثر من 90% من السوريين تحت خط الفقر. والمهمة السادسة: رفع العقوبات والوضع الاقتصادي، إذ شكل قرار رفع العقوبات فسحة أمل للسوريين جميعهم بعد أن افترست البلاد وأهلها طوال السنوات. والمهمة السابعة: العدالة الانتقالية، التي أصدر الشرع مرسوم رقم 20 القاضي بإنشاء «الهيئة الوطنية للعدالة الانتقالية». والمهمة التاسعة: تعزيز دور النساء والشباب في الحياة السياسية والعامة. والمهمة العاشرة: هي الحفاظ على النقابات وتعزيز استقلالها لتكون منصة من منصات النضال الاجتماعي والوطني.

بيان سياسي صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية

بصمود الشعب الفلسطيني والمقاومة الباسلة نواجه حرب الإبادة ومخططات الاحتلال

عقد المكتب السياسي للجبهة الشعبية اجتماعه الدوري لمناقشة آخر التطورات على الساحة الفلسطينية، في ظل تصاعد العدوان الصهيوني على شعبنا وحرب الإبادة والتطهير العرقي التي تستهدف وجوده وفرض السيطرة الكاملة على أرضه.

وفي مستهل الاجتماع، وجّه المكتب السياسي التحية إلى شهداء فلسطين الأبرار، وخص القائد الشهيد أبو خليل وشاح والرفيق مفيد حسن، والرفيق الشهيد البطل داوود خلف، وإلى كل الشهداء الذين ارتقوا دفاعاً عن الحرية والأرض.

كما وجه التحية إلى الرفيق القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية، مؤكداً أن صموده وصمود جميع الأسرى في سجون الاحتلال يشكل خط الدفاع الأول عن قضية شعبنا.

استعرض المكتب السياسي جرائم الإبادة الجماعية والتصعيد الصهيوني المستمر في مدينة غزة، حيث يواصل الاحتلال توغله المتدرّج، مدمراً البنية التحتية، وقاصفاً الأبراج السكنية والمرافق الحيوية، ومُمعناً في استهداف المدنيين والنازحين.

وأكد المكتب السياسي أن هذه السياسة الانتقامية ليست طارئة، بل تُمّثل مخططاً ممنهجاً للتهجير القسري والتطهير العرقي، يتكامل مع مشاريع الضم والاستيطان وفرض السيادة الاستعمارية في الضفة الغربية، بما يشكل خطراً وجودياً على الأرض والهوية الفلسطينية.

وشدد البيان على أن صمود الشعب الفلسطيني، وخاصة في غزة، هو السلاح الأقوى في مواجهة هذا الكيان الفاشي، وأن المقاومة بكل أشكالها ستظل الدرع الحامي لشعبنا مهما عظمت التضحيات.

كما حذّر المكتب السياسي من خطورة ما يكشفه الاحتلال من مشروع "إسرائيل الكبرى" الذي يستهدف كامل المنطقة العربية، وفي القلب منها مصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان والسعودية. داعياً إلى تفعيل اتفاقية الدفاع العربي المشترك، وتوحيد الموقف العربي على قاعدة مواجهة هذا الخطر الوجودي عبر كل أدوات الضغط السياسية والاقتصادية والقانونية المتاحة.

إزاء هذه الجريمة التاريخية، يدعو المكتب السياسي جماهير شعبنا في غزة والضفة والقدس والداخل والشتات إلى الالتحام في معركة الصمود والمقاومة، وإلى توحيد كل الطاقات الوطنية والشعبية لإفشال مخططات العدو، كما يهيب بأمتنا العربية وأحرار العالم بالتحرك الفوري في الميادين والساحات والعواصم، لتطويق الكيان الصهيوني وعزله، وإنفاذ محاكمته كمجرم حرب أمام العالم أجمع.

إن ساعة المواجهة قد دقّت، ولن يحمي فلسطين إلا أبناؤها وأحرار الأرض الذين يرفعون راية الحرية في وجه الاستعمار والإبادة.

وأشاد المكتب السياسي بالموقف المصري الرافض للتهجير ومخططات العدو في فلسطين ومشروع « اسرائيل الكبرى»، وكما أشاد باستمرار الدعم النوعي الذي يقدمه اليمن لشعبنا الصامد في غزة، واستمرار عملياته النوعية ضد أهداف صهيونية، موجهاً التحية إلى روح الشهيد رئيس الحكومة اليمنية أحمد الرهوي وكوكبة من الوزراء الذين استشهدوا في غارة صهيونية غادرة.

كما يوجه المكتب السياسي التحية إلى الحراك العالمي المتضامن مع فلسطين، والذي يشهد تحولاً تاريخياً غير مسبوق، وضرورة استثماره لنزع الشرعية عن الاحتلال ومؤسساته، وملاحقة قادته كمجرمي حرب، ودعا إلى حماية قوافل كسر الحصار باعتبار أي استهداف لها ما هو إلا قرصنة وإرهاب «دولة» منظم.

وأكدت الجبهة أنها في الوقت الذي تواصل فيه جهودها الحثيثة لإنهاء الحرب، تدعو إلى بناء الوحدة الوطنية، من خلال إطلاق حوار وطني شامل يشارك فيه الجميع دون استثناء، على قاعدة المسؤولية والشراكة الوطنية، وفي هذا السياق فإن الجبهة تطرح مبادرة سياسية تشكل خارطة طريق وطنية لتوحيد المواقف السياسية والميدانية، وصون الجبهة الداخلية، وحماية الشعب و الأرض والقضية من مخططات التصفية والتهجير القسري والتهويد والضم، باعتبار ذلك مهمة وطنية عاجلة وشرطاً أساسياً لمواجهة العدوان وإفشال مشاريعه.

وأوضح المكتب السياسي أن المقاومة كانت وما زالت منفتحة على أي حلول من شأنها وقف العدوان على شعبنا وكسر الحصار، سواء جاءت في إطار صفقة شاملة أو عبر ترتيبات جزئية، وذلك انسجاماً مع موقف وطني جامع يضع مصلحة شعبنا فوق كل اعتبار، رغم أن مجرم الحرب نتنياهو، وما يمثله من حلف صهيوني عنصري وشراكة بلا حدود مع الإدارة الأمريكية، يشكّلان العائق الأساسي أمام أي مساعٍ لوقف العدوان. فهما يتحملان المسؤولية المباشرة عن جرائم الحرب والإبادة المرتكبة بحق شعبنا في غزة والضفة، في سياق مشروع استعماري يسعى لإعادة تشكيل المنطقة وفق منطق الهيمنة والنهب، على حساب حقوق وحرية شعوبها وسيادتها واستقرارها .

وختم المكتب السياسي بالتشديد على أن دماء الشهداء وتضحيات الأسرى ستبقى شعلةً لا تنطفئ في درب المقاومة، وأن الجبهة ماضيةٌ في توظيف كل أشكال النضال لوقف العدوان، وتعزيز صمود شعبنا، وصون حقوقه الوطنية غير القابلة للتصرف، حتى بلوغ أهدافنا في التحرير والعودة .

المجد للشهداء
والشفاء العاجل للجرحى
والحرية للأسرى
وإننا حتماً لمنتصرون

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب السياسي
7 أيلول/ سبتمبر 2025

تصريح صحفي

الجبهة الشعبية تُحمّل الاحتلال وحكومته الفاشية المسؤولية عن حياة

الأمين العام الرفيق القائد أحمد سعدات

تُحمّل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الاحتلال الصهيوني وحكومته الفاشية المسؤولية الكاملة عن حياة الأمين العام الرفيق القائد أحمد سعدات، الذي يواجه أوضاعاً صحية وإنسانية بالغة الخطورة داخل زنازين العزل في سجن مجدو.

ما يتعرض له الرفيق القائد أبو غسان من سياسة تنكيل متعمدة يُعد جريمة مكتملة الأركان تُخطط لها آلة احتلالية إجرامية لا تعرف للإنسانية معنى.

إن استمرار هذه السياسة من العزل والإهمال الطبي والتنكيل يُشكّل استهدافاً مباشراً وممنهجاً للرفيق القائد سعدات كقائد سياسي ورمز وطني كبير.

تؤكد الجبهة أن قضية تحرير الرفيق القائد أحمد سعدات وجميع الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال تقع في صميم معركة المواجهة التي تخوضها المقاومة مع الاحتلال الصهيوني، وأنها، ومعها فصائل المقاومة، ستواصل النضال دون كلل أو ملل حتى تحرير جميع الأسرى.

كما تدعو الجبهة كل القوى الشعبية والسياسية والدبلوماسية إلى التحرك المكثف والدعم المتواصل لقضية الأسرى، والضغط على الاحتلال لوقف جرائمه وانتهاكاته بحق الحركة الأسيرة.

ستظل إرادة المناضل القائد أحمد سعدات قوية، وروحه أقوى من كل محاولات الاحتلال لكسر عزيمته، فلا سياط الجلادين ولا سياسة القهر قادرة على كسر إرادته الوطنية الثابتة.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب السياسي
28 أيلول/ سبتمبر 2025

نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جميل مزهر
يوجه تحية ثورية للحزب الشيوعي اللبناني في الذكرى الـ43 لانطلاقة «جمّول»

بمناسبة الذكرى الثالثة والأربعين لانطلاقة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية «جمّول»، وجّه نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الرفيق جميل مزهر، رسالة تحية ثورية إلى الحزب الشيوعي اللبناني، مشيداً بدوره التاريخي في مواجهة الاحتلال الصهيوني، ومؤكداً على أهمية وحدة قوى المقاومة في ظل التحديات الراهنة.

وفي رسالته، توجه مزهر بالتحية إلى الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني، الرفيق حنا غريب، وإلى قيادة الحزب وكوادره، مستذكراً البيان التأسيسي الصادر في 16 أيلول 1982، والذي حمل توقيع الرفيقين جورج حاوي ومحسن إبراهيم، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من النضال الوطني ضد الاحتلال.

وأكد مزهر أن «جمّول» شكّلت منذ انطلاقتها نموذجاً للتضحية والفعل المقاوم، وقد سطّرت بدماء شهدائها، وعلى رأسهم الشهيد مهدي مكاوي، ملحمة وطنية خالدة لا تزال حيّة في وجدان الشعوب المقاومة.

وأضاف أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، باسم أمينها العام القائد الأسير أحمد سعدات والمكتب السياسي واللجنة المركزية، تشارك الحزب الشيوعي اللبناني والشعب اللبناني الشقيق وقوى المقاومة في إحياء هذه الذكرى، وفاءً لتضحيات الشهداء الذين مهّدوا طريق التحرير، مؤكداً أن خيار المقاومة أثبت فعاليته وجدواه في مواجهة الاحتلال، في وقت تهاوت فيه رهانات التسوية.

وشدد مزهر على أن ما تتعرض له فلسطين اليوم من حرب إبادة صهيونية مدعومة من الإمبريالية العالمية، يستدعي وحدة الصف المقاوم في لبنان وفلسطين وسائر ساحات النضال، لمواجهة مشروع «إسرائيل الكبرى» الذي يهدف إلى تفتيت المنطقة وإخضاع شعوبها.

كما أشاد بمواقف الحزب الشيوعي اللبناني والقوى التقدمية والديمقراطية والمقاومة الإسلامية، التي وقفت إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، واعتبر أن هذا الموقف يُجسّد وحدة الدم والمصير بين الشعبين الفلسطيني واللبناني.

وفي ختام رسالته، جدّد مزهر تأكيده على العلاقة الراسخة التي تربط الجبهة الشعبية بالحزب الشيوعي اللبناني، مشدداً على أن التمسك بخيار المقاومة الجذرية والثورية سيبقى ثابتاً، وأن تعزيز أطر النضال المشترك هو السبيل للتصدي للهجمة الصهيونية الإمبريالية، وصولاً إلى التحرير الكامل وبناء مستقبل يليق بتضحيات الشعوب.

تصريحات صحفية

الجبهة الشعبية : ندعو للقاء وطني عاجل للرد الموحد على الخطة الأمريكية

أكدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أن الأولوية الرئيسية الأولى هي وقف المحرقة التي يتعرض لها شعبنا في قطاع غزة الذي قَدمّ ولا يزال تضحيات هائلة دفاعاً عن وطنه وأرضه وهويته، ووفاءً لقضيته.

وقالت الجبهة في بيانها الصادر الخميس (2025/10/2)، «في ضوء ما صدر من إعلان عن الخطة الأمريكية، وما صاحب إعلانها وتضمنته من شروطٍ بحاجة لدراستها ونقاشها والرد عليها بشكل وطني مسؤول وموحد، وتزامن ذلك مع استمرار تعرض شعبنا لويلات التهجير والمجازر والتجويع وجرائم حرب الإبادة وتهديد بتصعيدها بدعمٍ وغطاء أمريكي، نشدد على أننا أمام مسؤولية تاريخية تستدعي وبشكلٍ سريع وعاجل موقف موحد من الكل الوطني الفلسطينيٍ، ليتحمل الجميع مسؤولياته أمام شعبنا وامام التاريخ».

كما أكدت الجبهة، أنها تعمل على التشاور مع كل المكونات والقوى الوطنية، من أجل عقد لقاء وطني عاجل لأجل إصدار موقف وطني جماعي، دون تفرد من اي طرف، او تهرب أي طرف من مسؤولياته.

وشددت الجبهة على ضرورة تكاتف الجميع، فلسطينياً وعربياً وأممياً، لوقف المحرقة التي يتعرض لها شعبنا، وضمان الانسحاب وإعادة الإعمار، مع الحفاظ على ثوابتنا الوطنية وحقوق شعبنا وقضيته العادلة، وتطلعاته المشروعة في الحرية والعودة وتقرير المصير.

كما جددت تأكيدها على أن عقد هذا الاجتماع أصبح ضرورة وطنية مُلحّة في هذه المرحلة للوصول إلى قرار وطني مُوحّد بخصوص المقترح الأمريكي، وما تتضمنه بعض بنوده من مخاطر سياسية ووجودية، وذلك لتفويت الفرصة على أي محاولة لفرض وقائع جديدة على الأرض، أو السعي إلى ترجمة نتائج الحرب في قوالب سياسية قد تُستغل لإعادة صياغة المشهد بما يتعارض مع الحقوق الوطنية الثابتة.

الجبهة الشعبية: : القرصنة الصهيونية على «أسطول الحرية»
إرهاب دولة منظم وتجاوز صارخ للخطوط الحمراء

دانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأشد العبارات جريمة القرصنة التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني ضد المتضامنين الدوليين في «أسطول الحرية» في المياه الإقليمية الدولية، معتبرةً الاعتداء أضخم عملية قرصنة إرهابية في العصر الحديث وإرهاب دولة منظم تمارسه «عصابة حرب» بأوامر مباشرة من مجرم الحرب بنيامين نتنياهو.

وقالت الشعبية في بيانها الصادر الخميس (2025/10/2)، إنّ «العالم كله شاهد هذه الجريمة الإرهابية المنظمة، والتي تُمثّل تجاوزاً صارخاً لكل القوانين وتضرب بعرض الحائط كل الأعراف والمواثيق الدولية، وتكشف مجدداً الطبيعة القرصانية والبلطجية للكيان الذي يرتكب جرائمه علناً دون خشية من الرأي العام العالمي».

وشجبت الجبهة بأقسى العبارات التواطؤ المخزي للسلطات الإيطالية، التي تخلت عن واجبها في توفير الحماية للمتضامنين وسهلت عمليات القرصنة، مُحملةً إياها مسؤولية أخلاقية وقانونية لا يمكن التغاضي عنها.

ودعت الجبهة المجتمع الدولي بالتحرك الفوري لاعتقال ومحاكمة مجرم الحرب بنيامين نتنياهو والقادة السياسيين والعسكريين الصهاينة أمام المحاكم الدولية على جرائمهم المتواصلة ضد الإنسانية، وفرض عقوبات سياسية واقتصادية وعسكرية شاملة، ورفع الحصانة عن الكيان ومقاطعته على جميع المستويات.

كما طالبت الجبهة دول العالم بتأمين الحماية لأسطول الحرية وقوافل التضامن، وضمان وصولها الآمن إلى غزة لكسر الحصار وإدخال المساعدات الإنسانية والطبية دون عوائق، ومواصلة العمل على تسيير المزيد من قوافل الحرية لتشديد الضغط على مجرمي الحرب الصهاينة.

وأشادت الجبهة بحركات التضامن العالمية والتظاهرات العارمة التي خرجت بشكلٍ عفوي احتجاجاً على جريمة القرصنة، والتي أكدت أن الضمير الإنساني حي، مثمنةً موقف الاتحاد العام الإيطالي للعمل بالإعلان عن الإضراب العام احتجاجاً على الجريمة.

ذلك هو اسمها.. وهو ارتقاء العاشقين

لنُعدْ ترتيب المشهد

كي لا تصمت الصورة، فهي لغة على اتساع وبوح على امتداد خفقة أرض وذاكرة، وفي المشهد طفل يحمل أخاه ويهيم في الأرض بحثاً عن أمان محتمل، يقيه شر القذائف، أتُراه حقاً يحمل أخيه فحسب، أم يحمل وطناً، بل قطعة من وطن، والدروب تمتد ولا تمتد كيَد أنهكتها شظايا الرصاص وبقايا القنابل.. وفي الزاوية الأخرى ميرا مسعود: ليست المعجزة بأن تبقى تحت الردم أربعين ساعة بانتظار المعاول ورجال الإنقاذ، المعجزة أنها لم تصمت ليصبح صوتها هي، صوت الباحثين عن الحياة، شأن طفلة أخرى أخطأتها القذائف وتأخر المسعفون بعض الوقت، كان الموت بانتظارها، وكان هو من اختطف أهلها منذ قليل، ولترتقي نجمة تسرق أضواء الجوائز، فأي الجائزتين أنبل.. في المشهد الكلي شهداء يملؤون الطريق يتوزعون كوشم على جسد مثخن بالجراح، على استحياء تلتقطهم العدسات، تلتقط أجسادهم التي نبت عليها عشب ليس طارئاً، هو امتداد الجذور لأجسادهم، يا لخجل القلب حينما يمضي المشهد برمته إلى صورة إخبارية.. لا ليست الصورة هنا، الصورة في المعنى الذي ينبئ بقيامة الأجساد والأشجار وعودة الأطفال إلى ما يشبه البيوت، فقد صاروا هم البيوت كما هي الأرض لحمهم ودمهم المسفوح ونداءاتهم البعيدة، التي تتصادى في أروقة الضمير، وترقى بمناداتها كل نداءات الأرض، الممتدة من أول خيط الدم إلى سدرة المعنى، من أن تكون فلسطينياً في أزمنة لا تشبهها الأزمنة، إنه الزمن الفلسطيني الذي يعني النجاة من الحياة بالحياة.

7 أكتوبر 2023 أفشل المؤامرات على القضية الفلسطينية؛ وأفشل مؤامرة أوسلو وتبعاتها»

بسام عليان - كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني - سورية

الحقيقة التي على كل فلسطيني أن يعتز بها؛ هو أن السابع من أكتوبر عام 2023؛ أفشل كل المخططات التآمرية على القضية الفلسطينية؛ وأفشل مؤامرة أوسلو وأفشل تصرفات القيادة المتنفذة في منظمة التحرير.

واستطاع السابع من أكتوبر أن يجعل العالم كله يقف على رجل واحدة يترقب نتائج ما ستؤول إليه هذه الحرب الجنونية التي تصب نار غضبها على المواطنين الفلسطينيين في غزة لتقتلهم وتجوعهم وتبيدهم وتعتقل عدداً منهم في ظروف غاية في الصعوبة والتعذيب والإجرام. فالسابع من أكتوبر استطاع إعادة الوهج للقضية الفلسطينية ونرى العالم أجمع اليوم يتطلع إلى غزة وما يحصل في غزة من مقتلة وتدمير شامل لكل قطاع غزة فآلة الحرب الصهيونية الأميركية تقوم بإبادة جماعية للمواطنين الفلسطينيين وتهجير قسري للفلسطينيين إلى المجهول. ونرى أن السابع من أكتوبر رغم الخسارة الفادحة التي يتعرض لها شعبنا الفلسطيني إلا أنه متمسك بجذوره الوطنية ويرفض الهجرة ويرفض الانصياع لأوامر الاحتلال الصهيوني الغاشم وما يزال أهالي غزة يقاومون ويتصدون للاحتلال ويشكلون حاضنة شعبية وطنية للمقاومة. ولقد رأينا التظاهرات المؤيدة لغزة ولفلسطين والمسيرات التي تجوب شوارع أوروبا؛ والضغط الشعبي الأوروبي الذي أرغم حكومات فرنسا وبريطانيا ودول أوروبية أخرى للاعتراف بالدولة الفلسطينية والعودة إلى قرارات الأمم المتحدة (القرار 181 والقرار 242). ونعتقد أن الكيان الصهيوني يعيش حالة هستيريا واضحة من جراء فضح سياسته الاحتلالية وسياسته الإجرامية الإرهابية التي يرتكب فيها الغدر والخيانة والظلم وأبشع وأقذر أنواع القتل ضد المواطنين العزل في غزة ومدنها ومخيماتها. فاتفاق أوسلو الذي التأم في الثالث عشر من أيلول 1993؛ والذي تم برعاية أميركية في عهد الرئيس كلينتون؛ والذي كانت مدته خمس سنوات ينتهي بالإعلان عن دولة فلسطينية تقوم في العام 1998 بناء على القرار 242 ويتم التفاوض على خمسة بنود رئيسية (الحدود، الأمن، المستوطنات، اللاجئين، القدس)؛ بحيث لا تتجاوز المفاوضات مدة أقصاها ثلاث سنوات. وكان أوسلو ينص على عدم تغيير أي أمر مما هو قائم بين الطرفين. كما كان ينص على إطلاق سراح كافة الأسرى الفلسطينيين وأن يتم صرف كافة المستحقات المالية للسلطة الفلسطينية. إلا أن حكومة الكيان الإسرائيلي العسكرية الاحتلالية لم تلتزم بأي فقرة مما تم الاتفاق عليه وظلت حكومة الاحتلال تمارس بناء المستوطنات وتوسعتها وتهجير أعداد كبيرة من المواطنين الفلسطينيين من أجل خلق حالة من عدم الاستقرار وعدم الهدوء وإدخال الفلسطينيين في معمعة مستدامة من أجل نهب خيرات البلاد وإدخالها في متاعب ومشاكسات الشعب مع بعضه بعضاً لتنتشر الفوضى ويسود الفقر والبطالة وتغييب التعليم وانتشار البطالة بين أبناء الشعب. الحقيقة أن الشعب الفلسطيني استطاع خلال اختياره لنهج المقاومة تكبيد هذا العدو الصهيوني الكثير مما كان يعتبره خطوطاً حمراء مثل الاقتصاد والأمن والحماية ومستوطنيه؛ فقد استطاعت المقاومة أن تلحق بالاقتصاد الإسرائيلي الكثير من الخسائر وأفقدت الكيان خسائر

بالسياحة. كما جعلت «موضوع الرقابة الأمنية الوطنية» موضوعاً هشاً، ليس له قيمة؛ كذلك استعاد الشعب الفلسطيني موقفه الثابت من قضاياه الثابتة غير القابلة للنقاش أو التنازل عن حق من حقوقه؛ هذا الأمر جعل من المقاومة تفاوض الاحتلال كطرف له مكانته في الجانب الفلسطيني لأن المقاومة الوطنية الفلسطينية استطاعت بعد السابع من أكتوبر 2023؛ أن تعيد بوصلة القضية الفلسطينية إلى المربع الأول في العالم، واستطاعت أن تقوض مشاريع تصفية القضية الفلسطينية والخلاص من الشعب الفلسطيني. ورغم حجم الخسارة اليومية طيلة العامين الماضيين من جراء المقتلة اليومية التي يقوم بها الاحتلال والإبادة المتعمدة للشعب الفلسطيني والتهجير القسري؛ فإن الاحتلال وحكومته العسكرية الاستيطانية هو الذي يخسر وسيخسر الكثير في الأيام القادمة هو والرئاسة الأميركية التي تمده بالسلاح والعتاد اللوجستي للقيام بتنفيذ أحلامه وإرهابه المنظم ضد الشعب الفلسطيني. الشعب الفلسطيني الرافض للهجرة من أرضه رغم شدة ما يقاسيه من ويلات الحرب عليه، الشعب الفلسطيني إذا كان في غزة أو في الضفة الفلسطينية سيظل يحتفظ بخيار المقاومة الوطنية لأنه صاحب الأرض الأصلي وصاحب الحق الشرعي؛ والاحتلال إلى زوال قريباً جداً فشعوب العالم كلها أضحت تعرف أن هذا الكيان مصطنع وليس له وجود على أرض فلسطين؛ وأصبح العالم كله يعي أن الفلسطينيين هم أصحاب الأرض الشرعيين والأصليين، وأن ما يسمى ب «إسرائيل» هي كيان مصطنع يسرق وينهب ويعتدي بقوة أميركا التي ترعاه وتشجعه وتحاول الإبقاء عليه في المنطقة؛ لكن هيهات فالسابع من أكتوبر أفشل مشاريع أميركا وربيبتها «إسرائيل» وأفشل أيضاً مشاريع أوروبا الغربية؛ في المنطقة ...

خياران لا ثالث لهما

مروة محمد - كاتبة فلسطينية ـ سورية

تداعيات 7 أكتوبر خلقت حالة من التناقضات والآراء والأفكار المختلفة والمتنوعة، بدءًا من المنجمين مرورًا بالمحللين العسكريين والسياسيين وتصريحات المسؤولين ورجال الدول والناطقين بأسمائها، وصولًا إلى موقف حكومات دول العالم بأَسْره، وليس انتهاءً بقيادة العمل الوطني الفلسطيني والعربي.

حرب الإبادة والتطهير العرقي في غزة، وتدمير البيوت، والتهجير القسري، والحصار من جميع الجهات برًا وبحرًا وجوًا، والمطالبة بإطلاق سراح الأسرى الصهاينة، وتسليم حماس سلاحها، ومغادرة قيادتها وعائلاتهم القطاع، وإصرار نتنياهو على مواصلة الحرب بدعم وإسناد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة ترامب، لجعل الحكومة المتطرفة في الكيان تدير ظهر المجن لكل محاولات الوساطات التي تجريها مصر وقطر برضى أمريكي، ما هي إلا مضيعة للوقت. وفي هذه الحالة، فإن المشهد في المشرق العربي يسير باتجاهات متعددة ومتنوعة، أولها:

- خروج الشارع العربي عن بكرة أبيه، وإلزام حكوماته باتخاذ قرارات مواجهة هذا العدوان والتصدي للمعتدي وإجباره على وقف الحرب مكرهًا أخاك لا بطل.
- إعادة النظر بكل معاهدات السلام مع هذا الكيان وإلغاؤها.
- وقف كل أشكال التطبيع وتجريم المطبعين.

وعلى صعيد العلاقة مع ترامب وإدارته:

- استخدام سلاح النفط الذي آن الأوان لاستخدامه.
- وقف كل أشكال التعاون والعلاقات مع الإدارة الأمريكية، والتخفيض من بعثاتها الدبلوماسية، وإغلاق كل قواعدها العسكرية في المنطقة؛ لأن الشرق شرق والغرب غرب، ولا داعي للخشية والخوف من تصريحات ترامب. والشرق يملك كثيراً من الثروات والخيرات، بالإضافة للموقف الشجاع وغير المتردد من الوضع يجعل ترامب وأدواته في المنطقة ترتعد فرائصهم عندما يصحون على تفعيل معاهدات الدفاع المشترك البينية للدول العربية.

ثانيًا: تحقيق نتنياهو وعصاباته اليمينية المتطرفة لكل تهديداته التي تشدق بها أنه سيغير خريطة الشرق الأوسط بحيث يكون ميدانًا مفتوحًا له وللحركة الصهيونية يعبث بها كيفما يشاء: يغير الحكام ويستبدلهم، ينهب خيرات الأمة ويستولي على مقدراتها، ويطوع سكانها، وإقامة كيانه من النيل إلى الفرات، ويصبح السيد الذي يطاع وينفذ عبيده كل رغباته.

ثالثًا: فئة تطالب حماس بالإسراع بتسليم سلاحها ومغادرة القطاع والتخلي عن حكم غزة، وتحملها مسؤولية كل ما آلت إليه الأوضاع في القطاع من تدمير وقتل وتهجير، ولا يخلو خطابها من الشماتة بما حصل، وتعد العدة لتسلم مقاليد أمور غزة لتفعل وتعبث كيفما تشاء، مفترضة أن حماس ومن ورائها المقاومة قد هُزمت، وأن الكيان حقق كل ما كان يطمح ويخطط له.

رابعًا: تتوسل حكومات عربية وإسلامية الكيان الصهيوني أن يرأف بحالها ويجبر بخاطرها أمام شعوبها، وتعلن بصوت مسموع أنها لا تعادي السامية ولا تكره الصهيونية، وأنها تقاوم وتتصدى للإرهاب. لكن الكيان لن تأخذه فيها شفقة ولا رحمة، وخير دليل على ذلك ما يصرح به ترامب بقراراته الحمقاء باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد الاعتراف بالدولة الفلسطينية ويرفض إدانة العدوان على غزة ووقف الحرب. فهذا التاجر الصهيوني الجشع لا يشبع ولا يرتوي مهما أكل وشرب من دماء ولحوم الشعوب الضعيفة والمستكينة لقدرها. والسؤال هنا يطرح نفسه: هل يدوم هذا الحال؟ وهل يقبل الكيان بوقف الحرب وتبادل الأسرى والانسحاب من غزة؟ كما تتداول وسائل الإعلام أن قطر ومصر ستطلقان مبادرة جديدة يمكن أن تحظى بقبول الكيان وأمريكا، مفادها:

- هدنة لمدة سبع سنوات.
- تخلي حماس عن سلاحها (وليس تسليمه).
- ألا تعود حماس بأي شكل من الأشكال لحكم غزة.
- تؤول المسؤولية في غزة للجنة الإسناد التي تحظى بقبول الأغلبية عليها عربيًا ودوليًا وفلسطينياً.

في الختام، أَجْزِم بأن الكيان لن يقبل بوقف الحرب لأن ذلك يعني اعترافه بالهزيمة، كما أن المقاومة لن تقبل بالهزيمة والاعتراف بها رغم السموم التي تبثها بعض وسائل الإعلام والمشبوهين في المشهد العربي. وأن ما يحصل مجرد مضيعة للوقت واستهلاك للطاقات، وتيئيس الشعب من المقاومة، ومحاولة دفعه للانقلاب عليها. وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا استطاع العدو ترويض كل المكونات السياسية الفلسطينية والعربية ودفعها للقبول بشروطه والرضوخ لرغباته وتحقيق غاياته.

وكلي ثقة بأن الشعب العربي من محيطه إلى خليجه قد بدأ يستيقظ على ما يُحاك ضده، ولا بد له أن يخرج إلى الشوارع للتعبير عن مطالبه، التي أقلها إجبار هذا النظام الرسمي المتغطرس والمضلل - والذي يتربع بأريحية على سدة الحكم والفتك بالشعب على التصدي لهذا العدو الغاصب، فلا يعقل أن يُسمح لهذا المجرم النازي أن يفعل ما يشاء ويحقق ما يطمح له.

ومطلوب من الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية أن تسارع في رأب الصدع وإنهاء الانقسام وتوحيد الصفوف لمواجهة الخطاب الصهيوني بخطاب فلسطيني قوي صلب حتى يتسنى له إفشال ما يخطط ويرمي له العدو ولا يلقي أي اعتبار للتصريحات الصهيونية وقادة الكيان وآخرهم وزير الطاقة الصهيوني الذي يقول: إن تصريحات قادة الغرب المنافقين لن تغير شيئاً، ولن نقبل بدولة فلسطينية، تهدد أمن الكيان متناسياً أن كيانه قام بدعم من قادة الغرب:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

حلّ الدولتين.. تسويق للوهم
وإصرار على الوقوف في الجانب الخطأ من التاريخ

نعيم إبراهيم - صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

قال رئيس وزراء المملكة المتحدة السيد «كير ستارمر» في مقال له بجريدة «الشرق الاوسط» السعودية في عددها الصادر بتاريخ 23 أيلول / سبتمبر 2025 م «من أجل إحياءِ الآمال المتلاشية لحل الدولتين، أعلنتُ، في وقت سابق، أنَّ المملكةَ المتحدة تعترف بدولةِ فلسطين ونعمل من أجل إعادة بناءِ أسس حلّ الدولتين» و» ما قلته في تصريحي ذلك ينطوي على أصداءِ التَّاريخ والتزامات أجدادِنا. فهو يعبّر عن حقّ الفلسطينيين غير القابل للتصرف لتقرير مصيرهم، وكذلك عن حاجة إسرائيلَ إلى الأمان والأمن. ويتضمَّن وعداً بالعمل من أجل مستقبل أفضل. إلا أنَّ الاعتراف في حدّ ذاته لا يغيِّر الوضع على الأرض. ومن ثم، فإنَّنا نجدّد عهدَنا ببذل تلك الجهود».

تزامن نشر رئيس الوزراء البريطاني مقاله بالجريدة المذكورة مع انعقاد مؤتمر «حل الدولتين» بمقر الأمم المتحدة بنيويورك في اليوم نفسه واستمرار الزخم في « اعترافات دولية متلاحقة بدولة فلسطين.

رد العدو الصهيوني جاء مباشرة من قبل مسؤولين صهاينة وعلى رأسهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو الذي قال في أكثر من مناسبة «إن اعتراف بلدان غربية عدة مؤخراً بدولة فلسطين «ليس ملزماً لإسرائيل بأي شكل ولن تكون هناك دولة فلسطينية» بينما وصفت الولايات المتحدة، اعتراف عدد من الدول الحليفة لها بالدولة الفلسطينية بأنه «استعراضي».

ومن التصريحات الأمريكية في هذا السياق أذكر على سبيل المثال وليس الحصر ما جاء على لسان المتحدثة باسم البيت الأبيض كارولين ليفيت، حيث قالت» إن الرئيس ترامب يرى أن الاعتراف بدولة فلسطين لا يسهم في الإفراج عن الرهائن في غزة، الذي يعتبره الهدف الأساسي في الوقت الراهن، كما أنه «لا يحقق شيئاً يتعلق نحو إنهاء الصراع».

إصرار بريطاني أمريكي رجعي على المساواة بين الضحية (الشعب الفلسطيني) والمجرم السارق الاحتلال الصهيوني يمثل وعد بلفور جديد بمنكهات دولية كنتيجة متوقعة لما يسمى الربيع العربي.

حلّ الدولتين:

يريد أطراف المحور الأمريكي الصهيوني الرجعي أن «يروا مستقبلاً يمكن أن يعيشَ فيه المواطنون العاديون بسلام، ويحاولون إعادةَ بناء حياتهم خالية من العنف والإرهاب، مستقبلاً يمكن أن تنعمَ فيه إسرائيلُ وكلُّ الدول العربية بعلاقات التطبيع، مستقبلاً يتمتع فيه الفلسطينيون بحقوق الإنسان وتقرير المصير، في دولة فلسطينية قادرةٍ على البقاء، وتنعم بالسلام، ويُعاد إعمارها، مستقبلاً يمكن أن تزدهرَ فيه إسرائيلُ وفلسطين - وكلُّ أطفال المنطقة في أمان وأمن والاعتراف

بدولةِ فلسطين هو خطوةٌ حيويةٌ على ذلك الدرب» .

معلوم أن حل الدولتين هو حل مقترح للصراع العربي «الإسرائيلي» يقوم على تراجع العرب عن مطلب تحرير كامل فلسطين وعن حل الدولة الواحدة، ويقوم هذا الحل على أساس دولتين في فلسطين التاريخية تعيشان معًا، هما دولة فلسطين إلى جانب «إسرائيل»، وهو ما أُقِرَّ في قرار مجلس الأمن 242 بعد حرب حزيران العام 1967 وسيطرة العدو الصهيوني على باقي أراضي فلسطين التاريخية.

في العام 1917 اتخذ وعد بلفور المشؤوم وفي العام 1947 كان إعلان تقسيم فلسطين لدولتين عربية و«يهودية» وفي العام 1948 حصلت النكبة الكارثة الكبرى، ووقعت معاهدة كامب ديفيد العام 1979 ومؤتمر مدريد للسلام عقد في العام 1991 واتفاق أوسلو في العام 1993 ومعاهدة وادي عربة العام 1994 وراهناً أصدرت رئاسة المؤتمر الدولي لحل الدولتين بياناً مشتركاً مما جاء فيه أن «المؤتمر الذي انعقد في 24 أيلول 2025 أسفر عن اعتماد إعلان نيويورك الذي حظي بتأييد 142 دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، مؤكداً الالتزام الدولي بحل الدولتين ورسم مسار لا رجعة فيه لبناء مستقبل أفضل للفلسطينيين والإسرائيليين وشعوب المنطقة كلها».

واعتبر البيان أن «إعلان نيويورك يقدم بديلاً مبدئياً وواقعياً لدائرة العنف، داعياً المجتمع الدولي إلى الانتقال من الأقوال إلى الأفعال عبر خطوات عملية وملموسة لتنفيذ الإعلان، مرحباً بتعهدات الدول الأعضاء».

ورحب البيان «بالتعهدات التي أعلنها الرئيس الفلسطيني محمود عباس خلال كلمته في المؤتمر، بما في ذلك الالتزام بالتسوية السلمية ورفض العنف والإرهاب والتأكيد على أن الدولة الفلسطينية لن تكون دولة مسلحة».

كما طالب البيان «القيادة الإسرائيلية بإعلان التزام واضح بحل الدولتين ووقف الاستيطان ومصادرة الأراضي وأعمال الضم، مشدداً على أن أي شكل من أشكال الضم يعد خطأً أحمر للمجتمع الدولي يترتب عليه عواقب جسيمة».

وأكد البيان أن «إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وتحقيق سلام عادل ودائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين هو السبيل الوحيد لتحقيق الاندماج الإقليمي الكامل وفقا لقرارات الأمم المتحدة والمبادرة العربية للسلام».

لا شك أن اعتراف عدد من الدول الكبرى، ب «الدولة الفلسطينية المستقلة» وفق الإستراتيجية التي جاءت في بيان نيويورك يمثل وصمة عار جديد قديم في تاريخ المنظمة الدولية للنيل من النضال الفلسطيني ولا يخلق أملاً حقيقياً في تحقيق سلام فعلي طالما استمر الاحتلال الصهيوني لفلسطين التاريخية وأجزاء أخرى من الأراضي العربية .

لقد جاء هذا التسونامي الدبلوماسي، كما يصفه البعض، في وقت يتعرض فيه الفلسطينيون للإبادة الجماعية في غزة وللاستيلاء على بيوتهم وأراضيهم بالضفة الغربية ولفرض الواقع الصهيوني داخل الأراضي المحتلة العام 1948، مما يعني أن هذا القرار سيكون بلا معنى لأن العدو الصهيوني يحتل فلسطين كل فلسطين ويريد إقامة دولة «يهودية نقية». ولذلك يؤكد الظرفان الذاتي والموضوعي للشعب الفلسطيني ومقاومته وثورته المعاصرة أن من قرروا هذا الاعتراف يصرون على التسويق للوهم والوقوف في الجانب الخطأ من التاريخ.

فلسطين.. من البحر إلى النهر

بقدر ما حاول أصحاب هذا الحل تحشيد أكبر تأييد دولي للمشروع، بقدر ما قدموا تنازلات، لا يراها معظم الفلسطينيين مبررة، بحق المقاومة ودورها في الشراكة الفاعلة في صناعة القرار الفلسطيني دون قوالب أو إملاءات خارجية. وبغض النظر عن المواقف الدولية المتعددة من حل الدولتين، فإن الاحتلال الصهيوني تجاوز هذا الحل وانشغل عملياً بشطب الملف الفلسطيني وبفرض خطة «الحسم» بضم ما تبقى من فلسطين المحتلة وتهويدها؛ وأخذ يتبنى فكرة «السلام مقابل السلام» أو «السلام بالقوة»!.

إن المؤشرات التي ذكرتها لم تحمل جديداً في الموقف الذي تُعبر عنه معظم دول العالم تجاه قضية فلسطين منذ عشرات السنوات؛ وهي لخصت بشكل عام مئات القرارات التي صدرت عن الأمم المتحدة على مدار الـ 55 سنة الماضية؛ وسبق للمنظومة الدولية الداعمة لمسار التسوية أن شكلت مجموعات عمل سياسية واقتصادية وأمنية ومتعلقة باللاجئين بعد اتفاق أوسلو، ولكنها لم تؤدِ إلى نتيجة. كما سبق تبني «خريطة طريق» لإنشاء دولة فلسطينية سنة 2003 خلال سنتين، وانتهت بالفشل بالرغم من الرعاية الأميركية للخطة ومحاولات إنقاذ «إسرائيل» من نفسها، بعد أن رأى المجتمع الدولي أن السلوك والممارسات الإرهابية لحكومة الكيان الصهيوني ستتسبب بإشعال عناصر الغضب والتفجير في المنطقة، وبالتالي سترتد خطراً وجودياً على بقاء الكيان نفسه.

وتندرج كل الطلبات الدولية المتعلقة بالجانب الصهيوني في إطار الرغائب والدعوات والتمنيات. وليس ثمة عقوبات ولا تلويح بعقوبات رادعة لإجباره على الانصياع، لذلك سيكون إعلان نيويورك إعادة تسويق لمسار أوسلو العقيم، وإعادة إنتاج للفشل وهذا سيوفر المزيد من الوقت للاحتلال لمتابعة برامج الصهينة، بينما سيتم متابعة الجانب الفلسطيني وفق آليات عمل دقيقة ومحددة تصب في الجيب الصهيوني، وتتابع الدور الوظيفي لسلطة رام الله في خدمة الاحتلال وسيتم ملاحقة قوى المقاومة الفلسطينية التي تمارس حقها الطبيعي والشرعي في المقاومة وتحرير أرضها من الاحتلال الصهيوني!

على ضوء ما تقدم وكنتيجة حتمية للصراع الوجودي بين الأمة العربية والعدو الصهيوني ينبغي أن يستحوذ تحرير فلسطين كل فلسطين على الوعي الجمعي والسياسي العالمي وأن تتخذ قرارات دولية تاريخية تضمن قيام دولة فلسطينية من البحر إلى النهر. ومن يحاول فرض حلول أخرى ناقصة يقع في إسار الوهم ليس إلا، فما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها .

حرب الإبادة في غزة والمواقف العربية

د. علي زيدان - باحث وكاتب سياسي من لبنان

امتدت حرب الإبادة الشاملة في غزة منذ أوائل شهر تشرين أول/ أكتوبر 2023 إلى اليوم، وقد قاربت السنتين. طوال هذه المدة استمرت الدول الغربية في مواقفها المنحازة إلى الكيان الصهيوني، بينما ظلت الإدارة الأمريكية مشاركة في المواقع الأمامية للقتال إلى جانب الكيان الصهيوني بهدف تصفية القضية الفلسطينية وإبادة الشعب الفلسطيني، والقضاء على فرص بناء دولة فلسطينية مستقلة.

لقد واصلت الولايات المتحدة تزويد الكيان الصهيوني بأحدث الأسلحة الفتاكة شديدة التدمير، بالإضافة إلى المعلومات الاستخبارية، والتضليل السياسي والإعلامي والإنساني. وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال دور شركات توزيع الأغذية الوهمية التي تدعي تقديم المساعدات الإنسانية، بينما هي في حقيقة الأمر أدوات تهدف إلى تجويع الناس المحاصرين وابتزازهم من أجل جمع المعلومات الاستخبارية عن الأسرى الصهاينة والمواقع المحتملة لتنقلات المقاتلين الميدانية. وينبغي القول إن استخدام المساعدات الإنسانية والتجويع كسلاح سياسي هو انتهاك صارخ للقوانين الدولية وحقوق الإنسان. غير أن هذه الممارسات العنصرية التي تحمل طابع النازية والفاشية ليست مستغربة من الدول التي مارست حرب الإبادة ضد شعوب أخرى حول العالم، وساهمت بإنشاء الكيان الصهيوني ودعمه سياسياً، واقتصادياً وعسكرياً وتقنياً منذ السنوات الأولى لتأسيسه عام 1948. بل، وساعدته بشكل مباشر في تطوير منشآته النووية ليصبح رأس الحربة في السيطرة السياسية والاقتصادية على المنطقة العربية.

غير أن ما يُثير الاستغراب أكثر من مواقف تلك الدول الغربية، هو الموقف العام للدول العربية، مجتمعة ومتفرقة، التي لاذت بالصمت المخزي منذ اليوم الأول للحرب. لم تكتفِ تلك الدول بالصمت، بل وقف العديد منها إلى جانب الكيان الصهيوني في عدة مواقف مخزية أظهرت انعدام النخوة والشهامة، كما أظهرت حالة التشرذم والضعف السياسي والاقتصادي، كذلك عكست غياب المشاعر والروابط القومية، باستثناء المواقف المشرفة لبعض الأطراف. فقد اتخذت اليمن حكومةً وشعباً مواقف مشرفة، وكذلك المقاومة اللبنانية بكافة أشكالها، بالإضافة إلى بعض الأصوات الحرة في بعض الدول العربية. إلا أن الموقف العام للدول والحكومات العربية كان منحازاً إلى المواقف الأمريكية والصهيونية بشكل مباشر وغير مباشر. وقد تمثلت هذه المواقف في عدة جوانب كما يلي:

أولاً – الانحياز إلى الرواية الصهيونية الأمريكية. منذ بداية عملية طوفان الأقصى، تبنّت بعض الدول العربية رواية الكيان الصهيوني، حيث أدانت العمليات العسكرية الفلسطينية واعتبرتها عملاً إرهابياً، متجاهلةً أن الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية مستمر منذ عام 1948. كما أن الكيان الصهيوني مارس عمليات التنكيل والتطهير العرقي ضد الفلسطينيين منذ العام 1948 وحتى اليوم.

ثانياً - المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين الصهاينة. منذ بداية عملية طوفان الأقصى دعت بعض الدول العربية إلى إطلاق سراح «الرهائن»، وذلك باعتبار أن المعتقلين الصهاينة هم رهائن عمل إرهابي. بينما جرى تجاهل وجود الأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الصهيونية والتعذيب الوحشي الذي يتعرضون له، وأن عددهم تجاوز عشرات الآلاف، دون أن يذرف أحد دمعة واحدة على معاناتهم.

ثالثاً – التنديد بالمقاومة الفلسطينية. منذ اليوم الأول للحرب، تركزت الإدانات على حركات المقاومة الإسلامية مثل حماس، والجهاد الإسلامي، وتم تصنيفها كجماعات إرهابية متطرفة، مرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين، التي صنفتها بعض الدول العربية كجماعة إرهابية خارجة عن القانون. لقد تجاهلت تلك الحكومات دور فصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى في القتال وأن تلك الفصائل كانت موجودة على الأرض منذ عقود، وقبل استقلال معظم الدول العربية، تقاتل جيش الاحتلال وتسعى إلى تحرير الأرض، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وبناء دولة فلسطينية مستقلة. وينبغي القول إن هذه الحملات الدعائية الممنهجة التي تصور هذا الصراع التاريخي على أنه قتال بين الكيان الصهيوني وبعض الجماعات الإسلامية يهدف إلى تشويه حقيقة النضال الفلسطيني المشروع من أجل الحرية والاستقلال، ونزع الشرعية عن المقاومة الفلسطينية. هذه السياسة تخدم

بوضوح مصالح الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية وتبرير حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني.

رابعاً – منع أي عمل تضامني مع الشعب الفلسطيني. عمدت بعض الحكومات العربية إلى التضييق على نشاط المنظمات الشعبية للتضامن مع السكان المدنيين المحاصرين في غزة، بما في ذلك منع التظاهرات، وحملات مقاطعة الكيان الصهيوني وبضائعه، أو إقامة حملات جمع التبرعات والدعم الإنساني، ما أدى إلى عزل الشعب الفلسطيني عن عمقه العربي والإسلامي. ويمكن القول أن القيود الصارمة التي تفرضها بعض الدول العربية، بالإضافة إلى عمليات القمع، قد يفسران الصمت المطبق الذي لازم مواقف معظم الشعوب العربية، وعدم حدوث أي تحرك جماهيري حتى الآن.

خامساً – إقفال المعابر البرية ومنع دخول المساعدات بالتنسيق مع الكيان الصهيوني. قامت بعض الدول بإغلاق المعابر الحدودية ومنعت دخول المساعدات الإنسانية والإمدادات إلى المحاصرين في قطاع غزة بما في ذلك الغذاء والدواء والوقود، ما ساهم في تشديد الحصار وتفاقم المجاعة بين المحاصرين. وقد تزامن ذلك مع الحصار البحري الذي يقوم به الجيش الصهيوني ضد سفن التضامن العالمية.

سادساً – المساعدات المشروطة بالتنسيق مع الاحتلال. قامت بعض الدول العربية بتقديم بعض المساعدات عن طريق رميها من الجو. وجاءت تلك العمليات من خلال التنسيق المباشر مع الكيان الصهيوني ما يشير إلى قبول واضح بالحصار والتجويع. لكن ظهرت تلك العمليات الهزيلة كمحاولة بائسة لتجميل صورة الاحتلال الذي يسمح بالمساعدات، وصور تلك الحكومات العربية العاجزة أمام شعوبها. وهكذا، جاءت تلك العمليات المنسقة بديلاً عن الدعم الحقيقي للسكان المحاصرين في غزة ضد العدو الذي يمنع عنهم الدواء والغذاء والوقود والماء الصالح للشرب.

سابعاً – إدانة أعمال المقاومة المساندة لغزة. أدانت بعض الدول العربية أيضاً أشكال المقاومة المسلحة العابرة للحدود، بما في ذلك حرب الإسناد التي قامت بها المقاومة اللبنانية، وكذلك الصواريخ الإيرانية واليمنية. أكثر من ذلك ساهمت بعض الدول العربية باعتراض المسيرات والصواريخ الإيرانية واليمنية التي استهدفت الكيان الصهيوني، بينما وافقت على العكس. هذه المواقف عكست بوضوح تام انحياز تلك الدول إلى جانب الكيان الصهيوني.

ثامناً – دور الوسيط الحيادي في المفاوضات. قامت بعض الدول العربية بتأدية دور الوسيط المحايد في المفاوضات بين الكيان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية. وفي كثير من المواقف كان الوسيط العربي يوجه اللوم للفلسطينيين معتبراً أن الفلسطينيين والصهاينة متساوون في المواقف والإجرام، وقد تجاهل الوسيط العربي تماماً واقع الاحتلال والحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني في أرضه. بينما تباهت بعض الدول العربية بمواقفها الحازمة ضد الحرب في أماكن أخرى حول العالم.

تاسعاً – تطوير التطبيع مع الكيان الصهيوني. منذ بداية حرب الإبادة في غزة لم تبادر أي من الدول العربية المطبعة إلى قطع علاقاتها مع الكيان الصهيوني أو سحب السفراء كما فعلت بعض الدول حول العالم. على العكس من ذلك، استمرت بعض الدول العربية في مسار التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتبادل الزيارات وتوسيع أطر الشراكات السياسية والاقتصادية والأمنية معه، في إطار ما يُسمى بـالاتفاقيات الإبراهيمية.

إن هذه المواقف العربية المخزية التي انحازت بشكل واضح إلى جانب الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية، وتبنت رؤيتهما السياسية أدت إلى القضاء كلياً على الموقف العروبي الجامع، الذي كان من الممكن أن يمثل قوة موحدة قادرة على وقف حرب الإبادة في غزة. كما حصل في حرب أكتوبر 1973، حين قامت بعض الدول العربية بوقف إمدادات البترول عن الدول الغربية في موقف عربي موحد دعماً للمجهود الحربي في مصر وسوريا آنذاك. لقد كشفت حرب الإبادة هذه المستمرة منذ نحو السنتين عن مستوى التغلغل الصهيوني والأمريكي في القرار العربي، كما بين استعداد بعض الدول العربية للتضحية بالقضية الفلسطينية من أجل مصالحها الضيقة. هذه المواقف السياسية المخزية لبعض الدول، كانت تصنف في الماضي القريب على إنها خيانة للقضية الفلسطينية، التي كانت تعتبر القضية المركزية للدول العربية. اليوم، تغير المشهد السياسي كلياً. وما كان يصنف تحت باب الخيانة بات يُسمى بالواقعية السياسية، أو المصالح الوطنية العليا لهذه الدولة أو تلك. وهذا يُشير بوضوح إلى الأزمة العميقة السائدة في العالم العربي، حيث تعاني الدول العربية من انقسامات وصراعات داخلية حادة تراكمت عبر سنوات طويلة من الصراع على القرار والسلطة والنفوذ في المنطقة، غذتها الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني. هذا الواقع جعل من الدول العربية مجموعات مشرذمة ومنقسمة تستجدي وساطة الكيان الصهيوني وحمايته، وتعتمد في استمراريتها على دعم الإدارة الأمريكية وحمايتها. ولا شك أن هذه المصالح المشتركة بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني أدت إلى تراجع فكرة العروبة والمصير العربي المشترك، واندحار المشروع القومي العربي الذي يجمع الدول العربية ويوحد صفها وجهودها أمام العدو المشترك.

لا بد من القول، إن هذه المواقف المنحازة إلى الكيان الصهيوني لا تضر بالقضية الفلسطينية فقط، بل توجه الضربة القاصمة إلى مستقبل الأمة العربية جمعاء، ويجعلها قبائل متفرقة وتفقد دورها في العالم.

في ظل هذا الواقع المؤلم، فإن المطلوب اليوم العودة إلى الجذور الفكرية والسياسية التي انطلقت على أساسها المقاومة الفلسطينية من أجل فهم التحولات الجارية في المنطقة. صحيح أن حرب الإبادة في غزة تستهدف إبادة الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته الوطنية لصالح المشروع الاستيطاني الإحلالي الصهيوني، غير أن تلك الحرب تستهدف المنطقة برمتها من أجل تمدد المشروع الصهيوني الأمريكي وإحكام قبضته على كامل المنطقة العربية. وهذا الوضع يتطلب إجراء مراجعات شاملة للمواقف العربية والدولية وتقييم من هم الأصدقاء ومن هم الأعداء، وتبنى السياسات والاستراتيجيات التي تساعد على مواجهة هذا العدوان الصهيوني الأمريكي. لقد أثبتت التجارب التاريخية أن الشعوب التي تناضل من أجل حقوقها المشروعة لا بد أن تنتصر، وأن الاحتلال إلى زوال.

ثَلاثَةٌ بِوَاحِدٍ

صفا أبو ناموس

الْعُدْوَانُ الصَّهْيُونِيُّ الْغَادِرُ عَلَى الشَّقِيقَةِ قَطَرَ، الَّذِي كَانَ يَسْتَهْدِفُ قَادَةَ حَمَاسَ وَفَشِلَ فِي تَحْقِيقِ هَدَفِهِ، يُعْتَبَرُ اعْتِدَاءً وَعُدْوَانًا عَلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ وَرَاءِهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَعَلَى الشَّرْعِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ وَمُؤَسَّسَاتِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وكل مواثيقها ، وَكَانَتْ رَدَّةُ الْفِعْلِ كَمَا هُوَ مُتَوَقَّعٌ، وَلَمْ يُخِبْ ظَنَّ الْمُواطِنِ الْعَرَبِيِّ بِقِيَادَتِهِ الَّتِي أَصْدَرَتْ بَيَانَاتِ الشَّجْبِ وَالِاسْتِنْكَارِ، وَوَصَفَ الْعُدْوَّ الصَّهْيُونِيَّ (بَعْضُهُمْ تَجَرَّأَ) وَوَصَفَهُ بِأَفْظَعِ الْمُفْرَدَاتِ، وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ تَجَنَّبَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى ذِكْرِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَرَئِيسِهَا، حَلِيفِ النَّازِيِّ نِتْنِيَاهُو وَعَصَابَتِهِ، الَّتِي قَامَتْ وَتَقُومُ بِالتَّطْهِيرِ الْعِرْقِيِّ وَالْهَدْمِ وَالتَّهْجِيرِ وَاسْتِبَاحَةِ كُلِّ مَا هُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ فِي غَزَّةَ، وَالْعَبَثِ بِالضَّفَّةِ وَالْقُدْسِ، وَتَقْوِيضِ حَلِّ الدَّوْلَتَيْنِ.

رَكَّزَ الْبَيَانُ الْخِتَامِيُّ لِلْقَادَةِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّضَامُنِ مَعَ قَطَرَ وَالْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِهَا، وَالِاسْتِمْرَارِ بِالتَّحَرُّكَاتِ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ لِشَرْحِ مَخَاطِرِ الْعُدْوَانِ وَالشَّجْبِ وَاسْتِنْكَارِ مَا حَصَلَ.

كَانَتِ الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ تَنْتَظِرُ رد فعل جَمَاعِيٍّ، وَلَيْسَ بَيَانَاتٍ فَارِغَةً لَا تُسَاوِي الْحِبْرَ الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ. كَانَ يَنْتَظِرُ من الْقِمَّةِ أَنْ تَتَّخِذَ قَرَارَاتٍ عُقُوبِيَّةً تُرْدِعُ النَّازِيَّ نِتْنِيَاهُو وَعَصَابَتَهُ، مثل وَقْفِ التَّطْبِيعِ، وَإِعَادَةِ النَّظَرِ بِالْمُعَاهَدَاتِ الَّتِي أُبْرِمَتْ مَعَهُ، وَقَطْعِ كُلِّ الْعَلَاقَاتِ مَعَهُ بِكَافَةِ أَشْكَالِهَا، وَوَقْفِ تَزْوِيدِ وَتَمْرِيرِ الْأَسْلِحَةِ لَهُ هو الَّذِي يَقْتُلُ الشَّعْبَ الْفِلَسْطِينِيَّ، وَيَضْرِبُ لُبْنَانَ وَسُورِيَا وَالْيَمَنَ وَقَطَرَ، وَالْحَبْلُ عَلَى الْجَرَّارِ. إِن هَذَا الْفَاشِيَّ يُرِيدُ أَنْ يبرهن عبر هذه الضربة أَنَّ الْمِنْطَقَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَصْبَحَتْ تَحْتَ نُفُوذِ الصُّهَايِنَةِ النَّازِيِّينَ الْجُدُدِ، وَأَنَّ وَجْهَ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ قَدْ بَدَأَ يَتَغَيَّرُ بِكُلِّ مَا يرغبون ويخططون له.

فَالْمَسْؤُولِيَّةُ الْآنَ تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تَحْذُوَ حَذْوَ شُعُوبِ أُورُوبَّا، وَتُجْبِرَ حُكَّامَهَا عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ حاسمة في مواجهة هذا التغول الصهيوني.

فِي 22 أَيْلُولَ عقدت الْجَمْعِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ جَلْسَةً نَاقشت فِيهَا الاعتراف بِدَوْلَةِ فِلَسْطِينَ، وكان عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يُجْمِعُوا عَلَى اتِّخَاذِ مَوْقِفٍ بتَجْمِيدِ عُضْوِيَّةِ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ فِي الْجَمْعِيَّةِ الْعَامَّةِ، وَإِجْبَارِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ عَلَى تَبَنِّي هَذَا الْقَرَارِ، لِأَنَّ الدُّوَلَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ قَادِرَةٌ عَلَى تَجْمِيعِ ثُلُثَيِ الْأَصْوَاتِ، وَهَذَا يُشَكِّلُ خِدْمَةً وَدَعْماً لِأَنْصَارِ السَّلَامِ فِي الْعَالَمِ.

قمة الدوحة

خطاب تصعيدي وقرارات متواضعة

محمد حسين - كاتب وصحفي فلسطيني- سورية

جميع الأنظار كانت متجهة نحو القمة العربية الإسلامية في الدوحة، خاصة بعد التصريحات الصحفية النارية التي صدرت من أكثر من مسؤول عربي وإسلامي قبل انعقاد القمة، حيث كانت التصريحات تشي باتخاذ إجراءات ضد الكيان الصهيوني، لكن ماذا جرى في كواليس هذه القمة، تشير بعض المصادر الصحفية أن بعض الدول العربية والإسلامية حاولت أن تضغط باتجاه اتخاذ القمة العربية والإسلامية إجراءات فاعلة ومؤثرة ضد الكيان الصهيوني دبلوماسية واقتصادية، حيث حاولت كل من ماليزيا.. تركيا.. قطر.. الجزائر.. العراق.. إيران.. التقدم باقتراح فرض عقوبات دبلوماسية، واقتصادية إلا أنها لم تنجح في مساعيها بسبب رفض بعض الدول العربية هذا الاقتراح تحت مبرر أن هذا العمل شيء سيادي يخص هذه الدول، وكان الحل الوسط أن يخرج من القمة قرار ينص على مراجعة العلاقات مع إسرائيل إذا لم تلتزم بالشرعية الدولية وتوقف الحرب على غزة، وهذا ما جاء في إحدى فقرات البيان الصادر عن القمة.

مصادر صحفية مطلعة تؤكد أن المبعوث الأمريكي توماس باراك والموجود في الدوحة لعب دوراً من خلف الكواليس عبر وعود أطلقها لبعض الزعماء العرب وغير العرب بإنهاء الحرب على غزة بالتفاوض وأن وزير الخارجية الأمريكي روبيو موجود في إسرائيل من أجل ذلك، وأن أي إجراء من قبل القمة ممكن أن يعقد الأمور.

لكن الذي حصل غير ذلك حيث تبنى وزير الخارجية الأمريكي روبيو في المؤتمر الصحفي مع نتنياهو الموقف الإسرائيلي عندما قال (إما أن توافق حركة حماس على شروط إسرائيل لوقف الحرب أو من حقها القيام بعملية عسكرية لتحقيق تلك الأهداف) لكن بحسب المصادر الصحفية اشترط سقفاً زمنياً لا يتجاوز ثلاثة أشهر لتنفيذ ذلك.

الاحتمالات القادمة:

على ضوء ما تمخض من قرارات للقمة العربية والإسلامية والتي لم تتعدَ سوى كلمات الشجب والإدانة، وما أصدره مجلس الأمن الدولي من بيان صحفي يدين العدوان على الدوحة لم يرتقِ إلى مستوى قرار تجنباً للفيتو الأمريكي، هناك احتمالان:

إما أن تفضي هذه الاجتماعات والقادمة منها في الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى بلورة موقف عربي وإسلامي ودولي وطرح مبادرة لوقف الحرب على غزة عبر قرار ملزم من مجلس الأمن تضع أمريكا في مواجهة العالم إذا استخدمت حق النقض الفيتو وتعري الموقف الأمريكي الذي يتخفى خلف عبارات الحل الدبلوماسي والحرص على شعب غزة.

الاحتمال الثاني في المشهد

أن تستمر إسرائيل بعمليتها العسكرية واحتلال مدينة غزة ومن ثم احتلال المنطقة الوسطى من غزة وفرض حكم عسكري عليها، و نجاح هذا الخيار سيكون محكوماً بالميدان، لكن إذا نجحت ستنتقل بعد ذلك إلى تنفيذ خطة سيمويتش خطة الحسم التي يتبناها نتنياهو في الضفة الفلسطينية عبر تفكيك السلطة الفلسطينية وفرض السيطرة العسكرية عليها، وبهذا تصبح كافة مناطق 67 تحت الحكم العسكري الإسرائيلي المباشر ليعود الصراع إلى البدايات .

الأوراق الفلسطينية للمواجهة:

بات واضحاً للشعب الفلسطيني وقياداته المختلفة حدود ردة الفعل العربي والإسلامي والعالمي على حرب الإبادة التي تنفذها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في غزة ومخططاتها في الضفة الفلسطينية إذا لم تحدث مفاجآت، فلم يعد خافياً على أحد أن «إسرائيل» لا تريد (أسراها) فالذي يغتال الوفد المفاوض الذي يمكن من خلاله أن يبرم صفقة لتبادل الأسرى أو الاتفاق على وقف إطلاق النار لا يريد أسراه، وإسرائيل لا تريد سلاح المقاومة الذي لم يعد يشكل خطراً كبيراً عليها بعد الضربات القوية التي وجهت له، وأن هذه المقاومة لم تعد تملك سوى الأسلحة الفردية وبعض العبوات الناسفة حسب القادة العسكريين، الحقيقة أن إسرائيل تريد تدمير المشروع الوطني الفلسطيني هذا هو هدفها الحقيقي، وتستخدم ملف الأسرى وسلاح المقاومة المبرر لاستكمال أهدافها، إن اعتراف نتنياهو أن (إسرائيل تعاني من عزلة سياسية على الصعيد العالمي ، وبعض الحصار العسكري) ويمكن أن تعاني من الحصار الاقتصادي ، هذا يعني أن إسرائيل مستعدة لتحمل تبعات هكذا إجراءات مادام الدعم الأمريكي متواصلاً وقوياً وستواصل حربها على غزة.

السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة لماذا لا يعقد لقاء على مستوى قادة الفصائل الفلسطينية إلى الآن لمناقشة كيفية وقف العدوان على غزة والضفة، وكيفية حماية المشروع الوطني الفلسطيني، وكيفية إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية وضم الجميع إليها، فالمركب الفلسطيني كله بات في دائرة الاستهداف؟

لسان نتنياهو يقول «لا فرق بين فلسطيني وآخر سوى بالموت أو التهجير أو الاستسلام».

الصمت العربي
ضوء أخضر للإبادة في غزة

وفاء حميد صحفية فلسطينية سورية

منذ بدء العدوان على غزة، وعبارة صفقة وقف إطلاق النار لم تهدأ، كانت تعلو البيانات والتصريحات وتبدأ الاجتماعات، ومازالت غزة، تمحى كما تمحو الممحاة الكلام على الورق...

بدأت أولى محاولات وقف إطلاق النار في غزة عند بداية حرب الإبادة عام 2023. وقد توصل الاتفاق إلى وقف القتال لمدة أربعة أيام تبدأ في2023/11/24، مع إمكانية تمديد وقف إطلاق النار بشرط إطلاق سراح المزيد من الأسرى. وقبل نهاية اليوم الرابع أعلنت قطر التوصل لاتفاق لتمديد الهدنة يومين جديدين بنفس الشروط السابقة. وقبل انتهاء اليوم السادس أعلنت وزارة الخارجية القطرية موافقة الطرفين على تمديد الهدنة لمدة يوم سابع. وبانتهاء اليوم السابع واصل جيش الاحتلال قصف كل مناطق غزة.

وفي المحاولة الثانية لوقف إطلاق النار الذي بدأ في 19 كانون الثاني، من ثلاث مراحل، تضمن تبادلا للرهائن المحتجزين لدى حماس في غزة مقابل سجناء ومعتقلين فلسطينيين في (إسرائيل)، بهدف إنهاء الحرب في نهاية المطاف. وبعد انتهاء المرحلة الأولى من خطة صفقة التبادل، أصدر مكتب نتنياهو استئناف الهجمات على غزة زاعماً رفض حركة حماس «مرة تلو أخرى إعادة مخطوفينا، وكذلك رفضها كل المقترحات التي تلقتها من المبعوث الأميركي ستيفن ويتكوف والوسطاء». وخرقت (إسرائيل)وعدها بالانسحاب من محور «فيلادلفيا»، وقررت منع دخول المساعدات الإنسانية إلى غزة وإغلاق المعابر الحدودية.، ولم يتم استئناف تنفيذ الخطة والبدء بالمرحلة الثانية.

وأما في المفاوضات الأخيرة لوقف إطلاق النار، في هذا العام 2025 بعد آخر اختراق من المحاولة الثانية، عقدت عدة اجتماعات وأصدرت بيانات حول القيام بمحاولة جديدة لوقف إطلاق النار، ومازالت (إسرائيل) تواصل حرب الإبادة الجماعية، والكل شاهد على هذا، ونيام عنها، خفيت ملامح المدن فيها والأبنية والمؤسسات، كلها سويت على الأرض وكأن يد الشيطان أمسكت القطاع في قبضتها وطحنته حتى غدا رملا ولم يعد يرى فيها أي ملامح للمدينة، أما واقع النزوح والتهجير الحاصل داخل قطاع غزة، فيوثق تقرير سابق لمنظمة هيومن رايتس ووتش أن «إسرائيل تستخدم وسائل قذرة لصناعة النزوح: القصف العشوائي، تدمير شامل للمستشفيات والمدارس، قطع المياه والكهرباء، ومنع المساعدات والتجويع. كل ذلك لكسر إرادة المدنيين ودفعهم للرحيل». فالصمت العربي أعطاها الضوء الأخضر لمتابعة إبادتها بحق الشعب الفلسطيني...

وفي المقابل نجد تصريحات الدول الغربية حول غزة إدانتهم بشدة إعلان الحكومة الإسرائيلية الأخير تكثيف الهجوم العسكري على قطاع غزة. آيسلاندا وإيرلندا ولوكسمبورغ ومالطا والنرويج والبرتغال وسلوفينيا وإسبانيا في البيان الصادر اليوم الأحد»،

وفي مشهد نادر نشاهد رئيس البرازيل يحيي نظيره الكولومبي بقبلة على الجبين، لدعوته في تصريح له، إلى تشكيل «جيش دولي قوى» لتحرير فلسطين والدفاع عن شعوبها ضد ما وصفه ب»الطغيان والشمولية» التي ترعاها الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي والشمولية»، ويأتي السؤال هنا، دول غربية رأت المظلومية والابادة في غزة، أين العرب أبناء الدم واللغة والوطن الواحد من كل سفك هذا الدماء؟

اتفاقية الدفاع السعودية الباكستانية...
بين العلاقات التاريخية والعدوان على قطر

رضي الموسوي - كاتب صحفي من البحرين

تقرن الكثير من وسائل الإعلام العالمية التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك بين السعودية وباكستان الموقعة في 17 سبتمبر/أيلول 2025، بالعدوان الصهيوني على العاصمة القطرية الدوحة ومحاولة الاغتيال الفاشلة لقادة حركة حماس قبل أسبوع من توقيع الاتفاق، والتي أدت لاستشهاد 5 بينهم رجل أمن قطري. كانت تداعيات العدوان متسارعة، فعقد مجلس الأمن الدولي جلسة استثنائية طارئة لمناقشة الأمر، وباستثناء أمريكا، فقد ادان كل المتحدثين في تلك الجلسة عدوان الكيان على قطر،

وخرج الاجتماع ببيان إدانة للفعل الصهيوني دون أن يسمي الفاعل. وبعد ثلاثة أيام من اجتماع مجلس الأمن عقدت القمة العربية الإسلامية في 15 سبتمبر الجاري بالدوحة وأصدرت بياناً ختامياً باهتاً اقتصر على الإدانة وتهريب المشكلة وتحميلها على ظهر المجتمع الدولي دون أي فعل حقيقي على الأرض، واعتبر المجتمعون أنهم قاموا بالواجب المطلوب، وهو نفس رد الفعل الباهت على جرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي التي ترتكبها قوات الاحتلال في قطاع غزة والضفة الغربية بحق الشعب الفلسطيني. بيد أن الاتفاق السعودي الباكستاني، الذي وصفته العديد من وسائل الإعلام بأنه «استراتيجي»، جاء وكأنه ضربة معلم سعودية في توقيت دقيق ومعقد تمر به المنطقة العربية التي تتعرض لحرب وجودية مصيرية في فلسطين ومحاولات تفتيت سوريا ولبنان واليمن، فضلاً عن إضعاف البلدان العربية أكثر مما هي عليه الآن لتمرير مخطط «إسرائيل الكبرى» الذي أعلن عنه مجدداً رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو بعد أن مهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الطريق له عندما صرح بأن «إسرائيل دولة صغيرة في محيط كبير ومساحتها لا تسعها». وقد جاء الاتفاق بين الرياض وإسلام آباد بعد أن شعرت دول المنطقة «الحليفة» للولايات المتحدة الأمريكية أن مظلة واشنطن الحمائية لا تشمل هذه الدول إذا كان العدوان صهيونياً، حيث تتشابك المصالح والأهداف الصهيونية مع المصالح والأهداف الأمريكية حد التطابق، وفق ما يؤكد ترامب مراراً، حتى أن دفعت دول المنطقة مبالغ فلكية إضافية على ما دفعته في جولة الرئيس الأمريكي لثلاث دول خليجية قبل عدة أسابيع.

تسبب العدوان الصهيوني على قطر في تبديد جزء من وهم الحماية الأمريكية-الغربية لدول الخليج العربية، وتأكدت أهمية الاعتماد على الداخل بدلاً من الاعتماد على الحماية الأجنبية التي لن تأتي بالمن والسلوى للمنطقة بقدر ما أنها تبحث عن مصالحها في منطقة ملتهبة.

فما هي جذور وأبعاد اتفاقية الدفاع المشترك السعودية الباكستانية؟

تعود العلاقات بين الرياض وإسلام آباد إلى تاريخ تأسيس الدولة الباكستانية عام 1947 عندما قررت باكستان بقيادة محمد علي جناح الانفصال عن الهند عشية الاستقلال عن الإمبراطورية البريطانية التي خرجت مثخنة بالجراح من الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، فقد وجدت السعودية أنه يمكن لباكستان المؤسسة للتو أن تكون حليفاً مهماً في العالم الإسلامي، إذ كانت الرياض بحاجة لصداقات وتحالفات تعزز مكانة الدولة السعودية الثالثة الفتية، التي تأسست في 1932. كانت باكستان الوليدة بحاجة للدعم الاقتصادي والسياسي، وكانت السعودية تمتلك ثروة تشكل عصب الاقتصاد العالمي ومحركه، ألا وهي الطاقة، فزودت الرياض إسلام آباد بها بأسعار تفضيلية لعدة عقود، فضلاً عن القروض الميسرة والمنح التي ساعدت الاقتصاد الباكستاني على النهوض، وقابلتها إسلام آباد بمواقف سياسية داعمة للسعودية وبدخولها تحالفات إقليمية كما هو الحال مع التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب الذي تشكل إثر حرب اليمن في 2015. والبلدان عضوان أساسيان في منظمة التعاون الإسلامي. وتعد السعودية واحدة من أقوى المؤيدين لباكستان خلال حروبها مع الهند، وهي عارضت قرار انفصال بنغلاديش عن باكستان في عام 1971. وحول الصراع في كشمير، تدعم السعودية موقف باكستان، وتؤيد الموقف الباكستاني في عملية السلام الهندية الباكستانية. أما إزاء التدخل السوفيتي في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، فقد دعم البلدان، مالياً وسياسياً وبشكل كبير، حركة المجاهدين الأفغان وتم الدفع بمتطوعين عرب للحرب هناك. وخلال حرب الخليج الثانية في الفترة 1990-1991، أرسلت باكستان قوات لحماية الأماكن المقدسة في السعودية، رغم أن بعض السياسيين والقادة العسكريين الباكستانيين عبروا عن وقوفهم إلى جانب النظام في العراق وغزوه للكويت.

شكلت هذه العلاقات التاريخية أرضية صلبة لتطوير العلاقات السعودية الباكستانية بما يسمح بالتقدم خطوات نحو تحقيق هذا الاتفاق.

العلاقات الاقتصادية

تعتبر السعودية أكبر مصدر للنفط لباكستان وتقدم لها مساعدات مالية كبيرة، وفيها نحو مليوني مهاجر من العمالة الباكستانية يحولون أكثر من 4.5 مليار دولار سنوياً، تشكل مصدراً رئيسياً للعملات الأجنبية لباكستان. وقد تعززت العلاقات إلى أبعد من الدعم النفطي والقروض، وخطا البلدان في السنوات الأخيرة نحو الأمام ووضعا خططاً لتوسيع التعاون الثنائي في مجالات التجارة والتعليم والعقارات والسياحة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والزراعة. تحتل السعودية المرتبة الثانية على مستوى المنطقة بصفتها شريكاً تجارياً لباكستان، والرابعة على مستوى العالم، وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين في السنوات الخمس الماضية أكثر من 80 مليار ريال (21.3 مليار دولار). وتساهم السعودية في تطوير العلاقات التجارية مع باكستان من خلال مجلس التعاون الخليجي، والذي وقع مع إسلام آباد اتفاقية تجارة حرة في 2023. نشير إلى أن حجم التبادلات التجارية بين باكستان ودول مجلس التعاون الخليجي في العام 2022 قد بلغ 23.3 مليار دولار أمريكي، حسب المركز الإحصائي الخليجي، وأنه في عام 2019، قررت السعودية دفع 20 مليار دولار لتمويل المشاريع التنموية في باكستان. وفي أبريل 2024 أعلنت السعودية وباكستان التزامهما بتسريع الموجة الأولى من حزمة استثمارية بقيمة 5 مليارات دولار.

كما أعلنت شركتا أرامكو وسابك السعوديتان عن إقامة مصفاة للنفط وصناعة البتروكيماويات بقيمة 10 مليارات دولار في المياه العميقة لميناء جوادر في إقليم بلوشستان تبلغ طاقتها المقترحة 500,000 برميل يومياً. وفي النصف الثاني من سبتمبر/أيلول 2025 أعطت السعودية موافقتها النهائية على بناء المصفاة التي ستساهم في عملية نقل النفط من السعودية إلى الصين ودول آسيا الوسطى وستختصر عملية نقل الوقود إلى الصين عبر باكستان لتستغرق 7 أيام فقط، في حين كانت تستغرق 40 يوماً من خلال الطريق الغربي عبر المحيط الهندي، علماً أن الصادرات النفطية السعودية إلى باكستان في 2024 قد بلغت 15.4 مليار دولار. وكانت السعودية قد أقرضت باكستان 3 مليارات دولار في شهر ديسمبر/كانون الأول من العام الماضي لدعم الاحتياطي من النقد الأجنبي.

اتفاقية الدفاع المشترك

ربما يكون التعاون الأمني والعسكري هو العمود الفقري للعلاقات بين البلدين. فالدولة الباكستانية التي يبلغ عدد سكانها 255 مليون نسمة، وهو يعادل عدد سكان تركيا وإيران والسعودية مجتمعين، ما يجعلها عمقاً بشرياً مهماً لدول مجلس التعاون الخليجي الذي لا يتجاوز عدد سكانه 61.2 مليون نسمة أكثر من نصفهم من الأجانب الوافدين للعمل من عشرات الدول.

تشكل العلاقات الأمنية والعسكرية أهمية كبيرة منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث استعانت السعودية بالخبرات الباكستانية في تدريب قواتها المسلحة. وبرز الدور الباكستاني في سلاح الجو بشكل خاص، عندما شارك طيارون باكستانيون في حماية الأجواء السعودية في فترات التوتر في المنطقة، ومنها تأمين المنشآت الحيوية السعودية في ثمانينيات القرن الماضي إبان اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية.

نشر موقع «غلوبال فاير باور» المختص بالشؤون العسكرية للدول، إحصائية لعام 2025، بين فيها أن البلدين يشكلان قوة عسكرية كبيرة لا يستهان بها إذا تم تفعيلها في أي عمل عسكري ومنه مواجهة التغول الصهيوني. فوفق التصنيف الدولي تعتبر السعودية القوة العسكرية رقم 24 من أصل 145 دولة، وبعدد سكان يبلغ 34 مليون نسمة، بينما تصنف باكستان القوة العسكرية رقم 12 عالمياً بعدد سكان يبلغ 255 مليون نسمة. وتبلغ القوة العسكرية البشرية للسعودية 407 آلاف فرد، فيما تبلغ القوة العسكرية الباكستانية 1.7 مليون فرد.

جاء توقيت اتفاقية الدفاع المشترك بين السعودية وباكستان في وقت تشهد فيه المنطقة العربية تطورات دراماتيكية خطيرة خصوصاً لجهة استمرار الإبادة الجماعية والتطهير العرقي الذي تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني في قطاع غزة والضفة الغربية بحق الشعب الفلسطيني، حيث يقترب عدد الشهداء من 70 ألفاً أكثر من نصفهم أطفال ونساء بخلاف آلاف المفقودين وأكثر من 150 ألف جريح، فضلاً عن 90 بالمئة من السكان قد أُجبروا على النزوح لعدة مرات، تجسيداً لأهداف الكيان والولايات المتحدة الأمريكية في طرد أهالي غزة من القطاع لتنفيذ مخطط «إسرائيل الكبرى». وربما يكون التوقيت قد جاء ليرسل أيضاً رسائل إقليمية ودولية إزاء أمن الخليج العربي الذي يعيش في منطقة تعاني من عدم الاستقرار منذ عقود طويلة.

إن أهم بند نصت عليه الاتفاقية هو «إن أي عدوان على أي من البلدين يُعد عدواناً على كليهما»، وهذا يعني الأمن الجماعي الذي تسير إليه التحالفات الدولية والإقليمية مثل حلف الناتو.

نصت الاتفاقية أيضاً على «تعزيز برامج التدريب العسكري عبر تبادل الخبرات وإرسال بعثات مشتركة، إلى جانب التعاون في الصناعات الدفاعية»، حيث تسعى السعودية لتوطين 50% من صناعاتها الدفاعية، وباكستان تملك خبرة متقدمة في مجالات التصنيع العسكري وخاصة في الذخائر الخفيفة وتكنولوجيا الصواريخ والطائرات من دون طيار، مما يجعل هذا التعاون رافعة عملية لطموحات الرياض في بناء قاعدة صناعية دفاعية محلية، وتجسيداً لرؤية 2030.

الأكثر حساسية هو البعد النووي غير المباشر، فباكستان دولة نووية معلنة تمتلك

نحو 170 رأساً نووياً، كما تمتلك ترسانة معتبرة من الرؤوس والصواريخ الباليستية، بينما لا تمتلك السعودية قدرات نووية عسكرية لكنها تملك موارد مالية هائلة وشبكة تحالفات إقليمية. وأن الإشارة في الاتفاقية تؤكد على أن الدفاع المشترك يشمل الأسلحة النووية، وفق تصريحات مسؤولين سعوديين وباكستانيين.

لم تكن الاتفاقية وليدة العدوان على قطر، بل هي نتاج عمل مشترك بين الرياض وإسلام آباد امتد لعدة سنوات، ونتاج علاقات وثيقة، فالمسؤولون السعوديون يؤكدون أن المفاوضات بين الطرفين استمرت ثلاث سنوات، بل إن شبكة بي بي سي البريطانية نشرت تقريراً في نوفمبر العام 2013، كشف فيه أن السعودية ربما تكون أقرب للحصول على الأسلحة النووية من إيران. وأشار التقرير إلى أن «الرياض ضخت استثمارات ضخمة في مشاريع باكستانية للأسلحة النووية وذلك للحصول عليها في حال أرادت ذلك». وذكر التقرير أن معلومات (إسرائيلية) بشأن استعداد السعودية حالياً لتسلم رؤوس حربية جاهزة لصواريخها بعيدة المدى وصلت إلى الاستخبارات الأمريكية والاستخبارات في حلف شمال الأطلسي (ناتو).

لا شك أن توقيع الاتفاقية أثار الكثير من ردود الفعل المعلنة والصامتة، الصاخبة والهادئة. ثمة أطراف معنية بما حصل وعلى رأسها:

فالكيان الصهيوني الذي يبدو أنه لم يحسب حساباته بدقة كبيرة عندما هاجم قادة حماس في الدوحة، خصوصاً أن استخباراته والاستخبارات الأمريكية يمكن تعقبهم خارج منطقة الخليج، وفق تقديرات العديد من مسؤولي المنطقة والمراقبين. يرصد الكيان التحرك الباكستاني تجاه السعودية خصوصاً والخليج عموماً، وهو يسعى لتشكيل طوابير خامسة من العمالة الوافدة التي تغرق أسواق العمل الخليجية ويمكن اصطياد العديد منهم بحفنة من المال. وعندما يفكر الكيان في تنفيذ مخططاته عن الشرق الأوسط الكبير و«إسرائيل الكبرى» فإنه ينظر لاتفاق كهذا يشكل خطراً عليه ويكشف مراميه التوسعية وأهدافه الحقيقية التي كانت مخفية بأقنعة كشف السابع من أكتوبر الغطاء عنها.

أما إيران فهي الطرف الثاني الذي يراقب مسار الاتفاق وتفاصيله. فالتوجس الذي تبديه طهران من هذا الاتفاق عندما يتحول الاتفاق إلى حلف يواجه إيران والعراق واليمن ولبنان. وهذا يضع إيران أمام خيارات معقدة في كيفية التعامل مع هذا الاتفاق، وذلك بفحصه جيداً والتأكد من أنه لا يستهدفها بل يستهدف التوسع الصهيوني الذي أعلن عنه نتنياهو ومسؤولون صهاينة عدة مرات منذ طوفان الأقصى.

كما أن الهند معنية أيضاً وربما أكثر من غيرها حيث أن الاتفاق وقع مع دولة جارة تربطها حدود كبيرة وعداوات ممتدة منذ تأسيس الهند وباكستان عام 1947، حيث خاضت ثلاث حروب كبيرة أهمها انفصال بنغلاديش (باكستان الشرقية) عن الوطن الأم في العام 1971، بينما لا يزال جرح كشمير نازفاً بين البلدين. ولم تهدأ على الحدود التي تمتد لنحو 1250 كيلومتراً إلا بعد تحول البلدين إلى قوتين نوويتين. ورغم بعض التفاهمات، فإن التوترات المتراكمة تطغى أحياناً وتتفجر كما حصل في مايو 2025 عندما حصلت المواجهة الجوية المحدودة التي انتهت بسرعة، وربما بفضل الصواريخ الصينية. وفي هذا السياق تسعى السعودية للتوازن بين توقيع الاتفاق مع إسلام آباد وبين تمتين واستقرار العلاقة مع نيودلهي، حيث أعلنت السعودية في 2019 أنها سوف تستثمر 100 مليار دولار في الهند. وخلال الزيارة التي قام بها ولي العهد السعودي تم التوقيع على 50 اتفاقية بين البلدين تستثمر بموجبها الرياض عشرات المليارات من الدولارات. يُذكر أن السعودية مورد نفطي رئيسي للهند حيث يبلغ حجم التصدير نحو 1.934 مليون برميل يومياً وهو ما يعادل نحو 31.5% من إجمالي الصادرات النفطية السعودية.

ولا يمكن غض النظر عن الدور التركي. فبالرغم من أنها لا تمتلك حدوداً مع السعودية وباكستان، لكنها معنية بالتوازنات في المنطقة وتبحث لها عن دور إقليمي فاعل بعد أن يئست من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وهي قوة لا يستهان بها وتعلن وقوفها في الآونة الأخيرة ضد الصلف الصهيوني، إعلامياً على الأقل، وربما ترى في هذه الاتفاقية إضعافاً نسبياً لموقعها في منطقة الخليج. بيد أن الأطماع التركية في سوريا والعراق تجعلها مترددة لتراجع مجمل المواقف ومناطق النفوذ التي يمكن تقاسمها مع الآخرين، دون فقدان علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع المنطقة والتي تعتبرها أنقرة ضرورية لاقتصادها وحياة شعبها المعيشية.

أما الولايات المتحدة فهي لم تعلن ردود فعل واضحة تجاه الاتفاق العسكري بين الرياض وإسلام آباد، فالبلدان «حليفان»، لكنها تتحسس ردود فعل مجلس التعاون على تواطؤ إدارة ترامب مع نتنياهو إزاء استهداف قادة حماس في الدوحة. فمبررات ترامب لم تُقنع دول المنطقة عندما ادعى أنه لم يكن على علم بالعدوان قبل حدوثه، ودول الخليج العربية استرجعت واستذكرت العدوان على إيران في يونيو/حزيران الماضي، حيث كان يُحدد موعد المفاوضات على البرنامج النووي، في الوقت الذي كانت فيه الإدارة الأمريكية تخطط مع الكيان لضرب المفاعلات النووية الإيرانية، وقد شاركت واشنطن في الهجوم على مفاعل «نطنز» وهو الأهم بين المفاعلات. ربما تشعر واشنطن أن قبضتها المطلقة على المنطقة قد ارتخت بعض الشيء بسبب الموقف من هجوم الدوحة والشراكة فيه فضلاً عن إرهاصات تشكل عالم متعدد الأقطاب، بينما تجد دول مجلس التعاون وفي مقدمتها السعودية أن الاستثمارات الفلكية التي تم ضخها في الاقتصاد الأمريكي، لا تجدها إدارة ترامب كافية لحمايتها من تغول الصلف الصهيوني، ما قادها للبحث عن خيارات أخرى للحماية.

خلاصة القول من خلال استعراض دوافع وجذور اتفاقية الدفاع المشترك بين السعودية وباكستان، يتضح أن المنطقة مقبلة على تطورات تحمل في طياتها احتمالات عديدة بما فيها الاحتمالات المتناقضة. بيد أن هذه الاتفاقية كشفت حاجة دول مجلس التعاون الخليجي إلى رؤية جديدة إزاء أمن المنطقة لا تقتصر على النظرة الصنمية للجوانب الأمنية والعسكرية البحتة، بل تفرض أهمية الشروع في تنفيذ رؤية التنمية الإنسانية الشاملة باعتبار الإنسان وسيلة وهدف فيها.

الانتماء الممزق:
كيف أعادت الحرب في سوريا تشكيل المواطنة على أسس الولاء والطائفة؟

عزيز موسى - كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية - سورية

منذ اندلاع الاحتجاجات في سوريا عام 1102 وتحوّلها لاحقاً إلى حرب تشعبت فيها الأهداف والمصالح وطبيعة القوى المشاركة والتي أدت إلى اختلال كبير وانقسامات على صعيد البنى المجتمعية وطبيعة العلاقات التي كانت تقوم على الألفة والمحبة والتسامح، إذ لم يعد مفهوم المواطنة مجرد إطار قانوني يحدد علاقة الدولة بالفرد، بل تحوّل إلى ساحة اختبار قاسية كشفت حجم تأثير الحرب طوال 41 عاماً على تعميم حالة هشاشة في البنى الاجتماعية والسياسية على حد سواء، فالأزمة لم تعد مجرد صراع سياسي أو أمني، بل ضرب مفهوم الهوية الوطنية وأعادت إنتاج أنماط تفكيك المجتمع السوري إلى مكونات أولية، وهذا ما أظهر حجم التناقض الكامن بين الولاء للدولة والولاء للطائفة أو العشيرة أو المنطقة.

مواطنة مهدورة

كان مفهوم المواطنة قبل عام 2011 محصوراً في الانتماء الشكلي دون ترجمة فعلية لمبادئ المساواة أمام القانون أو العدالة في توزيع الفرص، ومع اندلاع الأزمة ظهر عجز هذا المفهوم الهش عن الصمود أمام الانقسامات، فانهارت الثقة بين الفرد والدولة، وتحولت المواطنة إلى شعور انتقائي تحدده الانتماءات الضيقة أكثر مما تحدده الهوية الوطنية الجامعة، مما أدى بدوره إلى إنتاج نمط من المواطنة الطارئة أو المشوهة التي تعتمد على مفاهيم انتقائية حكمت طبيعة العلاقة بين الفرد والدولة من جهة، وأدت إلى ترسيخ شروخ اجتماعية على أسس سياسية بين المكونات المختلفة بشكل تدريجي، مما أدخل السوريين مرحلة فقدان المرجعية السياسية الواحدة، هذا التحول ساهم في تكريس انقسامات اجتماعية وجغرافية، حيث باتت المواطنة مرتبطة بسلطة السلاح والحدود المحلية، لا بالدستور أو القوانين وهكذا تراجع الانتماء الوطني لصالح الولاءات الأخرى، وهو ما عمّق الشروخ بين المكونات المختلفة، وأضعف فكرة «المواطن السوري » التي كان يفترض أن تشكّل قاعدة الاستقرار.

سقوط النظام... وسقوط العقد الاجتماعي

عوامل أزمة تفكك المجتمع السوري لم تكن دفعة واحدة، بل انزلاقًا بطيئاً تسلل عبر شقوق البنية الاجتماعية، استمرت الأطر القديمة قائمة في الشكل، لكنها فارغة من المضمون تتآكل من الداخل بصمت كان «العالم المعيشي» للسوريين، كما وصفه هابرماس مرتهناً لسلطة خانقة كبحت إمكانيات الحوار وزرعت في المجال العام صمتاً مثقلاً بالخوف، ومع انطلاقة الاحتجاجات بدا أن هذا الصمت يتصدع وأن المجتمع يستعيد صوته، لكن سرعان ما غطت أصوات البنادق على محاولات الكلام، فالعسكرة والطائفية والتدويل والمصالح السياسية فرضت إيقاعاً جديداً أكثر قسوة، لم تسقط المؤسسات فحسب بل انهارت أيضاً الرموز والمعاني

التي كانت تمنح الاجتماع حداً أدنى من التماسك، في تلك اللحظة استُبدل منطق الحوار بمنطق القهر، وحلّت الهويات الضيقة مكان فكرة المواطنة، التفكك لم يكن نتيجة الحرب وحدها، بل جاء أيضاً من انهيار القدرة على إنتاج معنى مشترك يجمع الناس تحت سقف واحد.

أدت تشوهات الحرب ومفاعيلها في سوريا إلى إرساء نمط خفي من المشكلات والانقسامات الاجتماعية والتي تعددت بحسب الانتماءات السياسية والمقاربات التي حكمت بعضها انتماءات ضيقة، وصولاً إلى لحظة سقوط النظام السوري في 8 كانون الأول / ديسمبر 2024، فمرحلة سقوط النظام سواء كواقع أو كسردية متداولة مثّلت لحظة قطيعة نفسية وسياسية، دفعت قطاعات واسعة إلى إعادة تعريف ذاتها بعيداً عن هوية الدولة السورية، وفي غياب مشروع وطني جامع، أخذت الجماعات المختلفة تبحث عن حماية بديلة: الطائفة، الحزب، أو القوى الخارجية، مما أتاح بدوره ظهور سرديات تقوم على تخوين الآخرين وإقصائهم واشتداد حالة النزعات التي تمارسها بعض التوجهات الأيديولوجية وجمهورها وتصنف فئات من المواطنين بالدرجة الثانية على أساس العرق أو الدين دون أي اعتبار للهوية الوطنية الجامعة التي تساعد في عملية بناء الدولة على أسس صحيحة.

أزمة الثقة والشروخ الاجتماعية .... منطق الإقصاء يتقدّم على منطق المواطنة

شكّل وجود الأيديولوجية الجهادية لدى العديد من الفصائل والمجموعات وتصاعد عمليات القتل والجرائم والانتهاكات من أطراف متعددة إلى بروز أزمة أكثر عمقاً تتعلق بمصطلحات باتت جزءاً من حياة السوريين والتي تعتمد على (الأكثرية والأقليات) والتي يشار بها إلى تمثيل طائفي في سوريا، إذ يقصد بها نمط من الإقصاء لمكونات سورية متعددة في تعبير يجسد الابتعاد عن مفهوم المواطنة بمعناه الواسع الذي يقوم على الانتماء الوطني واحترام الحقوق والواجبات الخاصة بالفرد المواطن، ومحاولة بعض الجماعات أو التجمعات إشاعة هذه المفاهيم بما يخدم مصالحها، إلا أن ذلك أدى إلى تعميق أزمة الثقة والشروخ الاجتماعية الفئوية القائمة على الطائفية والعرقية، والتهميش لمفهوم المواطنة الحقيقي .

لم يكن التصدع في المجتمع السوري مجرد تفكك صامت، بل رافقته عملية إعادة تشكيل للانتماءات تحولت بموجبها العديد من الجماعات إلى كتل مغلقة تُبنى هويتها على سرديات الضحية والمقاومة والتهميش، حتى صار الانتماء نفسه نوعاً من رأس المال يحدد من يُعترف به ومن يُقصى، ومع كل إقصاء تكرّست لغة الشك والمحو والتخوين، هنا لم يعد العنف البنيوي مجرد نتيجة للصراع، بل صار محرّكًا يعيد صياغة الاجتماع من خلال تقاطع الهوية مع المصلحة و الولاء يصبح مرادفًا للحماية، في قلب هذا المشهد تعود الذات المقهورة لتطلّ، إذ يتوتر المشهد بين الجماعات الطائفية في سوريا، وبروز أصوات ترى أن الآخر قد يُمثّل تهديداً وجودياً تُقرأ هويته كإشارة خطر متخيّل، لا كاختلاف مشروع في نسيج المجتمع، هكذا لم تقف الانقسامات عند حدود مؤسسات الدولة أو بناها الاقتصادية والتعليمية والقضائية، بل تسللت إلى أعماق الاجتماع ذاته: إلى اللغة والعلاقات والمدينة والانتماء فتراجعت الثقة، وارتفعت أسوار الهويات الضيقة فوق الوطن وتحت الوطن.

بين القانون والانتماء والسلوك: كيف تُبنى مواطنة سورية حقيقية؟

إن تكريس مبدأ المواطنة السورية ينطلق من آليات قانونية صحيحة ترتبط مسؤولية صياغتها بالدولة بشكل أساسي ودورها الذي يجب أن يرعى جميع الأفراد والجماعات مهمها كان انتماؤها وعلى مسافة واحدة دون تمييز أو تفضيل وهذا يتطلب ثلاثة عناصر أساسية لا بد من توافرها:

أولاً- العنصر القانوني: يمثل هذا العنصر الإطار الناظم للعلاقة بين المواطن والدولة، إذ يقوم على أساس واضح من الحقوق والواجبات، وعندما يُفعَّل هذا الإطار بشكل عادل تتوازن العلاقة بين الطرفين، فيدرك الفرد ما يتمتع به من حقوق وما يترتب عليه من التزامات. ويُعد هذا التوازن الركيزة الأساسية لبناء مجتمع مستقر تحكمه العدالة وتُصان فيه سيادة القانون.

ثانياً- العنصر المعنوي: يتجسد في تنمية شعور الانتماء الوطني داخل نفوس الأفراد، حيث يعبّر عن اعتزازهم بالهوية الوطنية ورغبتهم الصادقة في خدمة وطنهم. هذا البعد لا يُفرض بالتشريعات، بل ينمو عبر التجارب التي تُعزز العدالة وتُكرّس التقدير والمشاركة الفعلية في صناعة القرار. وبهذا تتعمق الثقة المتبادلة بين الدولة والمجتمع، فتتحول الهوية الوطنية إلى قيمة راسخة.

ثالثاً- العنصر السلوكي: يظهر بصورة طبيعية كنتيجة مباشرة لتكامل العنصرين القانوني والمعنوي، حيث يترجم المواطنون مشاعر الانتماء إلى ممارسات عملية تعكس حبهم للوطن والتنوع، فيتحملون مسؤولياتهم تجاه المجتمع، بدءاً من المشاركة في الحياة العامة، وصولاً إلى صون المصلحة المشتركة والتعاون في عملية البناء الوطني، وبذلك تتحول المواطنة من مجرد إحساس داخلي إلى سلوك يومي يجسد روح المسؤولية المجتمعية.

إن مسار بناء مفهوم المواطنة على أسس وطنية صحيحة يتطلب مجموعة من العوامل التي لا بد من توفرها حتى يتم الإنجاز، بدءاً من الشفافية والعدالة والمساواة وتقريب المصالح والرؤى، وصولاً إلى البناء على نقاط القوة والتنوع والتعددية وترسيخ مبدأ ديمقراطي تعددي بنزع أيديولوجيا التطرف أو الانتماء لجماعات ضيقة ما دون الدولة تصل بدورها إلى قناعة راسخة أن رعاية حقوق وواجبات الأفراد والجماعات يمكن أن يوصل سوريا إلى بناء نموذج دولة تراعي هذا التنوع الغني القادرة من خلاله على تكريس مفهوم المواطنة بشكله الصحيح.

قمة الدوحة الطارئة
بين الطموح والواقع

أحمد عويدات – كاتب فلسطيني - السويد

بما أن عنوان قمة الدوحة الطارئة العربية والإسلامية كان بحث الهجوم الإسرائيلي على دولة قطر ، فقد بُحثَ بامتياز وقد تحقق الهدف إلى حدٍ كبير ، وتمثل هذا الإنجاز من خلال التمثيل الرفيع المستوى للوفود العربية والإسلامية ، سواء على مستوى القادة أو من ينوب عنهم ، وأيضا من خلال تعاطفهم وتضامنهم والوقوف إلى جانب دولة قطر ؛ الأمر الذي شكل تظاهرة كبيرة من الإدانة والاستنكار لدولة الاحتلال الصهيوني من خلال الكلمات التي عبّر عنها القادة والزعماء ورؤساء الوفود المشاركة. ولكن هل كان المواطن -ليس العربي والمسلم فحسب بل المواطن في العالم - ينتظر هذا النتاج من التوصيات التي تضمنها البيان الختامي.

وهل هذه النتائج التي غابت عنها الإجراءات الفعلية، والآليات العملية ترقى إلى هذا المنعطف الخطير وهذه التحديات، التي تواجه الأمة التي تمر به المنطقة والعالم الإسلامي؟ في حقيقة الأمر، إن المتابع لكلمات القادة والزعماء ورؤساء الوفود الذين تحدثوا يلمس انتقاء الكلمات بعناية وبحذر شديدين لما لها من صدى يدغدغ مشاعر وطموحات الشعوب، ويبعث فيها الأمل بالولوج إلى مرحلة جديدة من المواجهة مع دولة الكيان المارقة، مع توقع المواطن أن تنعكس هذه الجمل وهذه الخلاصات وهذه المشاعر في البيان الختامي الذي جاء في سبع صفحات، ونحو 25 فقرة،

ولكن ما حدث أن هذه الفقرات (عذراً هي ليست قرارات) لم تغادر الأسس التي تقوم عليها السياسات العربية والإسلامية التقليدية فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، والعلاقة مع المجتمع الدولي، وتحديداً مع شريكة الكيان الولايات المتحدة، وإن أتت هذه التوصيات بشيء قديم جديد من المفردات، التي اعتاد على سماعها المواطن العربي، فيما يتعلق بالمواقف من تطورات الصراع العربي الصهيوني، برغم ذلك لا زالت دون مستوى الحدث الآن ؛ لما تفتقده ، كما ذكرنا ، من آليات عملية وإجراءات فعلية من شأنها إخضاع الاحتلال وامتثاله لقرارات الشرعية الدولية. لقد كان متوقعا أن تُشكّل لجنة منبثقة عن هذه القمة للتحرك دوليا لوضع «قراراتها» موضع التنفيذ، ولتضع قادة العالم المعنيين ، وعلى رأسهم ترامب حليف دولة الكيان الصهيوني ، أمام مسؤولياتهم لممارسة الضغط على دولة الكيان ، والتوقف عن منطق العدوان والإرهاب والقتل والتدمير والتجويع والترويع ،ولجم المشروع الصهيوني التوسعي العنصري «إسرائيل الكبرى» ، الذي طالما تحدث عنه قادة الكيان وعلى رأسهم نتنياهو؛ لما في ذلك من خطرٍ داهم على وجود وأمن كافة الدول العربية والإسلامية ، ومستقبل شعوبهم ، كما جاء من تحذيرٍ في كلمات بعض القادة في القمة.

لقد توقع المواطن ، الطموح الحالم دوما ، بأن تتضمن «القرارات» احتضاناً للمقاومة والصمود الأسطوري لشعبنا في غزة ؛ ما عكس التزام القادة بعدم إزعاج

ولاة الأمر في واشنطن و الدوائر الغربية، فتجنبوا خدش أسماعهم بكلمات الثناء والإشادة ببطولات الشعب الفلسطيني وشهدائه الذين تجاوزوا 60 ألفاً. ولكي نكون منصفين، لا ننكر أن ما ورد في البيان الختامي تضمن نقلةً نوعية في الموقف العربي والإسلامي ، بيد أنها غير مكتملة، ولم ترقى إلى ما قامت به بعض الدول الصديقة مثل كولومبيا والبرازيل وإسبانيا وايرلندا وجنوب إفريقيا وتركيا وغيرها ، ممن قطع العلاقات التجارية والشراكة الأكاديمية ووقف تصدير السلاح، أو منع نقله عبر موانئها إلى دولة الاحتلال ، أو ممن طالب بمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة.

فقد دعت الفقرة 15 الدول التي لها علاقات مع دولة الكيان «إلى مراجعة العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية» معها، ولكن كما فسّرها حسام زكي نائب الأمين العام لجامعة الدول العربية في المؤتمر الصحفي المقتضب ، الذي عقد عقب انتهاء أعمال القمة ، بقوله : «أنها غير ملزمة، ولكنها تفتح الباب أمام الجميع لاتخاذ ما يناسب كل دولة «. وللتذكير فقط ،سبق أن قال سعادته:» الأجواء غير مواتية حاليا لتفعيل اتفاقية الدفاع العربي المشترك ، العدو المشترك بالمفاهيم السياسية يمكن أن يختلف عن العدو المشترك بالمفاهيم العسكرية». وهنا يحق للمواطن ، أياً كان، أن يسأل : من أين جاءت هذه الفلسفة السياسية أو الدبلوماسية لسعادته ؟

والمستغرب في «قرارات» القمة، أنها تحيل المسؤوليات واتخاذ الإجراءات العملية إلى المجتمع الدولي ؛ مغفلةً دورها الفاعل وكأنها لا تملك الكثير من أدوات الضغط التي من شأنها أن تشكل عاملاً ضاغطاً اقتصادياً مؤثراً، ليس على دولة الاحتلال فحسب، بل على شريكتها الولايات المتحدة والدول الداعمة لها والتي تصدر لها السلاح مثل ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وغيرها.

كان المواطن ، الحالم والطموح ، يتوقع أن تركّز القمة على الإدانة والاستنكار والتضامن مع دولة قطر الشقيقة لما أصابها ، ولكن لم يكن يتوقع أبدا أن لا يُذكر من استُهدِفَ من الهجوم «الغادر الجبان الشائن» -كما وصفه أمير قطر - من قادة المقاومة. الجميع تعاطف مع شقيقتنا قطر، وهذا ما يجب، ولكن لم نجد أحد تعاطف مع ضحية هذا الاستهداف، وكأن السيادة هي من استُشهِدَ واسْتُهدِفَ.

لربما تركوا ذلك لمجلس الدفاع الخليجي أن يتخذ القرارات التي ينتظرها المواطن العربي في الدفاع عن أمن وسيادة الوطن، ويبادر إلى اتخاذ الإجراءات التي وعد بها قادة المجلس الأعلى للتعاون الخليجي ، الذي عقد على هامش قمة الدوحة الطارئة.

إن ما يوقف الممارسات العدوانية والإرهابية على دول المنطقة ، وإفشال مخططات التوسع والتهجير، ومصادرة الأراضي في الضفة، وإنهاء حرب الإبادة في غزة. و وقف عمليات التهديد لأمن شعوبها ، لا يتم عبر الإدانة والاستنكار والاستهجان والتمسك بمبادرات يرفضها الاحتلال والولايات المتحدة ، بل من خلال وقف كل أشكال التطبيع مع الكيان وسحب السفراء ، ووقف العمل بالاتفاقات الإبراهيمية، وإغلاق السفارات الإسرائيلية ومكاتب التنسيق ، وإيقاف الشراكات التجارية والأكاديمية، وإغلاق الأجواء أمام الطائرات الإسرائيلية.

أما على صعيد العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية فيجب صياغتها وفق معايير احترام سيادة الدول ، ورفض ازدواجية المعايير، والعمل على تقويض المصالح الأمريكية واستثماراتها في المنطقة ، والتلويح باستخدام سلاح النفط والغاز.

أما على الصعيد الدولي يجب العمل على تقديم مجرمي الحرب الصهاينة للعدالة الدولية، وفرض عقوبات اقتصادية فعالة على دولة الاحتلال ومنع تصدير السلاح لها.

إن كل ما تقدّم يتطلب البحث عن اصطفافات جديدة مع قوى دولية ، تناصر قضايا امتنا وتدعمنا في مواجهة كافة التهديدات والتحديات.

ختاماً ، كما كان متوقعاً ، إذ لم يلبث أن يجف حبر «قرارات» القمة حتى جاء الرد الإسرائيلي سريعا ؛ لا لأن «قرارات» هذه القمة تشكل خطرا على وجوده وأمنه وخططه، بل إمعانا بتجاهل كل ما يصدر عن القادة والزعماء العرب والمسلمين ؛ لأن الإسرائيليين يدركون عدم جدواها وفعاليتها وتأثيرها، وقد اعتادوا المشهد طالما بقيت في في إطار «التأكيد على الرفض والدعوة والإدانة والاستنكار والإشادة والدعم والاعراب عن التضامن والترحيب والتحذير والتكليف « وكل هذه المفردات التي لا تحمل أي قرارٍ واضح ، لن تثني نتنياهو عن المضيّ قدماً بمخططاته لتحقيق أهدافه الشخصية وأهداف الصهيونية الدينية الجديدة؛ إذ بدأ جيش الاحتلال عمليته البرية في غزة وأشعلها ، لحظة كتابة هذه السطور ، قصفاً بأحزمة نارية غير مسبوقة، كما كان هناك رد آخر بغارةٍ أوقعت عددا من الضحايا في جنوب لبنان، ولربما يضرب الليلة في سوريا أو اليمن ، لننتظر.لازال المواطن يتساءل فيما إذا أدرك العرب أيديولوجية نتنياهو وقادة اليمين في الكيان؟ وهل أدرك أصحاب الجلالة والسيادة والفخامة والسمو فحوى زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة روبيو إلى دولة الكيان وتحديدا إلى مدينة القدس، والمشاركة بتدشين نفقٍ تحت المدينة القديمة تزامناً مع انعقاد قِمتهم ؟ وهل أدرك الزعماء رسالة استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة للمرة الثامنة ضد مشروع قرار لإيقاف الحرب ، وإنهاء مأساة البشرية في غزة ؟ وهل كانوا ينتظرون مؤتمر نيويورك لبحث حل الدولتين أن يوقف الحرب ؟ إن فيض الاعتراف بالدولة الفلسطينية بالتأكيد هو انجاز وطني كبير حققه صمود وثبات شعبنا ومقاومته ، وهزيمة لحكومة الكيان ، ولكن هل سيتمكن هذا المؤتمر وهذه الاعترافات من إيقاف حرب التجويع والإبادة ضد أهلنا في غزة؟

لننتظر النتائج!!!!!

غطرسة العدوان تتهاوى:

«إسرائيل» تصطدم بصمود صنعاء المستحيل

«من استهداف البنية التحتية إلى الاغتيالات السياسية... ثبات اليمن يُفشل حسابات الاحتلال ويحوّل الصراع إلى معركة ردع متصاعدة»

عادل عبده بشر - كاتب من اليمن

في تصعيد جديد لفصول العدوان المستمر على اليمن، لجأت قوات الاحتلال «الإسرائيلي» إلى ضرب البنية التحتية الخدمية، واستهداف البيئة الإعلامية والصحفية، ومحاولة اغتيال شخصيات سياسية بارزة، في محاولة يائسة لزعزعة ثبات صنعاء وإضعاف موقفها المناهض «لإسرائيل» والداعم لغزة.

لكن مع كل صاروخ يُطلق، وكل طائرة مُسيّرة تُرسل إلى العمق الصهيوني، تتكشف الحقيقة المؤلمة للعدو: الفشل «الإسرائيلي» يتجلى في كل زاوية من زوايا الصراع. صنعاء، بعزمها وإصرارها، لم تكتفِ بالصمود، بل حولت العدوان إلى منصة لإظهار قدرة الردع، وضرب أهداف الاحتلال داخل عمق فلسطين المحتلة، واختراق منظوماته الدفاعية المتطورة، وصولاً إلى تنفيذ هجمات دقيقة تترك أثراً واضحاً على الأرض وعلى المعنويات.

استهداف البنية التحتية: محاولة فاشلة لتعطيل الدولة

شنّت «إسرائيل» غارات جوية في موجات متتالية استهدفت من خلالها الموانئ في مدينة الحديدة على البحر الأحمر ومطار صنعاء الدولي ومحطات الكهرباء ومحطات لتعبئة المشتقات النفطية، وأحياء سكنية في صنعاء، الأمر الذي أسفر عن تدمير منشآت خدمية حيوية، وسقوط العشرات من المدنيين شهداء وجرحى، لكنه فشل في تعطيل النشاط العسكري اليمني ضد الكيان الصهيوني.

محللون عسكريون عبريون وصفوا الهجمات بأنها «استعراض للقوة أكثر منها عملية استراتيجية ناجحة»، مؤكدين أن الغارات لم تؤثر على الخطط العملياتية للقوات اليمنية.

استهداف الإعلام والصحافة: محاولة يائسة لقتل الحقيقة

في 10 أيلول/سبتمبر 2025، استهدفت «إسرائيل» مجمعًا صحفيًا في صنعاء، ما أدى إلى استشهاد 31 صحفيًا وإعلاميًا وطفل كان برفقة والده الإعلامي. كان الهدف المعلن فرض رقابة على الإعلام اليمني، إلا أن الهجوم كشف عن وحشية العدوان وساهم في زيادة انتشار المعلومات حول انتهاكات الاحتلال.

الصحافة اليمنية لم تتوقف عن نقل الحقيقة، بل حولت الهجوم إلى أداة توعوية تثبت أن محاولة السيطرة على الخطاب الإعلامي عسكريًا وفشلها، تعكس عجز الاحتلال عن كسر إرادة الشعب اليمني.

الاغتيالات السياسية: صمود أعلى من التوقعات

في 28 آب/أغسطس 2025، نفذت «إسرائيل» عمليات اغتيال بغارات جوية استهدفت اجتماعاً لحكومة صنعاء، ما أدى الى استشهاد رئيس الحكومة وعدداً من وزراء الحقائب المدنية، وحاول الكيان تصوير ذلك على انه انتصار استراتيجي وضربة قاصمة لمن وصفهم بـ»الحوثيين»، إلا أن الرد جاء سريعاً عبر الصواريخ الانشطارية متعددة الرؤوس والطائرات المُسيّرة، التي استهدفت العدو في أم الرشراش «إيلات» ويافا والنقب وعسقلان المحتلة، مثبتاً بذلك أن الاغتيالات لم تؤثر في توجيه أو تنفيذ العمليات العسكرية والسياسية. بل على العكس، زادت من تماسك الجبهة الداخلية اليمنية، وأدت إلى تعزيز خطط الردع وتعزيز الالتزام بالموقف الثابت تجاه غزة والمقاومة الفلسطينية.

محللون «إسرائيليون» أقروا بأن أي محاولة لشل القيادة اليمنية تواجه صعوبة بالغة، وأن صنعاء أظهرت قدرة عالية في الحفاظ على استمرارية العمل العسكري والإداري رغم الضربات المتتالية والخسائر البشرية والمادية.

فشل «إسرائيل» في تحقيق أهدافها الاستراتيجية

الاعتداءات «الإسرائيلية»، مهما بلغت قوتها التكنولوجية، لم تحقق اختراقًا ملموسًا في اليمن. الغارات على الموانئ الحيوية، المنشآت الحكومية، والمراكز الإعلامية لم توقف وتيرة الهجمات أو تعطيل عمليات التطوير والتصنيع الحربي. وبخلاف ذلك جاء الإقرار من العدو بأن «اليمن يملك قدرة استثنائية على حماية أهدافه الأساسية»، وأن «كل غارة جوية تفرض على إسرائيل تكلفة عسكرية وسياسية ضخمة دون تحقيق نتائج ملموسة».

ثبات صنعاء واستمرار دعم غزة

ثبات صنعاء يظهر في الاستراتيجية التي تعتمدها منذ بداية العدوان. فالموقف السياسي الداعم لغزة والمقاومة الفلسطينية لم يتغير، بل أصبح أكثر وضوحًا بعد كل هجوم صهيوني.

يؤكد ذلك باستمرار السيد القائد عبدالملك الحوثي في كل خطاباته الإسبوعية التي لم تتوقف منذ بدء العدوان «الإسرائيلي» على غزة في تشرين الأول/أكتوبر 2023م، مشدداً على أن اليمن لن يتراجع عن معركة اسناد فلسطين مهما كانت العواقب والتحديات. كما تؤكد ذلك القوات المسلحة اليمنية في بياناتها المتواترة مع كل عملية تنفذها ضد الكيان الصهيوني، مجددة العهد على الاستمرار في هجماتها سواء البحرية التي تستهدف السفن «الإسرائيلية» أو الجوية وبعيدة المدى إلى أهداف حساسة للكيان بعمق فلسطين المحتلة، وأن الهجمات «الإسرائيلية» على اليمن لن تثنيها عن دعم القضية الفلسطينية، بل تزيدها إصرارًا على مواجهة الاحتلال.

هذا الصمود السياسي يتكامل مع القدرة العسكرية، حيث تواصل صنعاء تطوير تكتيكات تمكنها من تنفيذ ضربات دقيقة ضد أهداف «إسرائيلية» في العمق، مستغلة نقاط ضعف منظومات الدفاع الجوية والقدرات الاستخباراتية للعدو.

اليوم، صنعاء لا ترد على العدوان كدولة مستهدفة فقط، بل كقوة متحكمة في المبادرة، قادرة على قلب موازين القوى، وفرض المعادلة التي تقول: الغطرسة لا مكان لها أمام إرادة شعب متشبث بحقوقه ومقاوم لكل عدوان.

إرادة صلبة

العدوان «الإسرائيلي» على اليمن لم يحقق سوى فشل استراتيجي متكرر، في حين استطاعت صنعاء تحويل العدوان إلى منصة لإظهار قوة الردع والصمود، وأثبتت أن الإرادة الصلبة للشعوب الحرة أقوى من أي قوة عسكرية، وأن العدوان مهما بلغت شراسته، لا يمكن أن يكسر صمود شعب مصمم على حماية وطنه وقضاياه العادلة.

إبادة غزة..
بين صمود وبقاء أهلها..
وريفييرا ترامب !..

محمد صوّان كاتب سياسي فلسطيني- تركيا

عند كتابة هذه السطور تكون حرب الإبادة والتطهير العرقي والتهجير القسري الصهيوأمريكية المستمرة منذ « 717 يوماً» على قطاع غزة قد أفرزت دماراً شبه كامل بنسبة « 90% « من البنية التحتية وخسائر أولية تجاوزت « 70 مليار» دولار, ومجازر دموية أدت لاستشهاد وفقدان أكثر من « 75 « ألفاً , بينهم أكثر من « 20 « ألف طفل و « 14» ألف امرأة إضافة لإبادة « 3» آلاف أسرة من السجل المدني !.
ويضيف المكتب الإعلامي الحكومي في قطاع غزة في بيان له يوم 2025/9/20 أن « الاحتلال قتل خلال هذه الفترة 1680 من الطواقم الطبية و250 صحفياً و120 رجل دفاع مدني و175 موظف بلدية, كما أصيب أكثر من 166 ألف آخرين بينهم آلاف حالات البتر والشلل وفقدان البصر»!.

تدمير الأبراج :

أعلن وزير ما يسمى « الأمن الإسرائيلي « كاتس يوم 2025/9/20 أن «باب الجحيم في غزة قد فتح الآن» مشيراً إلى أن الجيش بدأ حالياً نطاق عملياته العسكرية في غزة حيث سيتم التركيز في المرحلة الأولى من العملية على هدم الأبراج والمباني المرتفعة في المدينة !.

عند أول حرب شهدتها قطاع غزة عام 2009 اتبع العدو الصهيوني سياسة قصف الأبراج بهدف تدميرها بشكل كلي أو جزئي حيث يصعب بعدها إعادة ترميمها أو الاستفادة منها , وكان الاحتلال يتبع سياسة تدمير مئات الأبراج التي كانت تعتبر معالم مدنية حضارية لمدينة غزة أو لمدن القطاع عموماً , من أجل الضغط على المقاومة للإذعان «لوقف إطلاق النار» أو زيادة وتيرة الضغط الداخلي عليها, ويزعم الاحتلال الصهيوني, مع تدميره لأبراج غزة, أنها تضم بنية تحتية لحركة المقاومة ومنظومة قيادة وسيطرة, في المقابل نفت حركة المقاومة « حماس « ذلك وقالت: «إنها ادعاءات ومزاعم صهيونية تستهدف تدمير الأبنية السكنية وتدمير غزة بالكامل «!.

ويمكن قراءة هذا السلوك الصهيوني من عدة زوايا أبرزها إصرار الاحتلال على اتباع سياسة التدمير الممنهج لما تبقى من مقومات الحياة داخل القطاع, مبرراً ذلك بحجج مبتذلة وروايات تكشف زيف ادعاءاته , وهو يدير حرباً نفسية تستهدف بشكل أساسي سكان شمال القطاع , لدفعهم نحو الجنوب , غير أن عملياته المكثفة في الأحياء الشرقية لمدينة غزة لم تحقق هذا الهدف , حيث تشير تقديرات جيش الاحتلال أن نسبة النزوح لا تتجاوز الـ» 5% إلى 10% « وهو ما يؤثر بشكل مباشر على تقدمه نحو مركز المدينة .. فجوهر المشروع الصهيوني في مدينة غزة يرتبط بتهجير سكانها جنوباً من أجل خلق ظروف سياسية وميدانية تدفع جميع الفلسطينيين إلى مغادرة القطاع, تماشياً مع تطلعات اليمين الصهيوني الفاشي الذي يسعى لضمان عودة الاستيطان إلى شمال القطاع , وهو بذلك يحاول صياغة معادلة تفاوضية من موقع قوة بعد استكمال عملياته العسكرية , تقوم على مقايضة وقف إطلاق النار بالأرض وتنفيذ شروط نتنياهو السياسية والأمنية الذي يتطلع لإرضاء اليمين القومي الديني وتحقيق أهدافه الأيديولوجية الاستيطانية !..

لقد اتضح ما يجري والذي يأتي في سياق استكمال عملية التدمير الشامل التي يشنها الاحتلال, إذ يمثل المرحلة التمهيدية للعملية العسكرية الموسعة في قطاع غزة المترافقة مع الهجمات على أحياء الزيتون والشيخ رضوان وجباليا النزلة والمخيم, بهدف تشتيت الكتلة الديمغرافية المتبقية, وتسهيل مهمة الجيش في التدمير المنهجي , فالاحتلال يسعى للسيطرة على نحو « 90%» من مساحة القطاع بعد تدمير مدينة غزة , لتبقى المخيمات الوسطى الهدف المقبل للعمليات العسكرية, ويعلن إيال زامير رئيس ما يسمى أركان الجيش , أن «ما يجري يندرج في مسار السيطرة الكاملة على مدينة غزة وفرض وقائع ميدانية جديدة «, معتبراً أن ما يحدث ليس مجرد «حكم عسكري» بل عملية إبادة وتطهير عرقي, تدفع سكان غزة نحو التكدس في الشريط الحدودي جنوباً , تمهيداً لحصرهم في « سجن كبير « بمدينة رفح وبما يتيح لـ « إسرائيل « التملص من مسؤولياتها عن أكثر من مليوني مواطن فلسطيني , ورمي عبء شؤونهم وإدارتهم على المجتمع الدولي , الأمر الذي قد يشكل بوابة لتهجير أوسع !.

دعم أمريكي وصمت دولي :

رغم بشاعة حجم الجريمة التي يتعرض لها سكان قطاع غزة , وفظاعة عدد الضحايا , حيث خمسة من كل ستة يستشهدون هم من المدنيين العزّل باعتراف الصحافتين « البريطانية والفرنسية « كما أن سفير الولايات المتحدة مايك هاكابي ورئيسه ترامب لا يشعران بالخجل من مواصلة لوم الضحية – الشعب الفلسطيني – ومواصلة دعم المعتدي الصهيوني عسكرياً واقتصادياً ودبلوماسياً , وتشجيعه ليس على البطش الإجرامي بأهل غزة فحسب , بل أيضاً على استباحة الضفة الغربية , بما فيها القدس , عبر المزيد من الاستيطان وتشجيع عصابات الإرهاب من الصهاينة !.

وبفضل الدعم الأمريكي المطلق والصمت الدولي الرسمي الجبان, لا يتردد السفاح نتنياهو في توجيه اللوم لمصر , لأنها لا تفتح حدودها لتهجير سكان قطاع غزة , وتمكين « إسرائيل « من تنفيذ جريمة التطهير العرقي الأخطر في العصر الحديث!.

لم يبق قانون دولي أو إنساني , أو حقوق للإنسان , لم تسحقها « إسرائيل « بجنازير دباباتها , ولم تبق شريعة سماوية لم تنتهكها , وهي تبطش بسكان غزة الصابرين الصامدين الذين تحملوا من الألم والمعاناة والعذاب والموت ما لا تتحمله الجبال , وما لم يتحمله بشر في التاريخ , واليوم يعلن نتنياهو وأفراد حكومته الفاشية دون مواربة أهدافهم , بتطهير عرقي شامل لكل سكان قطاع غزة , وينفذون على الأرض عملية ضم وتهويد الضفة الغربية وغزة والقدس والجولان , ويواصلون اعتداءاتهم على قطر وسورية ولبنان واليمن وتونس وإيران ,ويتطاولون بكل وقاحة على مصر والأردن , يتصرف نتنياهو المصاب بجنون العظمة كأنه الحاكم الكولونيالي المطلق للشرق الأوسط, ويعلن صراحة أنه يضع أمامه ويستعرض خريطة المنطقة كل يوم ليقرر إلى أين ستصل طائرات سلاحه الجوي , وفي أي مدينة سينفذ الاغتيالات التالية !

هل تبقى أمام النظام الرسمي العربي بعد ذلك كله – من إبادة وتجويع وتطهير عرقي – أية ذرائع لاستمرار التطبيع مع «إسرائيل» وهل بقي مبرر لمواصلة التردد في قطع العلاقات معها, وطرد سفرائها والانضمام إلى الحملة التي تتصاعد عالمياً لفرض العقوبات وسحب الاستثمارات والمقاطعة لها وعليها..

ما الذي تنتظر حدوثه حكومات الدول العربية والإسلامية الـ 57 التي اجتمعت في الدوحة يوم 2025/9/15 حتى ترفع الصوت عالياً في وجه الرئيس الأمريكي وتحذره من أن مصالح بلاده والاستثمارات الموعودة فيها, والعلاقات معها , أصبحت مشروطة بتدخله الفوري للجم نتنياهو وإيقاف المذبحة الوحشية الجارية في قطاع غزة والضفة الفلسطينية ؟ وما الذي ينتظره الاتحاد الأوروبي, بعد كل ما حدث ويحدث, ليتخلى عن تقاعسه وخذلانه للقيم التي يدّعيها.. ويبدأ بفرض العقوبات على «إسرائيل» وفرض حظر شامل على التعامل العسكري معها, وعلى تزويدها بالسلاح الذي تقتل به أطفال فلسطين؟

من يباد ويُحرق في غزة, على مرأى ومسمع العالم , ليس الشعب الفلسطيني فحسب , بل كل ما يسمى بالقانون الدولي والإنساني , ومواثيق حقوق الإنسان.. وفي حال استمر هذا الصمت, ستدرك شعوب الأرض , أن العالم يدار بقانون المتوحشين , وأننا عدنا إلى زمن الفاشية التي لا يمكن وقفها , إلا بقوة المقاومة والبقاء والصمود مهما بلغت التضحيات !..

ترامب المهووس بالريفييرا :

في بداية ولايته, كان ترامب مفعماً بمشاريعه «السلمية» ومنها ما يخص العدوان الصهيوني على غزة , وتمكن بداية من إقناع نتنياهو بالسير نحو «صفقة جزئية» أدت إلى تحرير بعض « الأسرى الإسرائيليين « ثم نام ترامب على هذا الحرير , وانتفخ فخراً بنفسه على هذا الإنجاز « السلمي الأول « ثم ما لبث نتنياهو أن صعّد من عدوانه على غزة – درجة بعد أخرى – وفي شباط 2025 أعلن ترامب عن «مشروع ريفييرا» في غزة , يُهجر بفعلها المليون فلسطيني الباقين على قيد الحياة , نحو مصر والأردن والصومال وليبيا والسودان , ويقيم فيها مشروعه العقاري السياحي الضخم , وإلى ما هنالك من مواصفات بما بات معروفاً بـ» ريفييرا غزة « , لم يصدق نتنياهو ما يسمع , فطار فرحاً ومنحه ترشيحاً مكتوباً إلى جائزة نوبل للسلام , وأخذ ينفذ مشروعه بسرعة , يطور بخطط « عربات جدعون « العسكرية من تجويع وتدمير وقتل , وصولاً إلى محو أثر مدينة غزة , عبر تدمير مبانيها ورمي سكانها القريبين من المليون نسمة , نحو شاطئ البحر , أي إلى النقطة التي سوف يهجّرون منها , بعدما يصلون إلى أنفاسهم الأخيرة .. والوحيد القادر على وقف هذه المقتلة المفتوحة هو ترامب, لكن ترامب هذا «معجب» بنتنياهو ويصفه بـ «بطل حرب» ويتشبه به ويقول :» أعتقد أنني كذلك أيضاً بطل حرب «! ويواصل حثه على الانتهاء من المهمة بالسرعة القصوى, وتنظيف المكان ليبني هو فوقه «ترامب تاور», تتلبسه مهنته كمطوّر عقاري في الريفييرا المرتقبة .. وأصبح الأمر أكثر وضوحاً عندما وافقت المقاومة على «خطة ويتكوف» ولم ترد عليها «إسرائيل» بل باشرت «العملية الأخيرة» أي إعادة احتلال غزة بالكامل!

ترامب هنا منسجم مع نفسه, فكل ما تفعله « إسرائيل « بغزة هو الطريق نحو بناء الريفييرا العزيزة على قلبه , وكلما تقدمت هذه الخطى اقتربت الجائزة !..

والسؤال الذي يراود كثيرين: هل يمكن فعلاً أن « تدرسها « لجنة جائزة نوبل.. أي أن « تراعي « الترويج مصالح بلادها, فتخفف من ضغوط ترامب , عبر الإعجاب بقدراته لمنحه الجائزة ؟.. وفي هذه الحالة مَن الذي يكون منفصلاً عن الواقع والعالم.. ترامب أم لجنة نوبل للسلام؟!.

العرض العسكري الصيني: بين القوة والقوة المضادة

مسعود أحمد ـ صحفي وكاتب سياسي من عُمان

في الذكرى الثمانين لانتصار الصين في حرب التحرير الشعبية على اليابان، نظّمت بكين في الثالث من أيلول 2025 عرضًا عسكريًا ضخمًا استعرضت فيه قوتها العسكرية والتقنية، بحضور نحو 26 من قادة العالم، يتقدمهم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون. وقد كشفت الصين، من خلال هذا العرض، عن جانب من قدراتها العسكرية النوعية، في رسالة وُصفت بالتاريخية، وأثارت قلقًا عالميًا واسعًا. لكن الرسالة الأقوى لم تكن فقط في مشهد العرض العسكري نفسه، بل في التفاعل الدولي، خاصة من قبل الولايات المتحدة الأميركية، إذ عبّر رئيسها، دونالد ترامب، بوضوح عن إدراكه للمغزى الحقيقي لما أرادت بكين إيصاله.

وقد دفع هذا الاستعراض العسكري إلى إعادة تقييم مكانة الصين العسكرية، وتفوقها الذي بات أمرًا واقعًا لا يمكن تجاهله. ومع ذلك، فإن الرسائل السياسية الكامنة خلف هذا المشهد المهيب لم تتضح بعد. غير أنه، في السياق الموضوعي العام، يمكن توقع ما هو أكثر عمومية ووضوحًا. الرسالة الأولى هي إمكانية الانتقال من قوة المنطق إلى منطق القوة؛ وذلك بعد سنوات من محاولة إعادة التوازن عبر إصلاح مؤسسات النظام الرأسمالي العالمي. وبصفتها قوة عظمى صاعدة، ترى الصين أن الوقت قد حان للانتقال من سياسة الإصلاح التدريجي للنظام الدولي إلى فرض أمر واقع من موقع القوة. رغم انها لا تزال، إلى الآن، تعتبر المؤسسات الدولية أدوات مهمة – وإن كانت محدودة – في الحفاظ على السلم والاستقرار العالمي. أما الرسالة الثانية، فمفادها أن الصين لم تعد تمتلك قدرات دفاعية فحسب، بل تملك ترسانة هجومية متطورة يصعب مواجهتها، مما يفرض معادلة ردع جديدة في توازن القوى العالمية. في حين أن الرسالة الثالثة أرادت الصين أن تؤكد من خلالها تعزيز قناعة العالم بأن النظام الدولي يشهد تحولًا جذريًا قد يؤدي إلى إنهاء مرحلة التفرد الأميركي. غير أن هذه الرسائل لا ينبغي أن تُقابل بتفاؤل مفرط، إذ لا تزال هناك قضايا بنيوية عميقة تستوجب التوقف عندها واستشراف أبعادها. منها أن محاولات إبراز قطب عالمي جديد على أرضية الرأسمالية لا يشكل بحد ذاته هدفًا مثاليًا. وبحسب المعطيات الراهنة، من غير المرجح أن ينتج نظام دولي أكثر عدلًا، إلا في حال اندلاع حرب كبرى تشارك فيها القوى العظمى بشكل مباشر، لا عبر حروب بالوكالة، بحيث تفرز واقعًا جديدًا تصنعه قوى جديدة على أرضية أيديولوجية نقيضة. وطالما بقيت العقيدة الرأسمالية تحكم التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن معاناة الشعوب ستستمر، حتى لو تغيرت هوية الجهة المهيمنة. إذ إن الظلم الاجتماعي وما يترتب عليه من تداعيات لا يقتصر على جغرافيا محددة، بل يشمل كل الأنظمة التي تمارس الاستغلال والقمع، ما يعني أن انتصار قوى رأسمالية على أخرى واستبدال قطب رأسمالي بآخر لا يُغير شيئًا في واقع الشعوب المستعمَرة والطبقات الكادحة. وسيبقى المطلوب صعود قوى اجتماعية جديدة تحمل مشروعًا تحرريًا حقيقيًا، وتؤمن بالعدالة الاجتماعية، وحق الشعوب في تقرير مصيرها وتناهض الهيمنة الإمبريالية الكولونيالية بكافة أشكالها. وهذا هو جوهر النضالات الشعبية في العالم، التي لا تزال تحاول كسر قيود الاستغلال والتبعية، رغم فشلها حتى الآن في تحقيق أهدافها، لأسباب كثيرة لا داعي لتكرارها. حيث إن الصراع الحقيقي ليس جيوسياسيًا بين دول وأقطاب رأسمالية، بل هو، في جوهره، صراع تاريخي طبقي بين الطبقة العاملة وحلفائها من جهة، والبرجوازيات المسيطرة التي تمارس أبشع أنواع الاستغلال والاضطهاد من جهة أخرى. فبعض القوى التي ترفع شعارات مناهضة للغرب الرأسمالي، تمارس هي الأخرى أشكالًا من الاستعباد والاستغلال الطبقي، وتنخرط في المنظومة الرأسمالية نفسها، حتى وإن لم تكن ذات طبيعة استعمارية بالمعنى الكلاسيكي، مما يضعف صدقيّتها ويشكك في جديتها في مواجهة الإمبريالية. وستبقى مشروعية الصراع ضد القوى الإمبريالية الكولونيالية تتحدد بناءً على طبيعة المصالح التي تمثلها القوى المناهضة لها. إن تجارب التاريخ تثبت أن الصراعات بين القوى الرأسمالية لم تكن يومًا في مصلحة الشعوب. فالحربان العالميتان الأولى والثانية كانتا صراعات بين قوى رأسمالية متنافسة على النفوذ والثروات، فيما دفعت الطبقات الشعبية ثمنها دمًا ودمارًا. من هنا، لا بد من طرح السؤال الأساسي: هل التوازنات الإستراتيجية المرتقبة ستخدم القوى والطبقات والشرائح البرجوازية الصاعدة؟ أم ستفضي إلى فتح الطريق أمام الشعوب والأمم المستعمرة والمقهورة للتحرر السياسي والاقتصادي ، وإلى إحداث تحسين ملموس في أوضاع الطبقات الشعبية؟ بهذا المعنى، فإن الأهم ليس تغيير المركز المهيمن وأشكال الاستغلال والسيطرة، بل تغيير الأساس الذي ترتكز عليه العلاقات الاقتصادية الحديثة وأسلوب الإنتاج القائم على الاستغلال والعمل المأجور. إن التأكيد على المسألة الطبقية يستند إلى دروس التجربة التاريخية وما أفرزته من حقائق، حيث استطاعت البرجوازية العالمية، مستندة إلى البرجوازية المحلية، اختراق التجارب التقدمية من داخلها. ولعل تجربة الاتحاد السوفييتي، الذي كان ثاني أقوى قوة عالمية، خير دليل؛ فقد سقط لا بفعل ضغوط خارجية فقط، بل بسبب تشكل بُنى طبقية برجوازية في داخله، تتناقض مصالحها مع التوجه الاشتراكي، مما أدى إلى تفجيره من الداخل. وقد يتكرر هذا السيناريو اليوم، إن لم يكن هناك وعي طبقي يرى الصلة بين الأسباب الاقتصادية والعواقب السياسية. وربما بعد العرض العسكري الصيني، الذي يعطي مدلولًا واضحًا بأن هزيمتها من الخارج غير واردة، فإن هذا قد يعزز القناعة بضرورة نخرها من الداخل. ولا شك أن التعددية القطبية تعد مرحلة انتقالية ضرورية نحو عالم أكثر توازنًا. بيد أن الهدف الأسمى يتمثل في القضاء النهائي على نظام الطبقات والملكية الاستغلالية، وانتصار الحرية والاشتراكية، باعتبارها الخيار الوحيد القادر على إنهاء استغلال الإنسان للإنسان، وتحرير البشرية سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا.

أسطول الصمود العالمي
صرخة إنسانية بوجه الإبادة والحصار

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي فلسطيني - لبنان

في بحر العجز السياسي والصمت والخذلان، يسير أسطول الصمود العالمي باتجاه شواطئ غزة، في محاولة لكسر الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ أكثر من 17 عاماً، ولتوجيه أنظار العالم أكثر نحو حرب الإبادة الجماعية المتواصلة منذ عامين، وتسليط المزيد من الضوء على المعاناة والكارثة الإنسانية في قطاع غزة.

ويهدف تحرك الأسطول إلى بناء شبكة دعم دولية للقضية الفلسطينية واستنهاض الرأي العام العالمي للضغط على الحكومات والمنظمات الدولية، وإطلاق صرخة مدوية للعالم أجمع تطالب بوقف حرب الإبادة وكسر الحصار.

ويعمل أسطول الصمود العالمي الذي يشارك فيه نشطاء وحقوقيون وسياسيون وأطباء وصحافيون ومواطنون من عدة جنسيات بعزيمة قوية ومعنويات عالية، على جعل البحر ممراً نحو الحرية وإجبار الاحتلال على وقف حرب الإبادة والتجويع والتدمير، وإيصال ما أمكن من وسائل إدامة الحياة لأهل غزة المجوعين والمحاصرين.

ويعتبر تحرك أسطول الصمود العالمي بمثابة دعوة عاجلة للشعوب والحكومات والمنظمات الأهلية والإنسانية من أجل بذل أقصى الجهود لوقف الحرب، وتفعيل تحركاتهم كي ترتقي إلى مستوى المخاطر والتحديات التي تتطلب من الشعوب ومن النخب الثقافية والاجتماعية أن تبادر وتنهض بأفعال ومواقف عملية تجاه هذه المخاطر والتحديات التي أصبحت تتجاوز حدود قطاع غزة، خاصة وأن الأسطول يمثل جهداً شعبياً من قبل نشطاء ومنظمات ونخب ثقافية واجتماعية من أوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا وشمال أفريقيا، ويخوض مغامرة الوصول إلى غزة تحت شعار: هذه ليست مجرد مهمة بل انتفاضة عالمية وحركة تضامن عالمي في مواجهة الإبادة والحصار، وهو أيضاً ليس مجرد حملة إيصال مساعدات، بل صرخة إنسانية في وجه الإبادة والتجويع، ونداء عالمي لوقف الحرب والحصار على غزة التي أصبحت تسكن قلب العالم والتاريخ.

ومنذ انطلاقه يواجه أسطول الصمود العالمي تهديدات إسرائيلية ومحاولات اعتراض في عرض البحر تحت طائلة القتل والاعتقال والترحيل، ولكن المشاركين في الأسطول الذي يركبون البحر بعشرات السفن الصغيرة لا يخافون من تهديدات الاحتلال لأن تحركهم ذا الطابع الأخلاقي والإنساني يشكل اختباراً حقيقياً للقوى السياسية والهيئات الحقوقية الثقافية والاجتماعية، كي تغادر مقاعد المتفرجين تجاه الحرب الأطول والأشرس والأعنف مع كيان الاحتلال.

ويسعى الأسطول الذي يرفع راية التضامن الإنساني إلى تكريس فعل رمزي أخلاقي ضاغط على الحكومات والأنظمة لكسر الحصار عن غزة وكسر جدار الصمت والخذلان والتأكيد على أن دعم صمود الشعب الفلسطيني هو مسؤولية جماعية للضمير الإنساني العالمي تتجاوز الزمان والمكان.

والمسألة الأهم في تحرك الأسطول هي أكبر مما يحمله من مساعدات إنسانية رمزية، حيث يحمل بحب وأمل شحنات كثيفة من المعاني السياسية والثقافية والاجتماعية التي تتجاوز كل الحدود الجغرافية، وسط حضور أممي كبير على متن الأسطول للتأكيد بأن ما يجري في قطاع غزة لم يعد قضية محلية أو إقليمية، بل رمزاً عالمياً جامعاً لحركات مناهضة الاحتلال والاستعمار والإمبريالية المتوحشة وانتهاكات حقوق الإنسان، كما يؤكد بأن قطاع غزة أصبح خط الدفاع الأول ضد منظومة مجرمة أفعالها تشكل خطراً على الإنسانية جمعاء. وهذا الخطر أصبح يطال المشاركين في الأسطول وفق المخاوف التي عبر عنها بيان سابق صدر عن وزراء خارجية كل من قطر، بنغلاديش، البرازيل، كولومبيا، إندونيسيا، إيرلندا، ليبيا، ماليزيا، المالديف، المكسيك، سلطنة عُمان، سلوفينيا، جنوب أفريقيا، إسبانيا، تركيا، حيث حذروا في بيانهم من أي أعمال عنف ضد أسطول الصمود العالمي، ورغم كل البيانات والتصريحات تعرض الأسطول لهجمات واعتداءات إسرائيلية باستخدام الطائرات المسيرة وإلقاء المتفجرات بالقرب من سفن الأسطول وتعريض المشاركين لخطر الموت، وهذا يتطلب ما هو أكثر من العمليات الاستعراضية وإرسال السفن الحربية التي قد يكون هدفها إبعاد الأسطول عن مهمته وليس حمايته من الاعتداءات الإسرائيلية التي لن تتوقف عند حد المضايقات والهجوم بالمسيرات.

وقال المشاركون في الأسطول الذين لم تخفهم هذه التهديدات والاعتداءات: نحن لسنا أبطالاً، نحن أشخاص لهم ضمير حي يهدفون إلى كسر الحصار على كامل قطاع غزة الذي يتجرع مرارة وأهوال حرب الإبادة الإسرائيلية على مدار عامين، ونطلب من الجميع خاصة وسائل الإعلام الاستمرار بالحديث عنا كي لا يستفرد بنا الاحتلال الإسرائيلي، وهو لن يستطيع منع مئات المتطوعين الذين يقدّر عددهم بنحو 600 شخص لا ينتمون لأي جهة سياسية أو حكومية من الإصرار على الوصول إلى شواطئ غزة ومساندة قضية عادلة، وفتح جبهة من جبهات النضال الإنساني الذي يحاصر كيان الاحتلال أخلاقياً، والتأكيد على أن الشعب الفلسطيني ومعه كل أحرار العالم ماضٍ في معركة الحرية حتى إنهاء الاحتلال ووقف حرب الإبادة، وأن أسطول الصمود العالمي هو شاهد جديد على أن القضية الفلسطينية هي قضية كل الشعوب المناضلة في وجه الاحتلال والإمبريالية والتمييز العنصري، والتي تنظر إلى الأسطول الذي لا يهاب البحر ودموية الاحتلال بأنه رسالة أمل تحملها سفن وقلوب شجاعة تؤمن بأن العدالة لا بد وأن تنتصر.

الانتفاضة العالمية من أجل فلسطين

حاتم إستانبولي - كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

مع كل يوم جديد تتحول الميادين في دول العالم إلى ساحات مواجهة تتعمق فيها الحدود والفواصل وتختلط الألوان لترسم لوحة متداخلة ما بين الفنون الإنسانية المختلفة في إطار لوحة إنسانية شاملة تجمعها التراجيديا الفلسطينية المقاومة التي أصبحت إطاراً يجمع كل معارضي الاضطهاد الرأسمالي الصهيوني وامتداداته في جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والقانونية والإعلامية والفكرية .

هذه الانتفاضة التي هزت أركان وأسس التحالف بين الرأسمالية الصهيونية والغربية بحيث لم يعد هناك إمكانية لتحمل الغطرسة الصهيونية التي سارع السياسيون الغربيون إلى العمل من أجل لملمة آثار الغطرسة الصهيونية في محاولة إلى توجيه الاتهام إلى أن الحكومة الإسرائيلية اليمينية هي من تتحمل مسؤولية جميع جرائم الابادة المعلنة ضد الإنسانية لتغطي أن جوهر العدوانية يكمن في الأسس المعرفية والسياسية الصهيونية القائمة عليها دولة إسرائيل العدوانية الإحلالية.

الانتفاضة وضحت أن هنالك خيطاً رفيعاً يربط بين جميع أشكال الاضطهاد المركب والمتعدد المستويات والمتداخل في الأشكال بين ما هو اجتماعي وسياسي وإعلامي وقانوني وإنساني يشمل كافة نشاطاته العملية الإنتاجية والفنية والرياضية والاجتماعية العالمية وبين الأفعال الإرهابية الإجرامية لإسرائيل وجيشها.

دماء غزة دفعت الانتفاضة الإنسانية لتحديد بوصلتها الجامعة لكشف ورفع الغطاء عن كل النشاطات السياسية والعسكرية والقانونية والاجتماعية التي مارستها وتمارسها الصهيونية وامتداداتها في العواصم الغربية في تعارض مع مصالح شعوبها ووضحت أن معيارها ليس خدمة مجتمعاتها التي تتعمق فيها الأزمات السياسية والاجتماعية بل خدمة إسرائيل المعبر الأبرز عن عدوانية الصهيونية العالمية.

صراخ دماء غزة الذي يتفجر من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها عدل ناظم ومعيار العدالة الإنسانية وكشف الحقيقة وأكد أن المعيار والناظم للعدالة الإنسانية ليس المعاداة للسامية بل القضية الفلسطينية ونضال شعبها الذي يدفع ثمناً عن معاناة الإنسانية جمعاء من التحالف الرأسمالي الصهيوني الغربي الذي يستخدم المعاداة للسامية واجهة لاضطهاد الشعوب وإسكات صوتها منذ أكثر من مئة عام.

صراخ دماء غزة فرض وقائع جديدة على المستويات الدولية والإقليمية والفلسطينية أهمها:

دولياً: أصبح هناك شبه إجماع على أن إسرائيل وعدوانيتها هي العامل الرئيسي في عدم الاستقرار الإقليمي وامتد ليشمل الاستقرار في المجتمعات الغربية التي كشفت أن سِياسييها وإعلامِييها وشركاتها الكبرى تعمل أولاً من أجل إسرائيل الصهيونية وعدوانيتها الإرهابية الإجرامية.

إقليمياً:

كشفت الحكومات العربية أن مهما قدمت من تنازلات سياسية واقتصادية ومالية لن تستطيع وقف العدوانية الصهيونية وأن الخلاف مع العدوانية الاسرائيلية ليس على سياساتها الإرهابية الإجرامية في فلسطين بل مع الأسس الفكرية الصهيونية التي تستخدم الرواية الدينية من أجل تحقيق سيطرتها وتوسعها في المنطقة وأن عدوانيتها ليس لها حدود جغرافية أو سياسية.

بعض الحكومات العربية أدركت أن المقاومة الفلسطينية واللبنانية وحلفائها هي الدرع الواقي لحمايتها سياسياً واجتماعياً وجغرافياً وأن مشكلتها ليس مع المقاومة بل مع عدوانية إسرائيل وإجراميتها التي لا توقفها اتفاقات سياسية أو معاهدات وهي تبتز هذه الحكومات والنظم وتنظر إليهم على أنهم نظم ضعيفة لا تستطيع حماية نفسها وهي بين المطرقة الإسرائيلية والسنديان الشعبي الذي كان دائماً مع فلسطين.

هذا الموقف الصعب لهذه النظم التي قدمت كل ما لديها من أجل إسرائيل وعدوانيتها لتكتشف أن إسرائيل تسعى لتحقيق حلمها الفنتازي اللاهوتي الذي إن لم تواجهه عبر تغيير سياساتها وإعادة النظر باتفاقات إبراهام الذي تستخدمه من أجل السيطرة الكاملة على فلسطين وتتحول إلى السيطرة الكاملة على المنطقة.

هذا الموقف يجب أن يجعل النظم العربية أن تعيد حساباتها وتدرك أن الحامي لها ليس إسرائيل الإرهابية العدوانية التوسعية بل هي شعوبها التي وقفت وتقف مع الحق الفلسطيني والعربي.

الاتفاقات فقدت مبرراتها السياسية والقانونية كاتِفاقات سلام بل كشفت أنها اتفاقيات تريد منها إسرائيل الاستسلام الشامل لهذه النظم وتنفيذ سياساتها وأوامرها وهذا تجلى بالعدوان على الدوحة وما رافقها من تبريرات وشروط إسرائيلية رافقت العدوان وتلته.

استمرارية عدوانية إسرائيل كشفت أن موقف الإدارة الأمريكية لا يقيم وزناً للنظم العربية عندما يتعلق الأمر بالمصلحة الإسرائيلية التي يراها عملياً أنها أولوية أمريكية بل هي جوهر المصلحة الصهيونية الأمريكية وأن اللغة العدوانية الإسرائيلية هي تعبير معلن وملموس إجرائي يوضح العدوانية الأمريكية على شعوب ونظم المنطقة التي استبدلت عدوانيتها المباشرة بعدوانية إسرائيل الإرهابية الإجرامية.

المصلحة الإقليمية تتطلب إلغاء الاتفاقات بحدها الأقصى وتجميدها بحدها الأدنى وتحول السياسة الدفاعية إلى سياسة هجومية سياسية تتلاقى مع موقف شعوب المنطقة وانتفاضة العالم.

محاولة الترويج أن الخلاف مع يمينية الحكومة الإسرائيلية هو تضليل سياسي تمارسه الحكومات الغربية وحلفاؤها على الشعوب.

التناقض الرئيسي هو مع الجوهر الفكري والسياسي والأسس المعرفية التي قامت عليها إسرائيل العدوانية التي أصبحت مركزاً للصهيونية العالمية التي تمص دماء شعوب العالم عبر أخطَبوطِها الاقتصادي والسياسي الممتد في عواصم العالم الغربي والذي بدأ يهتز عبر صرخات الميادين التي أدركت أن سِياسِييها هم دمى صهيونية تتحرك ليس لمصلحتها بل خدمة للوبي الصهيوني المتحكم بمعظم حكوماتها اليَمينية وبعض يسارها.

فلسطينياً:

الخطاب الرسمي المتوسل لم يعد يجدي نفعاً ولا يحمي السلطة والشعب من العدوانية الصهيونية وهو خطاب لا يرتقي لحجم التضحيات والدماء الفلسطينية التي قلبت المعادلات الشعبية والرسمية الدولية تحت ضغط الشعوب التي خرجت إلى الميادين.

الخطاب الرسمي يجب أن يتلاءم مع الحقائق الميدانية التي جعلت إسرائيل تغرق بِعدوانيتها وإرهابها وأصبح الاحتلال الصهيوني الإحلالي عبئاً عليها وكشف الجوهر الإجرامي والإرهابي للأسس الفكرية بكافة تياراتها الصهيونية على أنها متناقضة مع جوهر العدالة الإنسانية ومع كل محيطها من المحيط إلى الخليج.

الخطاب الرسمي الفلسطيني يجب أن يعيد الاعتبار للجوهر التحرري الوطني الجامع التي قامت على أساسه الثورة الفلسطينية ويؤكد أن المقاومة الفلسطينية بكافة اتجاهاتها هي رد شرعي بعد أن عجزت المؤسسات الدولية عن تحقيق العدالة لفلسطين ولو لم يكن احتلال لما وجدت المقاومة بفصائلها والمشكلة ليست بالمقاومة بل بالاحتلال الإحلالي الاستيطاني العِدواني الإرهابي .

المقاومة هي النقيض الوطني التحرري للاحتلال خاصة أن هناك تحولاً في الوعي الدولي العام الذي ضغط على حكوماته لأخذ مواقف معلنة عبرت عن نفسها بحملة الاعترافات النوعية التي كانت تحت ضغط الانتفاضة العالمية من أجل فلسطين.

هذه الانتفاضة العالمية لم تتحقق من خلال اتفاقات كامب ديفيد وأخواتها بل من خلال مقاومة الشعب الفلسطيني ودمائه في غزة والضفة.

الدم الفلسطيني الذي أعاد صياغة الوعي الشعبي العام وحرره من الفكرة الصهيونية السائدة وكشف أدوات الصهيونية مثل إيباك ومثيلاتها واتجاهات اليمين الأوروبي النازي الذي أعلن عن تحالفه ودعمه لِعدوانية إسرائيل تحت شعار معاداة الإسلام الزائف.

هذا التحول يجب أن يستثمر به لإعادة الروح في الرؤية التحررية الوطنية الفلسطينية والابتعاد عن الضخ بالشعار الديني لأنه يخدم التحريض الصهيوني في هجومه المعاكس على الانتفاضة العالمية من أجل فلسطين.

يجب التفكير في تنظيم هذا الزخم الشعبي في أطر اجتماعية وقانونية وسياسية من أجل المتابعة في محاسبة مجرمي الحرب وداعميهم من سياسيين في الحكومات الغربية عبر الدفع بدعاوى قانونية ضدهم في المحاكم بعنوان تشجيع الإبادة وتمويلها عبر المساعدات من دافعي الضرائب.

التحول في الرأي العام العالمي الذي يشكل أحد أشكال المقاومة للظلم والتسلط الصهيوني الإجرامي يتلاقى مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية واليمنية والإيرانية في وقوفها ضد التغول الإجرامي الإرهابي الصهيوني بحيث أصبح صوت هند رجب صرخة هزت الضمير الوجداني الإنساني وشكل نقطة تحول في أعتى المرتكزات الصهيونية الدعائية الإعلامية والمالية.

هذا الصوت هو الممثل الرسمي لضحايا الابادة في غزة بكافة أعمارهم ومهنهم ومقاوميها.

هذا الصوت الذي أعلن عن سقوط الرواية الأخلاقية الصهيونية وجعل معظم داعميها أمام خيارين إما إعلان موقف معادٍ لها أو السكوت والتراجع والتحول للحياد.

التضليل والتلاعب الإعلامي:

تكتيكات إسرائيل والولايات المتحدة في إدارة المساعدات ومفاوضات غزة

د. سعيد سلام - مدير مركز فيجن للدراسات الإستراتيجية

لقد تجاوز النزاع المستمر في غزة كونه مجرد مواجهة عسكرية ليصبح ساحة معقدة تُستخدم فيها أدوات الإعلام والدبلوماسية ببراعة فائقة لتحقيق أهداف سياسية وإستراتيجية، غالباً على حساب أرواح المدنيين ومقومات الحياة الأساسية. يهدف هذا التحليل إلى تسليط الضوء على أساليب التلاعب الإعلامي والدبلوماسي التي تمارسها إسرائيل والولايات المتحدة فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانية ومفاوضات وقف إطلاق النار في غزة. سنكشف التناقضات الصارخة بين الخطاب الرسمي والواقع الميداني، مع التركيز على الأثر الحقوقي والإنساني لهذه الممارسات.

ولتعزيز هذا التحليل، نُدرج النتائج التي توصلت إليها التقارير الصادرة في شهر تموز/يوليو حول الإبادة الجماعية في غزة عن منظمة «بتسيلم» تحت عنوان «إبادتنا» ومنظمة «أطباء من أجل حقوق الإنسان – إسرائيل» تحت عنوان «تدمير ظروف الحياة: تحليل صحي للإبادة الجماعية في غزة». التقارير التي امتدت على 88 و65 صفحة على التوالي، ليست مجرد وثيقة حقوقية، بل هي دليل قانوني مكتمل الأركان على وقوع جريمة إبادة جماعية بحق الفلسطينيين، وقد صيغت بأدوات مهنية ومنهجية دقيقة، استناداً إلى تحليل شامل لتصريحات المسؤولين الإسرائيليين التي أظهرت «نية الإبادة»، وربطتها بالاستهداف الممنهج للمؤسسات المدنية واستخدام التجويع كسلاح. إن هذا التمحيص النقدي يهدف إلى تسليط الضوء على الأبعاد القانونية والأخلاقية لهذه الممارسات المعقدة، ويدعو إلى محاسبة المسؤولين عن هذه الجرائم التي تُرتكب بوضوح أمام مرأى ومسمع العالم.

النتائج الرئيسية لتقارير «بتسيلم» و«أطباء من أجل حقوق الإنسان – إسرائيل»: أدلة قانونية على نية الإبادة

ركزت التقارير على توفير أدلة قانونية واضحة لتحديد مسؤولية الاحتلال عن جريمة الإبادة. وقد تم تصنيف النتائج في نقاط رئيسية تُشكل أساساً للمساءلة الدولية:

• إثبات نية الإبادة (Mens Rea): تجاوز التقرير مجرد الإشارة إلى «الجرائم» ليصل إلى إثبات «نية الإبادة الجماعية»، وهو العنصر القانوني الأكثر صعوبة في الإثبات. حيث استند التقرير إلى تحليل شامل لتصريحات مسؤولين سياسيين وعسكريين إسرائيليين دعت صراحة إلى «تدمير غزة»، و«عدم التمييز بين مدني ومقاتل»، و«تحويل القطاع إلى رماد». وربط هذه التصريحات بالأوامر العسكرية الصادرة على الأرض، ليثبت أن الإبادة ليست مجرد نتيجة عرضية للحرب، بل هي نية مبيتة تترجم إلى أفعال. وقدم التقرير أمثلة صارخة، حيث يقتبس من أمر عسكري داخلي مؤرخ في 23 أكتوبر 2024، يُظهر تعليمات لفرق المدفعية باستهداف «كل الأهداف الثابتة في المناطق المصنفة كـ ‹مناطق نزاع› دون الحاجة للتأكد من وجود مدنيين»، مما يُعد دليلاً دامغاً على النية المباشرة في القتل غير المبرر.

• الاستهداف المنهجي للمؤسسات المدنية: قدم التقرير خرائط تفصيلية وصوراً بالأقمار الصناعية تُظهر أن الدمار لم يكن عشوائياً، بل استهدف بشكل ممنهج الأماكن التي تحافظ على بقاء المجتمع الفلسطيني. فأكثر من 90% من المستشفيات، و94% من المدارس والجامعات، و75% من المساجد والكنائس قد تم استهدافها بشكل مباشر أو غير مباشر. وربطت التقارير هذا الدمار بنية محو الهوية الثقافية والدينية والتعليمية للشعب الفلسطيني، مما يُشكل ركناً أساسياً في جريمة الإبادة الجماعية.

• التجويع كسلاح إبادة: قدمت التقارير أدلة قاطعة على استخدام التجويع كأداة حرب، بما يتجاوز مجرد عرقلة المساعدات. فقد تضمنت شهادات لضباط إسرائيليين سابقين أكدوا وجود سياسة ممنهجة لتقييد دخول المساعدات، وحرقها، وتدميرها. وربطت ذلك بالارتفاع الهائل في أعداد الوفيات بسبب سوء التغذية، ليُظهر أن الجوع ليس نتيجة للوضع، بل هو استراتيجية متعمدة لتصفية الوجود المدني.

• الأثر النفسي والاجتماعي الموثق: لم تكتفِ التقارير بالأرقام المادية، بل خصصت فصولاً كاملة للآثار النفسية والاجتماعية التي تُشكل جزءاً من الإبادة الجماعية. فقد وثقت حالات صدمة نفسية جماعية بين الأطفال والنساء، وحالات انهيار نفسي حاد بين الأطباء والمسعفين، إلى جانب تفكك البنية الاجتماعية في المناطق المدمرة. هذه الأدلة تُثبت أن الإبادة لم تكن جسدية فقط، بل كانت تستهدف الروح المعنوية وقدرة المجتمع على البقاء والاستمرار.

تدمير المساعدات الإنسانية وقتل المدنيين عند نقاط التوزيع:

تُعد قضية المساعدات الإنسانية في قطاع غزة من أكثر القضايا إثارة للجدل، حيث تتضارب الروايات الرسمية الإسرائيلية مع الحقائق الميدانية والدلائل الخطيرة، وتشير بوضوح إلى استخدام التجويع كأداة حرب ممنهجة، وتُضاف إليها حوادث القتل عند نقاط التوزيع، مما يشكل خرقاً جلياً للقانون الدولي الإنساني.

في شهادة غير مسبوقة، كشف مصدر في هيئة البث الإسرائيلية (KAN) أن الجيش الإسرائيلي عمد إلى تدمير أو دفن وحرق كميات هائلة من المواد الغذائية والطبية التي كانت بمحطة كرم أبو سالم، وهي ما تزيد عن 1000 شاحنة مساعدات تُركت تفسد تحت الشمس دون توزيع على سكان القطاع. أحد الضباط الإسرائيليين صرّح: «لقد دفنا كل شيء في الأرض، وأحرقنا بعض الإمدادات»، مشيراً إلى توقف آلية التوزيع وتدهورها الكامل. هذه الكمية، بحسب الوزارة الصحية بغزة، كانت تكفي لإطعام ما يربو على مليون شخص لأسبوع كامل، لكن بدلاً من ذلك تمَّ القضاء عليها عمداً، مما يُشكل خرقاً خطيراً للمادة 54 من البروتوكول الإضافي لاتفاقيات جنيف، التي تحظر استخدام التجويع كسلاح حرب. يضاف إلى ذلك، تركيز تقرير «بتسيلم» على أن «إسرائيل تستخدم الجوع عمداً للإبادة الجماعية»، وأن «حظر الغذاء استراتيجية عسكرية متعمدة»، وهو ما أكدته المحكمة الدولية في لاهاي بتاريخ 26 يوليو 2025.

ويُعدّ استهداف المدنيين الفلسطينيين العُزّل أثناء محاولتهم الحصول على المساعدات عند نقاط التوزيع جريمة حرب متصاعدة الخطورة، تُضاف إلى سجل الانتهاكات الجسيمة. منذ بدء عمليات التوزيع عبر مؤسسة Gaza Humanitarian Foundation (GHF) المدعومة أمريكياً وإسرائيلياً – تحديداً منذ 27 مايو 2025 – شهدت أعداد الضحايا ارتفاعاً كارثياً.

ووفقاً لأحدث البيانات الرسمية لوزارة الصحة الفلسطينية، بلغ الإجمالي التراكمي لـ «شهداء لقمة العيش» الذين وصلوا إلى المستشفيات 2560 شهيداً، فيما تجاوز عدد الجرحى 18703 إصابات، سُجلت جميعها أثناء محاولتهم الوصول إلى مواقع المساعدات. هذا الارتفاع الصادم في الأرقام، مقارنةً بـ 895 قتيلاً سجلهم مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (OHCHR) بالقرب من نقاط توزيع GHF حتى نهاية أغسطس 2025، يُشير إلى وتيرة استهداف غير مسبوقة.

وللتدليل على نمط الاستهداف المباشر، تُعد حادثة إطلاق النار التي وقعت في 6 يونيو 2025 في خان يونس مثالاً صارخاً، حيث قُتل فيها 42 مدنياً أثناء توجههم لموقع التوزيع. وأكدت التحقيقات الميدانية وشهادات الشهود أن إطلاق النار كان مباشراً وغير مبرر ضد مدنيين. إن هذه الحوادث المتكررة تضع المؤسسات المشرفة على التوزيع، بما في ذلك GHF وشركاؤها، أمام ضرورة المساءلة القانونية لارتباطها المحتمل بجرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية، خصوصاً في ظل استخدام قوات أمنية خاصة مرافقة لهذه المواقع.

في المقابل، تُروّج إسرائيل عبر حساباتها الرسمية على منصات التواصل الاجتماعي، لادعاءات متكررة بأنها تُسهّل دخول مئات الشاحنات المحملة بالمساعدات إلى غزة عبر معبر كرم أبو سالم. وتُلقي هذه الروايات باللوم بشكل مباشر على الأمم المتحدة، متهمة إياها بـ «عرقلة متعمدة» لعمليات التوزيع، بهدف تشويه صورة إسرائيل. بيد أن هذه المزاعم تتعارض بشكل صارخ مع تقارير الأمم المتحدة، التي تُدين إسرائيل بفرض قيود صارمة على دخول المساعدات، وتعتبر ذلك انتهاكاً واضحاً لاتفاق وقف إطلاق النار. تشير التقارير إلى أن شاحنة طعام واحدة فقط تدخل لكل 5000 شخص يومياً، وأن 97% من الأدوية الأساسية محظورة، مما يؤكد الفجوة الهائلة بين التصريحات الإسرائيلية والواقع الميداني المعاش.

وتُعد الغارات الإسرائيلية التي استهدفت قافلة مساعدات تابعة لمنظمة المطبخ المركزي العالمي في أبريل 2024، وأدت إلى مقتل سبعة من عمال الإغاثة، نقطة تحول كشفت عن نمط خطير في التعامل مع المساعدات. لقد أثارت هذه الحادثة إدانات دولية واسعة، حيث أدان الرئيس الأمريكي جو بايدن الهجوم، مشيراً إلى أن إسرائيل «لم تفعل ما يكفي لحماية المدنيين»، وطالب بوقف فوري لإطلاق النار. ورغم تعهد إسرائيل، وفقاً لصحيفة «هآرتس»، بإجراء تحقيق في الحادث، إلا أن عدم نشر نتائج واضحة حتى الآن يُعزز الرواية الفلسطينية حول الاستهداف المتعمد للمساعدات الإنسانية.

كذلك تفيد مصادر غربية بأن الإدارة الأمريكية السابقة أمرت بإتلاف 500 طن من الأغذية الطارئة المخصصة للفلسطينيين، وهي كمية كان من شأنها إطعام 1.5 مليون طفل لمدة أسبوع. ورغم أن هذه المعلومات لم تُؤكد بشكل واسع في الإعلام الإسرائيلي، إلا أنها تتماشى مع التقارير الدولية حول عرقلة المساعدات، بما في ذلك تقرير الأمم المتحدة الذي أشار إلى انخفاض عدد شاحنات المساعدات إلى 30 شاحنة يومياً في أكتوبر 2024، مقارنة بـ 500 شاحنة يومياً قبل الحرب. هذه البيانات تُقدم صورة مقلقة حول مدى تقييد المساعدات، سواء كان ذلك بقرارات مباشرة أو غير مباشرة، مما يُساهم في تفاقم الأزمة الإنسانية.

التلاعب بالرواية والتحكم بالسرد: التضليل الأمريكي والإسرائيلي المشترك

تُستخدم المناورات الإعلامية والدبلوماسية بشراكة ممنهجة بين الطرفين الأمريكي والإسرائيلي للتحكم بالرواية حول الحرب وتوجيه اللوم ببراعة، لا سيما في سياق مفاوضات وقف إطلاق النار المعقدة. الهدف الاستراتيجي من هذا التضليل هو صرف الانتباه العالمي عن الجرائم والإبادة المستمرة في غزة.

تتركز الحملة الإعلامية الإسرائيلية على تشويه صورة «حماس» من خلال تصويرها العنصر المعطّل الوحيد للمفاوضات، واتهامها بفرض شروط «غير واقعية» مثل شرط إنهاء الحرب بشكل دائم، وهو الشرط الذي يُعدّ أساسياً لأي حل عادل ومستدام. بُنيت هذه الرواية الكاذبة على فرضية أن «حماس» هي وحدها من ترفض المقترحات. في المقابل، تُشير تقارير صادرة عن الوسطاء الأساسيين، مثل مصر وقطر، إلى أن إسرائيل هي التي تعمدت إفراغ الاتفاقيات المقترحة من محتواها الجوهري، عبر حذف بنود أساسية تتعلق برفع الحصار أو إرساء آليات انتقال سلطة فلسطينية موحدة في غزة بعد الحرب. وصل التلاعب إلى حدّ تزوير الوثائق ونشرها في الإعلام. ففي يوليو 2024، نشرت صحيفة «جيروزاليم بوست» تقارير اعتمدت على وثائق مُزوّرة زعمت أن القائد «يحيى السنوار» يعرقل المفاوضات لأغراض «حرب نفسية». لاحقاً، تم الكشف عن زيف هذه الوثائق، مما أدى إلى اعتقال أربعة إسرائيليين، بينهم مساعد لرئيس الوزراء نتنياهو. هذا الحادث يُعد دليلاً دامغاً على المحاولات الإعلامية الممنهجة لتشويه الطرف الفلسطيني وتبرير السياسات الإسرائيلية العدوانية، حتى لو تطلب الأمر تلفيق الأدلة.

ويتجسد الدور الأمريكي بصفته شريكاً فاعلاً في دعم وتغطية الرواية الإسرائيلية. فقد نقلت صحيفة «هآرتس» عن مسؤولين إسرائيليين أن واشنطن شجعت تل أبيب على توسيع عدوانها بعد انسحابها من مفاوضات الدوحة في 2024، تحت ذريعة «عدم تعاون حماس». يتوافق هذا التشجيع مع الرواية الأمريكية التي ركزت على إلقاء اللوم الحصري على حماس في تعطيل المفاوضات، متجاهلة تأكيدات المصادر القطرية والمصرية بأن إسرائيل هي التي رفضت بنوداً جوهرية تتعلق بإنهاء الحصار الشامل وتسليم السلطة للفلسطينيين. إن الدعم الأمريكي ليس مجرد موقف سياسي؛ بل يُترجم إلى تغطية دبلوماسية وشرعية دولية للعمليات العسكرية الإسرائيلية التي تنتهك القانون الدولي الإنساني بشكل متكرر. وتُستخدم التصريحات الأمريكية حول «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها» لتبرير فرض حصار شامل وعقاب جماعي، مما يقوض جهود الإغاثة ويسهم بشكل مباشر في تفاقم الكارثة الإنسانية. هذا يثبت أن الموقف الأمريكي ليس محايداً، بل منحاز بشكل حاسم لدعم العدوان الإسرائيلي.

تفنيد التضليل عبر الأدلة والتقارير الحقوقية:

تتحدى التقارير الصادرة عن منظمتي «بتسيلم» و«أطباء من أجل حقوق الإنسان – إسرائيل» الرواية المضللة بشكل مباشر وقاطع. تؤكد التقارير أن العدوان الإسرائيلي ليس مجرد رد فعل على حماس، بل هو جزء لا يتجزأ من نهج سياسي ممنهج لإبادة الوجود الفلسطيني بالكامل – جسدياً ونفسياً وثقافياً. وتشدد على أن القرارات السياسية والعسكرية الإسرائيلية تكشف عن نية واضحة للمحو الكامل (Genocidal Intent)، مما يُسقط الادعاءات الإعلامية الكاذبة التي تحاول تصوير حرب الإبادة على أنها «نزاع» محدود أو نتيجة «تعنت» طرف واحد. والحملات الدبلوماسية والإعلامية الإسرائيلية لإعلان فتح «ممرات إنسانية» أو تسهيل دخول المساعدات (كما حدث في يوليو 2025 بفتح معبر كرم أبو سالم) لا تهدف إلى تحسين الوضع الإنساني، بل هي مجرد تكتيكات «لإدارة الانطباعات» الدولية وتجميل الصورة في ظل ضغوط متزايدة. لكن تقارير الأمم المتحدة تؤكد استمرار القيود على دخول المتطلبات الحيوية، مما يُظهر أن الهدف الحقيقي لهذه الرواية الإعلامية المضللة هو إخفاء الطبيعة الإبادية للعمليات العسكرية وتصويرها كـ «دفاع عن النفس» مشروع، والتهرب من المساءلة القانونية والأخلاقية.

بالتأكيد، إن تحليل أثر هذا التضليل المشترك على المواقف الدولية تجاه حل الصراع أمر بالغ الأهمية.

يؤدي هذا التلاعب المستمر بالرواية إلى نتائج كارثية على المساعي الدولية نحو الحل، ويمكن تلخيص أثره على النحو الآتي:

أثر التضليل المشترك على المواقف الدولية ووقف الحرب

يُشكل التنسيق الإعلامي والدبلوماسي بين إسرائيل والولايات المتحدة جداراً دبلوماسياً يحمي استمرار عمليات الإبادة الجماعية ويُبطل فعالية أي جهد دولي جاد. ويظهر الأثر السلبي لهذا التضليل في ثلاث محاور رئيسية:

• شلّ حركة المنظمات الدولية وتقويض المساءلة: إن السردية الإسرائيلية-الأمريكية التي تُصوّر العمليات العسكرية على أنها «حق مشروع في الدفاع عن النفس» ضد «عنصر مُعطِّل للمفاوضات» (حماس)، يُؤدي بشكل مباشر إلى شلّ المؤسسات الدولية. تعطيل مجلس الأمن يضمن الدعم الأمريكي، من خلال استخدام حق النقض (الفيتو) أو التهديد به، تحييد أي قرارات دولية ملزمة تدعو إلى وقف إطلاق نار دائم أو إدخال آليات مساءلة فورية. ويتم تبرير هذا التعطيل بحجة أن أي قرار يجب أن يأخذ في الاعتبار «أمن إسرائيل» أولاً، مما يطمس حقيقة الانتهاكات. إضعاف آليات العدالة، حيث أن إصرار الرواية على أن الأفعال الإسرائيلية هي رد فعل ضروري يُعقّد جهود المحكمة الجنائية الدولية (ICC) ومحكمة العدل الدولية (ICJ) فالتضليل الإعلامي يزرع الشك حول نية الإبادة الجماعية، ويسمح بتسويق تكتيكات التجويع والتدمير على أنها «أضرار جانبية» وليست أفعالاً ذات نية إجرامية مباشرة.

• تآكل مصداقية الوساطة وتقزيم دور الوسطاء: إن التركيز المفرط على إلقاء اللوم على طرف واحد في فشل المفاوضات، كما يحدث في إبراز «تعنت حماس»، يُضعف دور الوسطاء الأساسيين (قطر ومصر) ، ويؤدي إلى تحويل مسار المفاوضات، فبدلاً من التركيز على الضغط على الطرف الذي يرفض البنود الجوهرية (إنهاء الحرب ورفع الحصار) ، يتحول الضغط الدولي إلى مطالبة «حماس» بتقديم تنازلات غير متوازنة. كذلك يؤدي إلى تحويل الأهداف، فيُصبح الهدف من المفاوضات، في نظر الرأي العام الغربي، هو إطلاق سراح الرهائن فقط، بينما يتم تهميش القضية الجوهرية لإنهاء العدوان وتحقيق الأمن المستدام للفلسطينيين. وهذا تقزيم متعمّد للقانون الدولي الذي يفرض إنهاء الحصار والعقاب الجماعي.

• تحويل المساعدات الإنسانية إلى أداة ضغط سياسي: يؤدي التضليل إلى إعادة تعريف المساعدات الإنسانية من «حق إنساني غير قابل للتفاوض» إلى «امتياز يُمنح كأداة ضغط». إن استعراض فتح «الممرات الإنسانية» وإدخال المساعدات، إلى جانب حملات التجميل الإعلامي، يهدف إلى إضفاء الشرعية على الحصار الشامل الذي تفرضه إسرائيل. حيث يتم تصوير القيود المفروضة على دخول الوقود أو المعدات الثقيلة على أنها «إجراءات أمنية» ضرورية وليست جزءاً من استراتيجية إبادية للتجويع والتهجير القسري. بالنتيجة، تُصبح جهود الإغاثة الدولية مشلولة ومجزأة، مما يضمن استمرار تفاقم الكارثة الإنسانية ويزيد من معدلات «شهداء لقمة العيش»، وهو ما يخدم هدف «المحو التدريجي للوجود» دون تحمل مسؤولية قانونية كاملة.

التضليل كآلية ممنهجة لعرقلة السلام والعدالة

إنَّ التحالف المُنظَّم في التضليل، الذي يجمع بين التكتيكات الإعلامية الإسرائيلية والدعم الدبلوماسي الأمريكي، لا يُعيق الوصول إلى حل سلمي حقيقي فحسب، بل يُكرس حالة الإفلات من العقاب، محولاً القانون الدولي إلى مجرد حبر على ورق لا يُطبَّق إلا على الضعفاء. يتم استخدام التضليل كـدرع قانوني فعال، حيث يحول دون الاعتراف بالطبيعة الكاملة للانتهاكات، وهي تتجاوز «جرائم الحرب» لتصل إلى مستوى «الإبادة الجماعية» وفقاً لاستنتاجات تقارير حقوقية داخلية. إن تبرير أعمال القتل والتدمير بأنها «دفاع عن النفس» أو «أضرار جانبية» يُشكّل محاولة وقحة لتفريغ القانون الدولي الإنساني من مضمونه الأخلاقي والقانوني. هذه الآلية تُفشل جهود المؤسسات القضائية الدولية، مما يُرسّخ قناعة لدى مرتكبي الجرائم بأنهم بمنأى عن أي مساءلة، وهو ما يُعدّ تقويضاً جوهرياً لأسس النظام الدولي القائم على العدالة والمساواة.

كذلك التضليل الممنهج يعمل على محو النية الجنائية التي تُعد عنصراً أساسياً في إثبات جريمة الإبادة الجماعية. فبدلاً من التركيز على تصريحات المسؤولين الإسرائيليين التي تُشير بوضوح إلى نية «المحو» أو «التدمير»، يتم تضخيم سردية الرد على «هجوم 7 أكتوبر 2023». هذا التكتيك لا يُشتت الانتباه عن الانتهاكات الحالية فحسب، بل يُحوّل المعاناة الإنسانية الهائلة إلى مجرد ناتج طبيعي للصراع، بدلاً من الاعتراف بها كهدف مقصود لتحقيق أجندة سياسية تُبقي على السيطرة الإسرائيلية الكاملة.

إن استمرار التضليل والتلاعب بالرواية يُبقي على حالة عدم الاستقرار وعدم اليقين القانوني. طالما بقيت حقيقة نوايا الإبادة مطموسة خلف ستار «الدفاع عن النفس»، فلن يتمكن المجتمع الدولي من تبنّي خطط إعمار مستدامة، ولن يتوفر التمويل الكافي لضمان العودة الآمنة والكريمة للفلسطينيين. يصبح الإعمار مجرد ترميم مؤقت، مما يضمن أن تكون غزة قابلة للتدمير مجدداً في أي وقت، ويُبقي الفلسطينيين تحت رحمة الفقر والحصار والتجويع، في حلقة مفرغة تُديم الاحتلال وتُعيق أي انتقال حقيقي نحو السلام العادل والشامل.

”إسرائيل الكبرى“ تتماذج وإسبارطة العظمى

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي فلسطيني - سورية

لم يترك بنيامين نتنياهو من الوسائل الماكرة والأكاذيب الخادعة، إلا واستخدمها، المأزوم المطارد، والمطلوب للعدالة الدولية بصفته مجرم حرب وقاتل ومشرف على حرب إبادة جماعية بحق الشعب العربي الفلسطيني، المتكئ على خرافات وهلوسات توراتية محرّفة جملة وتفصيلاً، وهو الذي لا يصغي للنداءات الدولية بضرورة وقف الحرب وإفساح المجال لتدفق المساعدات الإنسانية، خوفاً ورعباً من أن يتكرر هجوم السابع من أكتوبر الذي يقض مضجعه وزمرته الفاشية، اليمين الأكثر تطرفاً.

في غابر الزمان كانت الأم الإسبارطية توصي ابنها الذاهب إلى الحرب بهذا القول «عُد بدرعِك أو محمولاً عليه «؛ وأمهات الجنود الصهاينة يشجعن أبناءهن بكسر وسحق عظام أهل غزة شريطة أن يعودوا سالمين، لأنهم يستحقون الحياة، ومن أجلها، أي الحياة لا بد من قتل الأطفال والنساء وكبار السن وهدم بيوتهم وطحنها وجعلها غير صالحة للعيش الآدمي.

مناسبة استحضار النموذج الإسبارطي الدموي، نتنياهو المعجب به لدرجة أنه يتهم دولاً ومنها على سبيل المثال لا الحصر، الشقيقة قطر لفرض حصار على كيانه، في خطاب ألقاه في 15 سبتمبر/ أيلول 2025، بما يتعين عليها، أي دولة قطر أن تزاوج بين أثينا وإسبارطة العظمى؛ والتناقض الكبير بين المثالين يدل على الرؤية الضريرة وفقدان التحكم والسيطرة، وذلك شتان ما بين غيابات السجون والفضاء الفسيح، فاسحاً المجال لأحلامه ومخيلاته لتحويل كيانه إلى كيان مستعد للحرب في كل لحظة لأنه وحسب زعمه يواجه عدة جبهات في آن واحد .

ملوك إسبارطة يختصون بمنصب الكاهن الأعلى، ولهم سلطة إعلان الحرب على أي بلد من دون معارضة؛ ونتنياهو يريد للكيان الصهيوني أن يتخذه ملك الملوك، وبيده وإليه يعود الأمر كله بالحرب والسلام، حيث لا يستمع للمعارضة ومطالباتها، ومن صلاحيات الكهنة أيضاً تعيين العرافيين والتصرف بالقوانين، كذلك نتنياهو يذهب بعيداً مع المتشددين الصهاينة من أمثال بن غفير وسموتريتش، وعلى مجتمع الصهاينة أن يغض الطرف عن فسادهم وغطرستهم وميلهم للحرب والدماء، المسيرات من ذوي الرهائن وأنصارهم تجوب المدن والقرى تطالب بصفقة تعيد الرهائن، وهذه الزمرة المجرمة لا ترى في هذا الإجراء إلا المزيد بالقتل والتدمير، ومصير الرهائن لا يعنيهم بقدر ما يهمهم توسيع الأحلام .

نتنياهو تجرأ على القضاء، واعداً بتغييره وفق رؤيته ونظرته، حتى تتساوق مع الحرب المعلنة على الشرق الأوسط، المرحلة دقيقة وخطيرة ولا تتطلب الوقوف أو التردد، فالأهداف الكبرى يمكن تحقيقها، والرئيس الأمريكي دونالد ترامب مستجيب لآخر نقطة.. فالحكومة الحالية الأكثر راديكالية في تاريخ الكيان الصهيوني وكأنه يسابق طواحين الهواء، أو كأنه يعيد سيرة الزعماء الذين أوصلوا بلادهم وعبادهم للحضيض والمذلة كأمثال هتلر ونيرون وبول بوت وغيرهم .

إن إعجاب نتنياهو الطاغي بالمجتمع الإسبارطي، إعجاب القدوة السيئة لما فيه من مساوئ، فلا يمكن لأمثال نتنياهو أن يروا أو يقلدوا النماذج الحسنة والتي لها سمعة جيدة لا يمكن إغفالها أو نسيانها باعتبار فاقد الشيء لا يعطيه قطعا، إذ ترى هذه الثلة الحاكمة أنها في موقع قيادي وريادي للمرحلة الدقيقة والحاسمة، إذ يعتقد هؤلاء بأنهم يقومون بخدمة المصالح المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

نتنياهو الفاسد الملاحق قانونياً ودولياً، سواء داخل فلسطين المحتلة أو خارجها، يعد نفسه بالمخلص لهذه المرحلة وبالتالي فإن الضغوط عليه من الداخل والخارج لا تثنيه عن مواصلة الحرب التي لن تكون في صالحه مهما كانت النتائج، فالمجتمع الإسبارطي كان يعج بالفساد والقوانين الجائرة التي جعلت من مواطنيها تستغرب ديمومة الصراعات مع الآخرين، وبالتالي حرمانهم من نعمة الأمن والأمان ومن المهم أن يقرأ نتنياهو جيداً عن هذا المجتمع وكيفية انهياره المدوي ليعتبر ويشكل له درساً وقانوناً مفاده بأن عنصر القوة أو عوامل القوة إن لم تكُن فيها جوانب أخلاقية فمصيرها الانهيار.. وفي هذا السياق يمكن القول بأن المقاومة الفلسطينية كسبت تعاطف شعوب العالم لأنها على حق بالدرجة الأولى وسلوكها أخلاقي حسب القيم الإسلامية والعربية السمحاء بالدرجة الثانية .

يريد نتنياهو تحويل المجتمع الصهيوني إلى مجتمع محارب دائم لأن الأهداف كبيرة والمساحات شاسعة وواسعة، حيث لا حدود لأطماعه، ناهيك عن تفاخره الدائم بقوة إسرائيل الجوية وهيمنتها، لذلك يريد إلزام الحريدين بالخدمة العسكرية ولا استثناءات.. الاقتراب والتشابه من المجتمع الإسبارطي قائم على قدم وساق؛ وتلك المهمة يتحدث عنها العلامة أرنولد توينبي في «بحث في التاريخ»، فيرى ميزة النظام الإسبارطي إهمالها متطلبات الطبيعة البشرية إهمالاً كبيراً، فالعبيد يزرعون والإسبارطيون يتفرّغون لفنون الحرب، وذاك النظام فرض على الطفل الإسبارطي أن يدخل في دورات التدريب العسكري منذ السابعة من عمره، ولا توجد حالات إعفاء من الخدمة، وحتى الفتيات كُنَّ يُدربن كالفتيان. وكان على الإسبارطي أن يخدم 53 سنة في الجيش، ما أنتج منظومة قيمية خاضعة بالمطلق للروح العسكرية، وإلى مستوىً بلغت فيه الأم الإسبارطية أن توصي ابنها الذاهب إلى الحرب بهذا القول «عُد بدرعِك أو محمولا عليه»، مثلما يكتب شيخ المؤرخين وول ديورانت في «قصّة الحضارة».

تاريخ إسبارطة هزيل وبائس، تاريخ دموي وغياب للعقلانية، إذ تغلب عليه الشوفينية المقيتة، حيث كانت أمة منزوعة التاريخ وعند سقوطها لم يحزن أحد عليها، ولا آثار ولا مكتشفات أثرية تفيد أو تمجد تلك الحقبة السوداء، فإسرائيل تحفر تحت الأرض على نية وجود قطع أثرية تثبت تواجدهم على أرض فلسطين، ونقش سلوان المكتشف المسطر بستة أسطر عن كيفية استخراج الماء سبب أزمة ما بين تركيا التي تحتفظ فيه وما بين الكيان الصهيوني الذي يريد النقش ليثبت مزاعمه بالوجود مع العلم بأن النقش وجد خارج الأسوار ما يدل على طردهم وإبعادهم نتيجة مكرهم وخداعهم وعدم انسجامهم مع السكان الأصليين .

كان الإسبارطيون يعلنون الحرب ويخوضونها في كل الاتجاهات، هكذا الرؤية وهكذا فلسفتهم للحياة، وإسرائيل ستكون إسبارطة العظمى ونتنياهو يغرف من التاريخ ما يدغدغ مشاعره لجهة القوة وحسب، ولا يلتفت للمآلات التي آلت إليها إسبارطة العظمى، ولمن لا يعرف، لقد عزلت إسبارطة نفسها وحاربت حتى نهايتها، وإسرائيل الآن تعزل نفسها وتهدد دول العالم بعد الاعتراف بدولة فلسطين، وحتماً لن تقاوم إرادة المجتمع الدولي.

وفي السياق نفسه، كتب عاموس هرئيل في صحيفة هآرتس أن «نتنياهو ارتكب خطأ فادحاً في خطابه الإسبارطي، فهبطت البورصة، وباغتته ردّات أفعال رجال الاقتصاد والمال. الصورة مقلقة للغاية، والرجل الذي يقود إسرائيل إلى تعميق الحرب في قطاع غزّة زعيم فاشل ومعزول ومطارد، ومصمّم على التمسّك بالسلطة بكل الوسائل». وكتب تسفي برئيل في الصحيفة نفسها 18 سبتمبر/ أيلول، مستهزئاً بنتنياهو «الزعيم الوطني الذي قارن إسرائيل بإسبارطة، وهي نموذج قلده هتلر وموسوليني، وإسبارطة التي تم تدميرها وخلفت إرثاً رمزياً بُعثت الآن للحياة في إسرائيل»، لكن إسبارطة كما في مقالة بني درور في «يديعوت أحرونوت» انهارت، لأنها عاشت على أسنّة الرماح وعلى حدود السيوف.

وبالفعل، هذا ما تقوم به دولة الاحتلال في غزّة والضفة الغربية ولبنان وسورية واليمن وقطر وإيران، وربما دول أخرى ... هكذا كانت إسبارطة تُعلن الحروب وتخوضها في كل الاتجاهات، وهكذا انهارت ... الإسرائيليون يدركون ذلك ويكررونه، والحالة التي عليها الكيان الصهيوني هي حالة داء الإصابة بكيمياء الدم، إذ لا يبعث على الطمأنينة إلا الدم والتدمير واقتلاع شعب من جذوره، وتهديد العالم وفتح جبهات بكل الاتجاهات، فالغرور والصلف والعنجهية صفة الإمبراطوريات البائدة، لأن التاريخ يعلمنا أن الانهيار لا يتم بالدول الضعيفة التي تقاوم وتناضل من أجل البقاء والمنافسة ، بل بالدول التي تتغول على العالم وتعتبره ميداناً لها ولأطماعها.

أرسطو عاب وانتقد دستور إسبارطة كله. على ما جاء في كتابه «السياسات»، أدّت قوة إسبارطة إلى أن تذهب بها إلى عدم استمتاعها بالسلام، وحرمان شعبها وسكانها من السكينة، نتنياهو على النهج، يأخذ المجتمع الصهيوني العابر للقارات إلى النهاية والفناء الحتمي، وأعتقد أن ما من أمة تحزن على زوال إسرائيل أو تترحم عليها .

يدور حديث له قيمة كبيرة عند السياسيين والإستراتيجيين.. ملاحقة الصهاينة في العالم سيكون معقداً، وربما يبقى حتى وفاة آخر صهيوني مختبئ والتاريخ يعيد نفسه، الصهاينة طاردوا النازيين وآخر نازي تم القبض عليه في الأرجنتين 1960 وهو أدولف إيخمان تم استحضاره إلى فلسطين المحتلة وإعدامه، فهل تكون السنوات القليلة القادمة مسرحاً لعمليات الملاحقة والمكافآت لقاء التوصل إلى شخصيات صهيونية مختبئة وسط المجتمعات.. أعتقد أن هذا اليوم بات قريبا وإشاراته وإرهاصاته بدأت تلوح في الأفق فإسرائيل لن تشذ عن القوانين والقواعد الثابتة .

التوسع العملياتي الإسرائيلي وانكشاف النظام الإقليمي العربي

د. عابد الزريعي مدير مركز دراسات ارض فلسطين للتنمية والانتماء- تونس

التوسع العملياتي الاسرائيلي هو اتساع مسرح العمليات العسكرية المباشرة وغير المباشرة، التي تقوم بها إسرائيل داخل نطاق الوطن العربي. هذا المفهوم في حد ذاته لا يقتصر على تمدد القوات البرية وتمركزها في نطاق جغرافي محدد، وانما يعني أيضا استباحة الأجواء لهذا البلد او ذاك، وبذلك ينضوي على ما يمكن تسميته بتوسع الإرادة، أي إرادة الفعل في فضاء الغير برا كان او جوا او بحرا. كما ينضوي في الجهة المقابلة، على تعطل وشلل إرادة الصد في الجانب الأخر، بما يعني انكشاف وتعرية حدود قدرته وارادته. ان عملية التوسع العملياتي الإسرائيلي تجري بشكل متسارع في الفضاء الإقليمي العربي، بما يؤكد انكشافا عربيا غير مسبوق في تاريخ الصراع مع الكيان الصهيوني. سنحاول القاء الضوء على هذا الموضوع، من خلال العدوان الإسرائيلي على قطر بتاريخ 8 سبتمبر 2025، لأن التمعن في الحدث يكشف عن عقدة تقاطعات حالة التوسع من ناحية والانكشاف من ناحية ثانية. بما يعنيه ذلك من تناول الموضوع في مستويين، يتعلق الأول بدلالات العدوان كتحدي، بينما يتعلق الثاني بمستوى الإجابة كرد فعل.

وفي هذا السياق شكل العدوان الصهيوني على قطر بتاريخ 8 سبتمبر 2025 لحظة فارقة، تعود أهميتها الى تسليط الضوء على واقع النظام الإقليمي العربي وانكشافه، وعجزة ليس فقط عن مواجهة التحديات الخارجية، وانما قبوله للاختراق والتغلغل من قبل القوى الخارجية بشكل غير مسبوق. وإذا كان من الصحيح القول انه خلال الأسبوع الذي جرى فيه العدوان على قطر، كان الطيران الإسرائيلي يحلق في سماء ثلاثة بلدان عربية، مستعرضا او مستهدفا مواقع عسكرية ومدنية وقيادات، الا انه من الصحيح أيضا ان ثمة فارق لابد من الانتباه اليه، وهو ان البلدان الثلاثة التي دأب الطيران الصهيوني على استهدافها، (اليمن، سورية، لبنان) هي في حالة صراع معه سابق او قائم ومن قبل قواها الرسمية او الشعبية. اما بالنسبة لقطر فقد كان الامر مختلفا نوعا ما، وإذا ربطنا هذا الاختلاف مع الواقع الموضوعي الذي يضم النظام الإقليمي العربي، وفي ظل وجود إسرائيل كانتهاك واختراق استراتيجي في قلب جغرافية هذا النظام، فستنتصب امامنا الحقائق الأتية:

1 قدمت قطر نفسها أمام المجتمع الدولي كدولة وسيطة في حل النزاعات الدولية، بما يعني انها ارادت تكريس صورتها كدولة محايدة وخارج نطاق الصراعات الإقليمية والدولية، ليأتي العدوان الإسرائيلي ويؤكد ان الحصانة الدولية التي ارادتها قطر لنفسها بعيدا عن ارتباطها الإقليمي العربي، لا تعني شيئا بالنسبة لقوة احتلال استعمارية لا تنظر لأي بلد عربي الا من منظارها العسكري بوصفه عدوا مهما ابدى من اللين او اللامبالاة تجاه الإقليم.

2 راهنت قطر على ان وجود قاعدة العيديد العسكرية الاريكية على ارضها، يشكل ضمانة لها من أي عدوان خارجي، ليأتي العدوان الإسرائيلي ويكشف عن تواطؤ امريكي مع إسرائيل، وذلك رغم كل محاولات النفي والتملص، بما يؤكد ان العلاقة الامريكية الأساسية في المنطقة تقوم على ام وامان الكيان الصهيوني قبل كل شيء، وبالنسبة لمن يعتقد انه حليفا لها من قبل الأنظمة العربية، فهي تنظر له كمجرد أداة للاستخدام المؤقت.

3 لعبت قطر إلى جانب مصر دور الوسيط بين إسرائيل وحركة حماس، وجاءت الوساطة القطرية بطلب أميركي مباشر، وعليه أصبحت الدوحة مقر المفاوضات ووفودها، بما يعني ان شن الهجوم على الدولة الوسيطة، بهدف القضاء على الوفد التفاوضي لاحد أطراف الصراع، لا يعني سعيا إسرائيليا لتخريب المفاوضات وعدم الدفع بها قدما فقط، وهو الامر الذي تأكد من عدم الرد على مقترح الصفقة الجزئية الذي توصلت إليه كل من مصر وقطر وقبلتها المقاومة، وانما توجيه رسالة مفادها ان كل البلدان العربية مستباحة حتى البلدان الخليجية التي انخرط بعضها في مسار التطبيع. فانتهاك سيادة دولة عربية عضوة في جامعة الدول العربية، وتربطها ببقية الأعضاء اتفاقية دفاع مشترك. كما انها عضوة في مجلس التعاون الخليجي الذي يشكل أحد التعبيرات داخل الإطار العربي العام، وتربطها بأعضائه اتفاقية دفاع مشترك كذلك. أن إسرائيل قادرة على ضرب أية دولة عربية وفي الوقت الذي تحدده.

ملامح انكشاف النظام الإقليمي:

التحدي الذي تنضوي عليه القضايا الثلاثة المشار اليها كدلالات للعدوان، من المفترض ان تستنهض استجابة بذات المستوى، خاصة وأنها قضايا تنضوي على حركية سياسية وعملية، وقابلة للتفشي إذا لم يتم ردعها. لكن الاستجابة الحاصلة لم تكن بذات المستوى، ومن خلالها تبدت ملامح انكشاف النظام الإقليمي العربي، في موقفه تجاه العدوان الإسرائيلي المتكرر على البلدان العربية العضوة في هذا النظام، ويمكن رصد الجوانب الرئيسة لهذه الاستجابة فيما يلي:

1 انفصام الموقف: اتسم الموقف العربي قبل العدوان على قطر بالتجاهل الشامل، لما يحدث في الأجواء السورية واللبنانية واليمنية، وهو تجاهل في بعض جوانبه انضوى على نوع من الشماتة تجاه اليمن تحديدا، واللامبالاة لما يحدث في سورية، والتواطؤ من قبل بعض الأنظمة لما يحدث في لبنان، حتى من قبل قطر. وفي المقابل برز فيض من الاهتمام عندما تعرضت قطر للعدوان، حتى من قبل البلدان التي تتعرض سيادتها للانتهاك وتحديدا سورية ولبنان. هذا الانفصام في التعامل مع الانتهاكات الإسرائيلية، يكشف عن حالة غير مسبوقة من انكشاف الوضع العربي، الامر الذي تبدى بشكل واضح، خلال ما يقارب العامين من اندلاع معركة طوفان الأقصى، بكل ما افرزته من قضايا وحقائق من بينها ان الكيان الصهيوني بوجوده وتركيبته واستراتيجياته الممارسة يمثل خطر مصيريا على هذه الأمة من محيطها الى خليجها.

2 تعويم النظام: تمت الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربية إسلامية، على الرغم من ان الأداة الأساسية لمواجهة الحدث هي الدعوة لقمة عربية بالأساس، يمكن ان تتبعها قمة إسلامية عربية او افريقية، بهدف توسيع مسار التحرك، ان المسالة في دلالاتها تتجاوز موضوع الوحدة العربية الإسلامية، لقد ترتب على ذلك تعويم المسالة المحددة وتوزيع دمها ، فبدلا من رؤية عربية منطلقة من الوعي بالتهديدات الحقيقية التي تواجها المنطقة، يتم بلورتها ومن ثم يمكن الذهاب الى الحشد من حولها على كافة المستويات الإقليمية والدولية، تم المضي بالعكس من ذلك. وقد ترتب على التعويم في الإطار، تعويم في الموقف المتخذ من قبل المشاركين في القمة، والذي طغى عليه الطابع العاطفي حتى من قبل سورية التي يعربد الطيران الإسرائيلي في اجوائها. كما تجاهل البيان الختامي ما تتعرض له البلدان الأخرى من قصف وبعضها حاضر في القمة. وتجاهل الإشارة الى استهداف قيادة حماس ووفدها المفوض، وهي مسألة تتجاوز موضوع التفاوض الى الموقف من العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. وكذلك تجاهل الإشارة الى الولايات المتحدة الامريكية.

خاتمة:

لقد كشف العدوان الإسرائيلي على قطر عن هشاشة النظام الإقليمي العربي، وانخرام الأمن القومي العربي بشكل عام وأمن الخليج بشكل خاص، وهي مسألة آخذة في التراكم في ظل حالة التردي التي تعيشها مراكز القرار العربي التقليدية، والسيطرة على هذا القرار من قبل أنظمة رهنت نفسها سلفا للقوى الامبريالية، ولم تعد ترى في إسرائيل عدواً وجودياً، تفرض الوقائع الاستعداد لمواجهته على كافة المستويات.

البرهان الفلسفي على زوال (إسرائيل)

د. سامي الشَّيخ محمّد - أكاديمي فلسطيني - سورية

لو سئل رئيس وزراء الكيان الصهيوني المجرم نتنياهو: لماذا كل هذه الدموية والإجرام المركب بحق ملايين السكان في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، وبحق لبنان واليمن وسوريا والجمهورية الإسلامية الإيرانية، ودولة قطر الشقيقة، والتلويح باستهداف دول أخرى في المنطقة منددة بالجرائم الصهيونية المرتكبة يومياً بحق شعبنا الفلسطيني، ومناصرتها للقضية الفلسطينية؟
لأجاب على الفور بأن إسرائيل أضحت تواجه خطراً وجودياً يتهددها بالزوال منذ نشأتها، لا سيما منذ طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر قبل عامين.

الزّوال خاصيّة جوهريّة للظّواهر الزّائفة في الوجود، لذا كان وجودها في الحياة وجوداً مؤقّتاً طارئاً غير مشروع، بخلاف الظّواهر الحقيقيّة الّتي تتميّز بأصالتها وقدرتها على البقاء بفعل مشروعيّتها، ومن الظّواهر الزّائفة: الكيانات الاحتلاليّة للأمم والشّعوب المستعمِرة، والشّرور على مختلف أنواعها.

وثمّة تقاطع واختلاف فيما بين الظّاهرة الزّائفة والظّاهرة الحقيقيّة، فتعيّنهما المحسوس في الحياة وإشغالهما حيّزاً من الذّاكرة الإنسانيّة أحد أشكال هذا

التّقاطع، في حين يعدّ انتساب إحداهما للماضي وعدم القدرة على البقاء والأخرى للماضي والمستقبل مع القدرة على البقاء، ناهيك عن الأثر السّلبي الّذي تخلّفه الظّاهرة الزّائفة في النّفس الإنسانية في مقابل الأثر الإيجابي الّذي تخلّفه الظّاهرة الحقيقيّة، من أبرز عناصر الاختلاف بينهما.

والكيان الصّهيوني واحد من الظّواهر الزّائفة في الوجود، الأمر الّذي سينتهي به إلى الزّوال، حقّاً: هل يمتلك هذا الكيان قدرةً لا نهائية على البقاء والحياة؟ إنَّ دراسةً معمّقةً لطبيعته ونشأته وبنيته، وللاحتلالات البشريّة منذ فجر التّاريخ حتّى أيّامنا هذه تنبئ باستحالة استمراره في الوجود أو قدرته على البقاء، فالإمبراطوريات الرّومانيّة والبيزنطيّة والفارسيّة والعربيّة والعثمانيّة والبريطانيّة، والاستعمار الأوروبيّ الحديث للعديد من بلدان وشعوب العالم، لم يفلحوا في البقاء كمحتلّين أو فاتحين أو مبشّرين إلى ما لا نهاية، ولا في إذابة الهويّة الثّقافيّة والحضاريّة للأمم المستعمرة، بغضّ النّظر عن الفروقات الجوهريّة والاختلافات الأساسيّة بين إمبراطوريّة وأخرى وبين استعمارٍ وآخر. .

في هذا السّياق يمكن الحديث عن الكيان الاستيطاني الصّهيوني في فلسطين، مع الإشارة إلى وجود نوعٍ واحدٍ من الاحتلالات البشريّة أفلح في البقاء على قيد الحياة هو الاحتلال الأوروبي للقارّة الأمريكيّة، بوصفه احتلالاً إحلاليّاً إلغائيّاً إفنائيّاً بآنٍ واحد، حيث عمل على إزالة السّكان الأصليين من الهنود الحمر إزالة شبه تامّة ونهائيّة .

من هنا فجميع الاحتلالات البشريّة غير الفنائية كان مصيرها الهزيمة والفشل، بغض النّظر عن تباين الفترات الزّمنيّة فيما بينها، وهذا ناتجٌ عن مقاومة الشّعوب المستعمَرة للشّعوب المستعمِرة وبذل التّضحيات في سبيل حرّيتها واستقلالها. بمعنى ما لم يكن احتلال شعبٍ لشعبٍ آخر فنائيّاً فإنّه لن يقوى على البقاء في الحياة إلى ما لا نهاية، ذلك أنَّ علاقة المستعمِر بالمستَعمَر تخضع لمنطق صراع الأضّداد، فلا بدّ لأحد الضدّين من إلحاق الهزيمة بالآخر والانتصار عليه في نهاية المطاف، وفي هذه الحالة يكون البقاء للضدّ الأصليّ وليس للضدّ الدّخيل، أي لا بدّ للشّعب المستعمَر من دحر المستعمِر وإزالته من حياته مهما بلغت أسباب قوّته الماديّة .

والاستعمار الصّهيوني الاستيطاني لفلسطين واحدٌ من الاحتلالات البشريّة غير الفنائية، رغم طبيعته العدوانيّة الشّرسة، وجرائم إبادته للفلسطينيين، وتهجيره أعداداً كبيرةً من الفلسطينيين خارج وطنهم إبان وقوع نكبة العام 1948

فمسار النّموّ السكّاني والازدياد العددي للشّعب الفلسطينيّ داخل فلسطين في تسارعٍ مستمرّ ومطّرد مقابل نموّ وازدياد ضئيل في عدد المستوطنين اليهود، الأمر الّذي يشير إلى كسر معادلة التفوّق العدديّ الدّيمغرافي لصالح الشّعب العربيّ الفلسطينيّ المتشبّث بترابه الوطني، فالإحصاءات السكّانيّة تشير إلى ازدياد عدد الفلسطينيين لأكثر من ضعفٍ ونصف _ كحدٍّ أدنى _ بالنّسبة لعدد الصّهاينة لبضع سنوات قادمة_ إنْ قُدِّر للكيان الصّهيوني البقاء حتّى ذلك التّاريخ دون أن نغفل عن الحقيقة الآتية : بأنَّ التّعداد السّكاني الرّاهن للفلسطينيين يتجاوز عدد أفراد الكيان الصّهيوني ببضعة ملايين الأمر الّذي يُفسّر لنا – في أحد أبعاده – مدى قوّة وصلابة المقاومة الفلسطينيّة الرّاهنة، وقدرتها على المضيّ قُدُماً نحو تحقيق أهدافها الوطنيّة المنشودة، وبالفعل فقدرة المقاومين الفلسطينيين على الوصول إلى أي مكان في فلسطين المحتلّة وإيقاع أعداد هائلة من القتلى والجرحى في صفوف المستوطنين الصّهاينة، بشارة أكيدة على دخول الكيان الصّهيوني في المرحلة الأخيرة والنّهائيّة من حياته، ودليلٌ على فاعليّة العنصر الدّيمغرافي في الصّراع، من هنا أضحى أجل الاحتلال الصّهيوني لفلسطين والأراضي العربية أقصر بكثير ممّا يتوقّعه الآخرون، فلن يقوى على الاستمرار في الاحتلال والبقاء في فلسطين . فهذه نتيجة منطقيّة للمقدّمات والشّروط الّتي أُنشئ على أساسها الكيان الصّهيونيّ .

ربّ قائلٍ يقول: هل بوسع الشّعب العربي الفلسطينيّ إزالة الاحتلال الصّهيونيّ عن أرضه رغم فارق العدّة والعتاد والإمكانات الماديّة بين الطّرفين؟!

أجل بوسعه إزالة الاحتلال ولكن ليس بالسّهولة الّتي يتصوّرها البعض، نتيجةً للفوارق آنفة الذّكر. من هنا يصبح تحقيق كمٍّ نوعيٍّ من التّراكمات النّضاليّة على أيدي المقاومة الوطنيّة بأطيافها المختلفة في إطار الصّراع الدّائر مع الاحتلال ضرورة لا غنى عنها .

فإرادة المقاومة لدى الشّعب العربي الفلسطينيّ أقوى من إرادة الاحتلال الصّهيوني وبطشه، وليس أدلّ على ذلك من استمراره في تقديم التّضحيات البشريّة وغير البشريّة، مقابل افتقاد المحتلّين الصّهاينة لهذه الخاصيّة، فالمعادلة القائمة هي أنَّ الطّرف الّذي يمتلك القدرة على احتمال الموت أكثر من الطّرف الآخر هو الّذي سيظفر بتحقيق أهدافه في نهاية المطاف، فالشّعب الفلسطينيّ المدعوم من قوى المقاومة الشّريفة في الأمّة والعالم هو من يمتلك هذه القدرة وليس الصّهاينة .

لقد أصبح الكيان الصّهيوني يواجه مصيره بمفرده على الرّغم من عويل بعض الأطراف الدّوليّة عليه، بخاصّة أمريكا وبريطانيا، وفرنسا، والبلدان الغربيّة الّتي هاجر اليهود منها إلى فلسطين المحتلّة، خشية عودتهم إليها ثانية، وهو ما يفسّر الدّعم العسكري والاقتصاديّ والسّياسي والإعلاميّ للحكومات الصّهيونيّة المتعاقبة.

مع أنَّ إنشاءَه كان مهمّة بريطانيّة دوليّة في المقام الأوّل، وهذه مسألة على غاية الأهميّة، إذ لم يكن ولن يكون بوسع أيّ شعب من شعوب العالم إلحاق هزيمة بأمم الأرض في حال تكالبها عليه دفعةً واحدة على أرضه، في حين تصبح هزيمة المستعمِر منفرداً أمراً مؤكّداً، وهذا هو بالضّبط عين ما انطبق وينطبق على النّموذج الاحتلالي الاستيطاني للكيان الصّهيوني، في ولادته ومماته وزواله المحتوم عن أرض فلسطين .

العدوان الصهيوني على الدوحة
ضربة في صميم الأمن القومي العربي:
هل تنهض الأمة والدول العربية في مواجهة العربدة الصهيونية الإبادية المفتوحة؟

نواف الزرو - كاتب وباحث سياسي فلسطيني - الأردن

في حقيقة تطورات المشهد الفلسطيني- العربي الإقليمي الصراعي الخطيرة نوثق:

كان للقرصنة والعربدة والزعرنة الصهيونية المنفلتة في الدوحة وكل دول المنطقة تداعيات ودلالات كبيرة وخطيرة على ما كان يسمى في يوم من الأيام «الأمن القومي العربي» وكذلك «المناعة القومية العربية»، بل إنها ضربة من الوزن الثقيل في صميم الأمن القومي العربي على علاته وكل ملاحظاتنا عليه، فكأن ما جرى ويجري في الدول العربية في المشهد الراهن، من فوضى وتفكيك وتفكك وانهيار للأمن القطري والقومي العربي على حد سواء، إنما يلبي مخططات ورغبات صهيونية قديمة كامنة، وكأن ما يجري للأمة العربية في هذا الزمن، وبعد أكثر من سبعة وسبعين عامًا من النكبة المفتوحة واغتصاب فلسطين، وثمانية وخمسين عامًا على هزيمة حزيران، من غياب وتغييب وفقدان للبوصلة والدور والوزن على المستوى الإقليمي والدولي، إنما يخدم تلك الأجندة الصهيونية، فما الذي بحثت عنه وأرادته الصهيونية منذ نشأتها، سوى هذا المشهد العربي المتفكك والضعيف والمجرد من عناصر القوة الإستراتيجية، لصالح الأمن القومي الإسرائيلي...؟!

وفي المشهد أيضاً:

نتنياهو يتحدى العرب بتصريحاته الأخيرة حول رؤيته التاريخية ل «أرض إسرائيل»، فحينما يعلن عن اعتقاده بأنه في «مهمة تاريخية وروحية»، لافتاً إلى أنه يؤيد «رؤية إسرائيل الكبرى» التي تشمل وفق مزاعم إسرائيلية مناطق تضم الأراضي الفلسطينية المحتلة وجزءاً من الأردن ولبنان وسوريا ومصر فإنه يقدم لنا خلاصة الرؤية الصهيونية-التوراتية ل «أرض إسرائيل الكاملة»، ويؤكد نتنياهو أنه يشعر بأنه في مهمة تاريخية وروحية، وأنه مرتبط جداً برؤية إسرائيل الكبرى»، وحين سئل عما إذا كان يشعر بأنه «في مهمة نيابة عن الشعب اليهودي» أجاب بأنه «في مهمة أجيال»، وأضاف: «لذلك إذا كنت تسألني عما إذا كان لدي شعور بالمهمة، تاريخياً وروحياً، فالجواب هو نعم»، ونقول من جهتنا: على الفلسطينيين والعرب والعالم أن يأخذوا رؤية وحلم نتنياهو التاريخي على محمل الجد، فالذي يشن كل هذه الحروب الإبادية في المنطقة يكون بمنتهى الجدية فهو لا يمزح مع العرب.

فأين العرب إذن من رؤية نتنياهو التي تشكل تحدياً وتهديداً صريحاً للعرب....؟!

إلى ذلك: الاحتلال يشن حرباً إبادية إجرامية مفتوحة لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري من حيث بشاعتها بحق أهلنا في غزة نساء وأطفالاً وشيباً وشباناً وبالبث الحي والمباشر، والاحتلال يجتاح فلسطين بكاملها، ليس فقط استيطاناً وتهويداً، بل وقتلاً وتدميراً وتخريباً وإلغاء واعتقالاً للشعب الفلسطيني بكامله على امتداد مساحة فلسطين، والاحتلال يمضي في أجندته الاستعمارية الاستيلائية التهويدية التي تحكمها معادلة: «ليقل العالم غير اليهود ما يقوله، ولكن قاطرة الاقتلاع والتهجير والاستيطان والتهويد ماضية باستمرار، وفي كل المواقع والمناطق المحتلة».

وعلى المستوى العربي يعلن نتنياهو أنه يشن حرباً وجودية ضد الأعداء، بل إنه يذهب لإبادة الآخر العربي في لبنان وسوريا واليمن وأبعد من ذلك متذرعاً أنه يخوض حرباً وجودية من أجل أمن ومستقبل «إسرائيل»...

وعلى المستوى الإقليمي تشن «إسرائيل» عدواناً كبيراً ووجودياً بالمعني التدميري الشامل على إيران بذريعة تدمير قدراتها النووية والصاروخية بينما هي تمتلك كل أسلحة التدمير الشامل، بل وتنفرد بامتلاكها...!

وفي ظل كل هذه الحروب الإبادية والوجودية التي تطال الأمة العربية بكاملها بالمعنى الإستراتيجي نتساءل ويتساءل الجميع:

أين العرب إذن في هذه المعادلة الصراعية الوجودية...؟!

فلسطين تحتاج من الأمة في ظل هذه الإبادة الصهيونية الإجرامية المنفلتة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ إلى جملة واحدة مفيدة في ظل هذا التغول الصهيوني على القضية والحقوق والتاريخ والرواية والهوية والحاضر والمستقبل...؟!

يقول الشاعر المصري عبد المعطي حجازي في صرخة قوية: «إننا كأمة أمام خيارين: إما أن نتركهم يفعلون ما يريدون، وإما أن نحشد قوانا ونرد على حرب الإبادة بمثلها، ونحن قادرون....!، ويضيف في تصريح لـ "رأي اليوم 20/3/2025 «إن أقل شيء يجب أن تقوم به السعودية -مثلاً- هو وقف إمدادهم بالبترول، وأقل شيء على مصر هو قطع العلاقات مع هؤلاء القتلة المجرمين.....!

ربما توحي ردود الفعل العربية والدولية على العربدة الصهيونية في قطر والمنطقة بصحوة من غفوة عميقة... فهل نرى لمثل هذه الصحوة ترجمة حقيقية على أرض الواقع....؟

أما في الخلفيات الأيديولوجية والإستراتيجية لمشهد العربدة والبلطجة الصهيونية دعونا نقرأ مقومات وعناصر الإستراتيجيات التي تشكل منطلقاً للممارسات الصهيونية :

أولاً: العمل على تفكيك الوحدة العربية :

منذ أن كان مشروع «الوطن القومي لليهود في فلسطين» فكرة في رؤوس أقطاب الحركة الصهيونية والغرب الاستعماري، خططوا وأعدوا العدة لتهيئة المناخات المحلية والإقليمية والدولية لولادة غير طبيعية لذلك المولود الصهيوني، وكان ذلك يستلزم منهم في مقدمة ما يستلزم، العمل من أجل حياة وبقاء ذلك المولود، وذلك ما كان عبر عنه جنرالهم الأسبق موشيه ديان، في لقاء مع مجلة بمحنيه الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي قائلاً: «إننا/أي إسرائيل/ قلب مزروع في هذه المنطقة، غير أن الأعضاء الأخرى /العرب/ هناك ترفض قبول هذا القلب المزروع، ولذلك لا خيار أمامنا سوى حقن هذا القلب بالمزيد والمزيد من الحقن المنشطة، من أجل التغلب على هذا الرفض»، مؤكدًا: «الأمر بالنسبة لنا حتمية حياتية -انتهى الاقتباس-»، وكي يعيش هذا القلب المزروع لأطول فترة من الزمن في هذا المحيط الرافض، طور قادتهم ومنظروهم ما يمكن أن نطلق عليه نظريات ومرتكزات الأمن القومي الإسرائيلي، التي تقوم بالأساس ليس فقط على تطوير القدرات العسكرية الإسرائيلية، وإنما أيضًا على تنظيف المنطقة من عناصر القوة العربية المهددة للوجود الصهيوني.

أما عناصر القوة العربية التي تشكل تهديدات محتملة لوجود ومستقبل ذلك المولود المزروع في الجسم العربي، ففي مقدمتها من وجهة نظرهم الوحدة العربية، التي إن تحققت ما بين عرب آسيا من جهة، وعرب شمال إفريقيا من جهة أخرى، فإن ذلك يعني نهاية دولتهم، وقد أدركوا ذلك مبكرًا جدًا بعقلية الغرب الاستعماري، ولذلك بعد أن نشر الكاتب والمفكر القومي العربي نجيب عازوري في نهاية 1904 كتابه «بلاد العرب للعرب»، وكتابه «يقظة الأمة العربية» 1905، ودعا فيهما إلى الحذر من الاستعمار والمشروع الصهيوني، قال ماكس نوردو أحد كبار مؤسسي ومنظري الصهيونية: «إن أكبر أعدائنا هم القوميون دعاة العروبة خارج أرض إسرائيل، وخصومنا في سوريا ومصر، الذين يقومون بكل ما في وسعهم لإثارة شعور الكراهية ضد الصهيونية والهجرة اليهودية إلى أرض إسرائيل»، كما رفع ناحوم سوكولوف من الآباء المنظرين للفكر الصهيوني مبكرًا، مذكرة إلى الخارجية البريطانية بتاريخ 4 12 1916 قال فيها: «إن انشاء كومنويلث يهودي في فلسطين تحت حماية إنجلترا سيقيم جدارًا فاصلًا بين عرب آسيا وعرب الشمال الإفريقي، وهذا سيكون فيه خدمة كبرى لدولة تضم في حوزتها عربًا من الجانبين».

لقد خشيت «إسرائيل» من الوحدة القومية العربية، كما تخشى من جهة أخرى أي وحدة إسلامية حقيقية، ودعت لمواجهة المد القومي العربي، إلى جانب تشكيلها فرقًا استخبارية مهمتها الأساسية تحريض الأقليات الدينية والإثنية في الدول العربية ضد العرب، وفي هذا الصدد، وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958، أرسل بن غوريون رسالة إلى الرئيس الأمريكي إيزنهاور، تناول فيها خطر قيام الوحدة على أمن إسرائيل، وقال فيها: «إن إسرائيل بحاجة إلى مانع قوي يصد عنها احتمالات الهجوم العربي، وإن هذا المانع لا يمكن أن يتمثل؛ إلا في أن يكون لإسرائيل جيش قوي، تستطيع أن تواجه به تيار الوحدة الذي يزداد قوة»، وفي رسالة ثانية للرئيس الأمريكي قال بن غوريون: «إن عوامل الوحدة العربية تعمل بنشاط، وإذا نجح مسعاها، فإن حصار إسرائيل يصبح كاملًا، وتصبح جيوش الدول العربية قادرة على أن توجه إليها ضربات خطيرة من جبهات متعددة، وسوف يعني ذلك تدهورًا خطيرًا في مقتضيات أمن إسرائيل، لأنه كما تعلم بخبرتك العسكرية الفذة، ليس لإسرائيل أي عمق من الناحية الجغرافية».

ولذلك، كان ل «إسرائيل» والغرب، وفي مقدمته الولايات المتحدة، دورًا مركزيًا في العمل على الانفصال وضرب الوحدة العربية بأيدٍ عربية، وتواصلت المؤامرة لإسقاط ليس فقط نظام الرئيس عبد الناصر، وإنما فكرة ومشروع الوحدة -أي وحدة- عربية، وما تزال...!

ثانياً: العربدة والهيمنة الإستراتيجية على الشرق الأوسط:

وتتكامل المهمات الصهيونية في هذا الإطار الإستراتيجي، فضرب الوحدة العربية، وإغراق الأمة العربية بالنزاعات والحروب الداخلية، إنما تؤدي في الحاصل الإستراتيجي إلى السيطرة الإستراتيجية الإسرائيلية على منطقة الشرق الأوسط برمته، وهذا ما حرصت وتحرص عليه أيضًا الإدارة الأمريكية ومعها الدول الأوروبية التي تجمع على «الحفاظ على التفوق العسكري-الإستراتيجي الإسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط»: ف «الهدف الرئيسي للسياسات الإسرائيلية هو السيطرة الإقليمية على الشرق الأوسط بأكمله، والمخطط الإسرائيلي هو تحييد الفلسطينيين والسيطرة التامة عليهم، حتى تتفرغ إسرائيل لتحقيق أهدافها الحقيقية، والسيطرة على الشرق الأوسط، أكثر أهمية في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي، ومن أهم وسائل «إسرائيل» في تنفيذ مخططاتها هو النفوذ الإسرائيلي على السياسات الأمريكية- كما أكد البروفيسور الإسرائيلي إسرائيل شاحك»، وعن الأسلحة الإستراتيجية أضاف شاحك: «إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لأية دولة في الشرق الأوسط بتطوير إمكانيات نووية، وتعطي لنفسها الحق في استخدام ما تراه مناسبًا من وسائل لمنع مثل هذا الاحتمال، حتى تظل في وضع احتكار السلاح النووي وامتلاك الرادع النووي دون منازع»، وهي النظرية التي عرفت ب «نظرية بيغن» ومفادها أنه: «يتوجب على إسرائيل السعي بصورة فعلية إلى منع أي محاولة عربية لإنتاج سلاح نووي»، والتعبير الفعلي- التطبيقي- لهذه النظرية كان من خلال تدمير المفاعل النووي العراقي» تموز» في 7 حزيران 1981 على يد سلاح الطيران الإسرائيلي، وقال بيغن في أعقاب هذه العملية: «نحن لن نقبل بأي شكل من الأشكال، أو شرط من الشروط، أن يقوم عدونا بتطوير سلاح دمار شامل ضد شعبنا»، وكذلك بعمليات القصف والتدمير التي نفذتها «إسرائيل» ضد ما زعم أنها منشآت نووية وكيماوية وصاروخية سورية»، مذكرين بسلسة الاغتيالات التي نفذتها الأذرع الاستخبارية الإسرائيلية، ضد نخب من علماء الذرة الألمان والمصريين والعراقيين.

الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ قيام دولتهم، رأت أن امتلاك أي دولة عربية، أو حتى شرق أوسطية للسلاح النووي أو لمفاعل نووي حتى لأغراض مدنية -سلمية-، يشكل خطرًا على مصالحها القائمة، وعلى مستقبلها العسكري والإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، وهذا ينسجم مع الخط السياسي الذي أكده بيغن في «أن إسرائيل يجب أن تبقى مالكة مفتاح التفوق العسكري».

ثالثاً: تقويض عناصر التطور الحضاري العربي:

غير أن عناصر السيطرة الإستراتيجية الإسرائيلية على الشرق الأوسط، لا تكتمل بالنسبة لهم، إلا بالسيطرة التعليمية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية كذلك، لذلك اعتبر قادة الصهيونية و«إسرائيل»، أن التعليم والعلم والتكنولوجيا والاقتصاد، من أهم عناصر القوة للدولة الصهيونية، فحرصوا من جهة أولى على تطوير قدراتهم في هذه الحقول، في الوقت الذي عملوا فيه على تعطيل تطور العرب العلمي، ما أشار له الكاتب اليساري توم سيغف في كتابه (الإسرائيليون الأوائل) مؤكدًا الأهمية الإستراتيجية للتعليم في بداية «تأسيس إسرائيل»، بالقول: «التعليم مصنعٌ لإنتاج روح الأمة وهو السلاح السري لليهود»، وإذا كان «التعليم هو السلاح السري لليهود» لدى سيغف، فإنه قضية وجودية بالنسبة لرئيس معهد التخنيون- معهد الهندسة والعلوم التطبيقية الإسرائيلي بمدينة حيفا سابقًا- البروفيسور بيرتس لافي الذي قال: «إن تدريس العلوم قضية وجودية لإسرائيل».

ونستحضر هنا، أنه منذ البدايات لكيانهم، طلب بن غوريون من وزيري التعليم والعلوم الإسرائيليين «إعداد خطة إستراتيجية تضمن تطور وتفوق إسرائيل في العلم والتعليم والتكنولوجيا على العرب»، وربما كان الجنرال باراك وزير الحرب ورئيس الوزراء سابقًا، خير وأفضل من صاغ الرؤية الإستراتيجية الإسرائيلية في هذه الأبعاد، حينما أعلن أكثر من مرة: «إن إسرائيل أقوى دولة في محيط 1500 كيلومتر.. وهي دولة قوية جدًا.. وعندما أتحدث عن القوة لا أقصد فقط الجيش الإسرائيلي، وإنما القوة الشاملة، بدءًا من معهد وايزمن وفرقة بات شيبع، والفرقة الفرهمونية، وصولًا إلى المفاعل النووي في ديمونة».

فلا شك أن أدق وأصوب مقاييس التقدم في عالمنا الراهن، هي مقاييس العلم بكل حقوله وأشكاله، ولا شك أن السبيل الأول للنهضة والتنمية البشرية لدى أي مجتمع هو العلم، ولا شك أيضًا أن التربية والتعليم، هي قاعدة الانطلاق نحو النهضة العلمية، فمن دون علم وتربية وتعليم، لن تكون هناك نهضة أو تنمية لأي أمة، فمثل هذه المقاييس العلمية هي التي تميز عمليًا بين أمة وأخرى، وبين شعب وآخر، وبين دولة وأخرى، ونحن كأمة عربية على امتداد المساحة العربية، نفتقر وفق الدراسات والتحقيقات الاستقصائية، إلى قدر كبير مفجع من المقاييس العلمية، مقارنة بالدول والمجتمعات الأخرى، وربما نقول مقارنة على نحو خاص ب «إسرائيل» التي تعتبر صراعها مع العرب صراع وجود وتفوق وسيطرة إستراتيجية، تستند بالأساس إلى التفوق العلمي والتكنولوجي والاقتصادي، وبالتالي العسكري، بل وأكثر من ذلك، فهي تحرص على شن حروب علنية وخفية كي تبقى أمة العرب، بلا علم وبلا تربية وتعليم، وبلا تكنولوجيا ترفع من شأنها إلى مصاف الدول المتطورة.

يقظة الامة العربية...!

نعتقد أن المؤسسة الصهيونية بكافة عناوينها الأمنية العسكرية والسياسية، وبكافة امتداداتها الداخلية والخارجية، وصولًا إلى لوبياتها المتنفذة في الولايات المتحدة وأوروبا، لن تتوقف في يوم من الأيام أبدًا، عن مهماتها الإستراتيجية الرامية إلى تنظيف المنطقة العربية من عناصر القوة العربية المتنوعة المشار إليها، مضافًا إليها عشرات العناصر الأخرى المتفرعة عنها، في كافة الحقول التعليمية-العلمية-التكنولوجية-الاقتصادية، وذلك في إطار صراع يعتبرونه وجوديًا وجذريًا- إما نحن وإما هم - وحتى لو تم التوصل إلى تسوية سياسية شاملة من المعتقد أنها لن تكون متنادة، فالأوضاع والأحوال العربية الراهنة لا تعطي العرب موقفًا نديًا مع ذلك الكيان، يتيح لهم بناء عناصر القوة المتكاملة، في العلم والتعليم والتكنولوجيا والاقتصاد، وبالتالي على المستوى العسكري الإستراتيجي، وهذا ما يعيدنا ربما على نحو عاجل، إلى المربع الأول للصراع مع المشروع الصهيوني، بوصفه صراع وجود وبقاء، ما يستدعي أن تستيقظ الأمة على نحو متجدد وحقيقي، للخروج من أحوالها وحروبها- داحس والغبراء- الراهنة، نحو آفاق جديدة، وأن تعمل على إعادة ترتيب أوراقها وقدراتها وأجنداتها السياسية والإستراتيجية، تعيد إلى قمتها فلسطين البوصلة، والصراع مع المشروع الصهيوني كأولوية عاجلة عاجلة.

فهل يا ترى تستجيب الأمة وتنتفض في المستقبل المنظور قبل فوات الأوان....؟!

أم ستذهب الأمة بسبب حكامها وأنظمتها إلى سبات طويل قد يمتد إلى عقود أو ربما قرون على طريقة العهد العثماني....؟!

وهل يا ترى تستيقظ الدول والأنظمة والأمة من سباتها العميق في ضوء كل ذلك....؟

ومتى نرى فجرًا عربيًا آخر مختلفًا عن الراهن العربي القطري الطائفي الإثني المفكك والمهزوم...؟!

!.... إنه الحلم العربي الممتد على نحو أكثر من قرن من الزمن

من دير شبيغل إلى تل أبيب: من جدار السرد إلى هاوية الفضيحة

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

لطالما تباهت إسرائيل بقدرتها على التحكم في صورتها أمام العالم الغربي عبر شبكات الضغط السياسي والإعلامي والدبلوماسي، تمكنت لسنوات من دفن قضايا محرجة أو على الأقل إعادة صياغتها لتظهر بشكل أقل حدة أمام الرأي العام.

لكن هذه القدرة لم تعد كما كانت مع تزايد الأزمات الداخلية وتراجع نفوذها الخارجي، باتت إسرائيل عاجزة عن منع تسرب تحقيقات وفضائح تمس صورتها بشكل مباشر، آخر الأمثلة وأكثرها إحراجًا جاء من كينيا، حين فجرت الصحافة الألمانية واحدة من أخطر القضايا: تورط إسرائيلي في شبكة دولية للاتجار بالأعضاء.

في ربيع عام ٢٠٢٥، كشفت مجلة دير شيغل بالتنسيق مع DW و ZDF عن تحقيق استقصائي امتد لأسابيع، تناول شبكة تعمل من داخل مستشفى خاص في مدينة إلدوريت الكينية.

التحقيق أظهر أن عشرات الفقراء الكينيين جرى استغلالهم لبيع كلى تحت ظروف غامضة، مقابل مبالغ زهيدة، فيما حصل المستفيدون الأجانب على أعضاء منزوعة بأثمان خيالية، لم يقتصر الأمر على وجود مرضى من أوروبا وآسيا، بل ظهر اسم إسرائيل بوضوح، ليس فقط كوجهة لمرضى يبحثون عن زرع كلى، بل أيضًا كمصدر للوسيط الأساسي الذي نسق عمليات الزرع تلك.

بالنسبة للإعلام الألماني، كانت الأدلة دامغة: وثائق طبية، شهادات مانحين، تسجيلات لوسطاء، وصور من داخل المستشفى.

أحد هؤلاء الوسطاء وُصف بأنه إسرائيلي لعب دورًا مركزيًا في الربط بين المستشفى الكيني والمرضى من الخارج، وخصوصًا من إسرائيل نفسها.

فجأة، ودون مقدمات، وُضعت إسرائيل في قلب فضيحة دولية تُصنف ضمن أبشع صور الاتجار بالبشر: استغلال الفقر المدقع لانتزاع أعضاء مقابل المال.

المثير هنا أن إسرائيل لم تستطع، كما كانت تفعل سابقًا، منع وصول القصة إلى الصحف الكبرى، لم يكن بالإمكان إخفاء التحقيق أو الضغط على جهة واحدة لوقف النشر، لأن التقارير خرجت من عدة مؤسسات إعلامية في وقت واحد، ما جعل احتواءها أمرًا مستحيلاً.

ولعل هذا بحد ذاته يعكس تحوّلًا إستراتيجيًا في مكانة إسرائيل: من دولة قادرة على التحكم في السرد الإعلامي إلى كيان مكشوف أمام العالم.

يطرح هذا التساؤل: لماذا فشلت إسرائيل هذه المرة في دفن القضية؟ أول الأسباب هو تراجع ثقة الإعلام الغربي بها، الصحف التي كانت تتجنب نشر ما يحرج إسرائيل، صارت الآن ترى أن دورها هو كشف ما تحاول تل أبيب إخفاءه.

ثانيًا، قوة الأدلة في هذا التحقيق جعلت أي محاولة للتشكيك في مصداقيته غير مجدية.

ثالثًا، لأن إسرائيل نفسها تعيش أزمة داخلية خانقة تُضعف قدرتها على إدارة أزماتها الخارجية.

ففي الداخل، تواجه إسرائيل انقسامًا سياسيًا غير مسبوق حيث الصراع حول استقلال القضاء فجّر مظاهرات واسعة، وحكومة يمينية متطرفة زادت من تعميق الشرخ الداخلي، إلى جانب ذلك، يعيش المجتمع الإسرائيلي أزمة اقتصادية خانقة: ارتفاع تكاليف المعيشة، أزمة السكن، وتراجع الخدمات الأساسية. أما المؤسسة الأمنية التي طالما تباهت بها إسرائيل، فهي الأخرى باتت موضع شك، خصوصًا بعد حرب غزة التي كشفت هشاشة منظومة الردع ودفعت قادة سابقين إلى اتهام القيادة الحالية بالفشل.

تتزامن هذه الأزمات مع ملفات فساد تطارد رأس الحكومة بنيامين نتنياهو، الذي ما زال يواجه محاكمات في قضايا رشوة واحتيال وخيانة أمانة.

هذه الملفات لا تستنزف فقط صورة القيادة السياسية، بل تعكس دولة غارقة في الفساد، عاجزة عن تقديم نموذج الدولة القوية التي تستطيع فرض صورتها على الآخرين.

حين نقارن هذا الوضع بما كان عليه الحال قبل عقود، يتضح حجم التحول.

إسرائيل في الماضي كانت تنجح في تحويل كل فضيحة إلى قصة مختلفة، حتى حين كُشف أمر شبكة تجسسها في مصر في خمسينيات القرن الماضي، أو فضائح الموساد في أوروبا، كانت قادرة على طمس الكثير من التفاصيل وتخفيف وقعها في الإعلام الغربي.

أما اليوم فإن أي فضيحة تجد طريقها سريعًا إلى الصفحات الأولى.

من صور دمار غزة وضحاياها، إلى شهادات الأسرى الذين تعرضوا للتعذيب، وصولاً إلى تقارير الاتجار بالأعضاء في كينيا، كلها تُنشر بلا قيود.

على الصعيد الدولي، انعكست هذه الفضيحة على مكانة إسرائيل في أوروبا، حيث لم يعد السياسيون قادرين على تجاهل ما تكشفه الصحافة.

الردود حتى الآن رمزية، لكنها تحمل دلالة: إسرائيل لم تعد فوق النقد، أما على المستوى الإقليمي، فإن صورة إسرائيل كقوة منيعة تتصدع.

الأزمات الداخلية، إلى جانب الفضائح الخارجية، تجعل منها دولة مكشوفة أمام أعدائها وخصومها على حد سواء.

في المحصلة، إسرائيل اليوم عاجزة عن إدارة الداخل وعن التحكم في الخارج.

لم تعد تستطيع مواجهة الاحتجاجات التي تهز مدنها، ولا احتواء تحقيقات تكشف استغلالًا بشعًا للفقراء في إفريقيا.

هذه الدولة التي لطالما بنت جدرانًا عالية لحماية صورتها، تجد نفسها الآن مكشوفة، عاجزة عن منع تسرب الفضائح ولا عن إدارة أزماتها الداخلية.

إنها لحظة فارقة تُظهر أن إسرائيل لم تعد قادرة على لعب دور الدولة التي تفرض السرد، بل صارت هي نفسها مادة مكشوفة للسرديات الإعلامية والسياسية.

وهكذا، من تحقيق ألماني عن شبكة اتجار بالأعضاء في كينيا، وصولاً إلى صور الانقسام الداخلي والفساد والاحتجاجات، يتضح أن إسرائيل تعيش مرحلة سقوط هيمنتها الإعلامية والسياسية.

مرحلة لم تعد فيها قادرة على مواجهة الداخل أو الخارج، وصارت فيها جدرانها العالية مجرد أسوار متصدعة أمام عيون العالم.

دراسة نفسية سياسية في الذات الصهيونية

نتنياهو نموذج الشخصية الدموية

د. محمد عبد القادر ـ كاتب وناقد فلسطيني ـ الأردن

الجرائم التي أمر بها نتنياهو- سنشير إليه لاحقاً بـ «النتن»- في كل من غزة والضفة الفلسطينية، وبعد ذلك في لبنان- في جنوب الضاحية وجنوب الوطن والبقاع والشمال ثم اليمن وإيران بدعم من إدارة ترامب ومن سبقه، دفعتني لإجراء شيء من البحث في طبيعة هذا المجرم، وهل تدخل في بنيته الشخصية والفكرية والنفسية أية منظومات قيمية أو إنسانية أو أخلاقية أو سلوكية سوية، أم أنه كتلة منسجمة من الإجرام والتوحش والنازية والفاشية والسايكولوجيا المرضية المتجذرة في أعماق الذات الصهيونية كما يمثلها النتن. وتتناول هذه الدراسة أربعة محاور رئيسية على النحو الآتي:

-1 النتن وتقمص الشخصية العدوانية.

-2 النتن في مختبر التحليل النفسي.

-3 مصادر التكوين الإجرامي.

-4 الخلاصة.

1. النتن و تقمص الشخصية العدوانية

هل يمكن لمن يتبنى دور الضحية أن « يذوت» أفكار عدوه؟ أو أن يتقمص ملامح شخصية بارزة من أعدائه؟ أو أن يقلدها؟ وهل يمكن أن يتم ذلك في الوعي أو في اللاوعي؟ الأطروحة المباشرة هنا تتمثل في توافر ملامح للشخصية وللسلوك بين الزعيم الصهيوني (النتن) وبين الزعيم النازي (هتلر). لقد كان من الضروري متابعة هذه الأطروحة عن طريق البحث عن مصدر دَرَسَ الشخصية النازية (الفوهرر) دراسة نفسية علمية تحليلية تركز بالتحديد على تلك الشخصية. وقد عثرنا على دراسة منشورة على الشبكة العنكبوتية أُجريت في عام 1999 وأشرف «عليها» مكتب الخدمات الإستراتيجية الأمريكي»[1] وكانت حصيلة إجمالية للقاءات أجرتها المؤسسة مع عدد من المتخصصين النفسانيين وخبراء في ميادين السياسة والتاريخ.

وإذ يتعذر استعراض هذه الدراسة بكامل محتواها وتفاصيلها، فقد آثرنا التركيز على أبرز نتائج التحليل النفسي للفوهرر الألماني. ويمكن أن نوجز الملامح النفسية الشخصية للزعيم النازي بما يأتي:

- هو يعتقد بأنه كلي القوة، وهو قادر على أداء كل شيء.
- هو يظن أنه عبقري بالفطرة، ولا فضل لأحد عليه.
- إنه نجم بلا حدود، ولا ينافسه في الشهرة أحد.
- هو شخص لا يخطئ.
- كما أنه زعيم لا يقهر.
- يؤكد عارفوه أنه لا يتحمل النقد.
- ينظر إلى من يعارضه على أنه مجرم، جريمته بحجم السماء.
- أكد الدارسون النفسانيون أنه يعاني من جنون العظمة.
- يُعد التفكير العقلاني مرضاً من أمراض الحياة.
- يرى نفسه رسول العناية الإلهية.
- يعتقد أنه المسيح الذي يقود بلاده إلى المجد.
- يتمتع بالقدرة على التلاعب بعواطف الجماهير.
- لا يثق بأحد، وليس لديه صديق موثوق.

وبعقد مقارنة متأملة بين شخصية النتن والزعيم النازي نكتشف تطابقاً شديداً بين الشخصيتين، بل إنهما تنطبقان انطباق مثلثين أضلاعهما متساوية. أما وأن النتن قد جاء متأخراً زمنياً عن عدوه ومثاله في الوقت ذاته، فإن منطق الأمور يشير إلى أن النتن استلهم شخصية الزعيم النازي، إما عن طريق العملية النفسية المعروفة «بالتذويت»- كأفكار عبّر عنها زعيم معروف، أو عن طريق التقمص أو التقليد، أو كلاهما معاً.

ولا شك في أن حرب الإبادة الصهيونية على غزة ضد الشعب الفلسطيني توحّد تماماً بين الزعيمين الدمويين القاتلين إلى التماهي.

2. النتن في مختبر التحليل النفسي

من يقرأ شخصية النتن يخلص إلى نتيجة واضحة مباشرة وهي أنه صاحب بنية شخصية مركبة مريضة، والذين عرفوه عن قرب وقدموا شهادات في وصف شخصيته وصفوه بأنه سيئ الطبع والمزاج، وأنه يسيء معاملة العاملين معه. وأجمعوا على أنه نموذج لشخص بلا مصداقية ولا يتردد في استغلال زملائه في العمل ومعارفه في أي مكان. وأوضح عارفوه أنه لا يحترم وعوده ولا مواعيده للاجتماعات، حتى ولو كانت اجتماعات مع رؤساء دول، والغاية إشعار الطرف الآخر بأن (النتن) يحمل له شعوراً بالإهانة والتحقير. كما أنه لا يستثني أعضاء الحزب من الاستغلال والهيمنة والحط من قيمتهم. وويل لمن ينافسه في انتخابات حزبية، إذ يتعين عليه أن يعدّ نفسه للدّوس والسحق من جانب النتن حتى ولو كان من أصدقائه المقربين والموثوقين. وهذا يقودنا إلى استخلاص مهم بارز وهو أن (النتن) لا صديق له، ولا تربطه علاقة صداقة حميمة بأي فرد في الكيان، بل إنه يستغل بعض أصدقائه أو معارفه في إثارة بعض معارضيه واستفزاز منافسيه. وهناك من يرى أن النتن قد تزوج ثلاث مرات وطلق الأولى والثانية لأن كلاً منهما كانت تتمتع بشخصية قوية تتحداه ولا تستجيب لأوامره.

ومن أبرز سمات شخصيته الفاسدة ذو شخصية متمركزة حول الذات تتسع وتتعمق حتى تبلغ مرحلة جنون العظمة.

يقول أحد الدارسين لشخصية النتن إنه «شخص لا ربّ له»، وهو رجل علماني غير متدين. وتتجسد مركزيته الذاتية في إيمانه القاطع بأنه يستحق مكانة تاريخية يستأثر بها وحده. وهو لا يقيم وزناً أو اعتباراً لأحد، كما يعتقد أن لا أحداً يحمل رأياً أو مقترحاً أو رؤيا تستحق النظر، لأنه الوحيد القادر على صوغ الأفكار والخطوات التي تلبي احتياجات الكيان.

لم يشهد أحد من معارفه أنه شخصية ديمقراطية لأن نمطه الإداري مركزي ولا يسمح لأي من العاملين أن يبرز على حسابه. ومن هنا فهو لا يعترف بإخفاق في أي عمل، أو فشل في أية خطة، بل يلقي بالفشل على العاملين معه، وتبلغ به درجة الوقاحة أن ينفي أنه هو الذي أصدر التعليمات والأوامر. الذين عرفوه من الوزراء والحزبين يقولون إنه لا يعترف بذلك، وهو مجنون في درجة طموحه ويريد دوماً أن يظل في المقدمة. هو لا يعترف بالنجاحات الجزئية، بل يضع اهدافاً عُليا لتكون الإنجازات كبيرة وملموسة ومدوية للجميع. على أن السمة الأهم، والأكثر تمثيلاً لشخصه وشخصيته وبنيته النفسية فهي عدوانيته، ذلك أنه وفق العارفين يؤمن بأن على السياسي أن ينفذ قانون الغاب، وهو مخادع ومراوغ غير موثوق، وكذاب مرضي.

فوق ذلك هو شخصية مغلقة ومنسحبة اجتماعياً، قليل التعاطف مع الآخرين، وسرعان ما ينهي أية علاقة مع الآخرين في اللحظة التي تنتهي مصلحته معهم. يعزز هذه الشخصية العدوانية خواء واضح في منظومة المبادئ والأخلاق لديه، وهو شكاك مرضي أيضاً ويعاني من الوسواس القهري. وهو مسكون بهوس شديد بأن العالم كله ضده، هذه الحالة التي تتعمق كلما أوغل في عالم الأزمات، بل قيل إنه يصاب بالمغص والغثيان حين تجتاحه أزمة من الأزمات.

3. مصادر التكوين الإجرامي للنتن

يقول النتن: إنه يقرأ كثيراً في المراجع والمصادر التاريخية ويستفيد منها في إدارته للكيان والحزب، ومن المصادر التي أسهمت بقوة في تكوينه الإجرامي سجلات المذابح والمجازر التي ارتكبتها عصابات الإيرجون وشتيرن، ناهيك عن المجازر التي شهدها بنفسه وربما أسهم في تنفيذها. ومن هنا يأتي ارتكابه للمجازر والمذابح في غزة سلوكاً عادياً، طبيعياً، مثيراً للبهجة والسعادة في النفس النتنة المريضة التي يحرص النتن على تغذيتها وتعزيزها. يجتاح النتن غزة وفي وعيه وذاكرته عشرات المجازر التي ارتكبها اليهود الصهاينة بدءاً بمجزرة اللد (1948) ثم سلسلة مجازر دير ياسين وكفر قاسم وقبية والطنطورة والدوايمة، ولاحقاً ارتكبت مجازر الأقصى (90) والحرم الإبراهيمي (94) وجنين 2002 وعربياً: صبرا وشاتيلا (82) وقانا (96)، أما في مصر فقد ارتكب اليهود الصهاينة مجزرة مدرسة بحر البقر (70) ومصنع أبو زعبل (70)، ليغدو تاريخ الكيان قبل تأسيسه وفي أثناء تأسيسه وبعد تأسيسه تاريخ مجازر ومذابح ضد الشعب الفلسطيني وضد الشعوب العربية.

إذاً، فقد اجتاح النتن غزة (2023) مدججاً بذاكرة دموية تجاه الشعب الفلسطيني وبحقد أسود قل نظيره، بل لعل صهيونيته الدموية تفوقت على النازية وتجاوزت الفاشية.

ابتدأ النتن وجيشه – وحلفاؤهم من الأمريكيين والأوروبيين وبعض أطراف النظام العربي – بسلسلة من المجازر استهلت بالمستشفيات والمدارس والجامعات والمساجد والكنائس والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والروحية والاقتصادية، وكان أبرزها على سبيل المثال لا الحصر مجازر: المعمداني، جباليا، الفاخورة، تل الزعتر، كمال عدوان، المغازي، داوود النابلسي (الطحين)، الشفاء، النصيرات، المواصي، التابعين، أما مجازر حصار الشمال الغزي فالموت والمجاعات والمعاناة تستعصي على الرصد.

نحن لا نتحدث عن شخصية عادية طبيعية، فقد بنى النتن ومن سبقوه جيشاً من العصابات الدموية هو الأكثر لا أخلاقية في العالم، ولم تكن شخصية النتن إلاّ إفرازاً عدوانياً لمجموعة من المصادر الفكرية والدينية التي قدمت للعالم أحد أقبح المجرمين والفاشيين، ألا وهو (النتن) بحد ذاته

ومن أهم تلك المصادر:

أ- جابوتنسكي

يؤمن الصهاينة أن جابوتنسكي – المولود في روسيا القيصرية (1885) هو أبرز المؤثرين في أفكارهم واتجاهاتهم الصهيونية، فيما يعتبره (النتن) ملهمه ومرشده الروحي ومصدره الفكري، خاصة وأن والد النتن كان ذات يوم أحد مساعدي جابوتنسكي. استلهم النتن من (جابو) إيمانه الكامل بالضغط العسكري إلى درجة الإجرام، وبالسحق والتدمير كوسائل لتحقيق أمن الكيان. من مدرسة جابو تخرج بن غوريون وبيغن وشارون والنتن وغيرهم كثيرون، ولم يكن غريباً أن يلحظ عالم مثل آينشتاين سلوكاً فاشياً لدى بن غوريون وبيغن وحكام «إسرائيل» قاطبة عند التأسيس، وأن أولئك القادة – كما ذكر الصحفي اليوناني يورغوس ميترااليوس «هم نسل حقيقي للرحم الفاشي الذي أنجب بيغن وشامير» ولاحقاً شارون والنتن.

كان جابونسكي في طليعة من حرض على إنشاء منظمة الهاجاناه، والتي تأسست فعلاً واهتمت بتوفير السلاح لليهود المهاجرين إلى فلسطين، وارتكب أعضاؤها جريمة دير ياسين، واغتيال الكونت برنادوت وتفجير فندق الملك داوود. هذا الصهيوني المشبع بغريزة الإجرام كان يحث أعوانه على الإرهاب لأن العالم لن يحترم اليهود إلاّ إذا أثبتوا أنهم يدافعون عن أنفسهم حتى ولو بالإرهاب وسفك الدماء، كما كان يعتقد. ويقول جابوتنسكي في كتاباته:

«لن تقوم دولة إسرائيل إلاّ بهجرة جماعية من كل يهود العالم إلى فلسطين، وبالعمل المسلح كنواة للجيش الصهيوني».

كان فاشياً كارهاً للعرب، وكان مؤمناً أن فلسطين لليهود ولا مكان فيها للعرب، وعليهم أن يغادروا، ولا بد من مغادرة البريطانيين أيضاً (بصفتهم مستعمرين؟؟) وهم فعلاً مستعمرون لكنه الاستعمار الذي أنشأ الكيان بدعم وتواطؤ عربي.

ومن المنطقي أن يتتلمذ الابن على يد أبيه والابن على يد معلمه، فيصبح جابوتنسكي ليس المرجع الصهيوني بل بن غوريون وبيغن وشارون وغيرهم بل يمثل مرجعاً لوالد (النتن) ولابنه الذي استلهم فكر وسلوك الصهاينة المؤسسين للكيان، بل إنه بات يطمع في أن يبزهم بالإنجازات الاستعمارية والاحتلالية إلى أن يعترف به اليهود في أرجاء الأرض قاطبةً أنه بالفعل «ملك إسرائيل».

ب-الفاشية:

تعد الفاشية تياراً سياسياً فكرياً عسكرياً تأسس في عشرينيات القرن العشرين على يد موسوليني الذي أنشأ أول حزب فاشي في عام (1922)، وتضمن برنامجه الفكري السياسي مقولات مثل:

- إرادة الشعب ليست الوسيلة للحكم، بل إن وسيلة الحكم هي القوة.
- القوة هي التي تفرض القانون.
- للسلطة التنفيذية أولوية على كافة السلطات.
- حزب واحد وأعضاء فاشيون.

وكعادة الطواغيت لحظة استلامهم لسدة الحكم، يقدمون بسخاءٍ وعوداً فارغة للشعب بأنهم سينعشون الاقتصاد ويستردون كرامة البلاد، ثم لا يتحقق شيء من هذه الوعود. ويمضي موسوليني في حكمه مؤسساً لنظام حكم الزعيم الفرد المستبد، وتعزيز قوة الدولة والقوات المسلحة، لا لحفظ أمن الوطن بل لغزو بلاد أخرى واحتلالها، فالطاغية لا يؤمن بوجود سلام دائم بين الشعوب، ولا بحرية شعبه أصلاً فيعمد إلى قمع حركة الأفراد ومحاربة تشكل قوى موازية، ويقفل أبواب الصحافة ويبقي الشعب أسيراً لبياناته وخطاباته، وهو ما عبرّ عنه زعيم عربي بقوله «لا تسمعوا لأحد غيري». لقد تركت الفاشية آثاراً لها واضحة في الفكر النازي وفي ممارسات «الكتائب الإسبانية « في أواخر الثلاثينيات.

ج-النازية:

كما الفاشية، النازية أيديولوجيا سياسية شمولية يمينية متطرفة ارتبطت بالزعيم النازي هتلر وبحزبه الذي يتبنى أيديولوجيا قائمة على:

- ازدراء الديمقراطية الليبرالية والنظام البرلماني
- تأييد الأنظمة الديكتاتورية
- معاداة السامية
- معاداة الشيوعية والسلافية
- تشويه المنهجية العلمية بالعنصرية
- سيادة البيض في المجتمع
- تأييد داروينية اجتماعية (البقاء للأقوى)
- تبني العنف
- المجتمع هرم، قمّته العرق الألماني (النقاء العرقي)
- تأييد التوسع الإقليمي
- تأسيس منظمات شبه عسكرية

د-التوراة والتلمود:

بالرغم من أن (النتن) شخصية علمانية – لادينية – كما يقول عارفوه، إلا أن الدارس لهذه الشخصية لا يمكن أن يستبعد دور التوراة والتلمود (كنصوص مكتوبة أو شفوية) في تكوين الوعي الاستعماري والسياسات والممارسات العنصرية التي تنطوي عليها الكتب والتعاليم الدينية الخاصة باليهود.

إن صهيونياً حتى النخاع مثل النتن لا يستخدم هذه المصادر ليحقق جذوره الصهيونية، بل ليستغلها أيضاً في احتياجاته ومشروعاته السياسية والعسكرية، وهو الذي قال: «كما هو مكتوب في التوراة، سألاحق أعدائي وأقضي عليهم».

وهكذا تشكل تلك التعاليم سلاحاً «شرعياً»

في تبرير جرائمه وحروبه واغتيالاته. واستناداً إلى ما كتبته الدكتورة بديعة أمين في كتابها القيمّ «الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية»* يمكن تلخيص المضامين العنصرية للتوراة، كمصدر من مصادر الفكر الصهيوني، على النحو الآتي:

- الصهيونية فلسفة عرقية تستمد أصولها من العقيدة اليهودية وليس فقط من العنصريات الأوروبية.

- كتبت التوراة من قبل حاخامات وفق رغباتهم في الاستيلاء على الأرض.

- إن مضمون الصهيونية وتلك المصادر يتسم باللاأخلاقية واللاإنسانية.

- إن اليهود (حسب التوراة) جنس يختلف عن كل الأجناس البشرية.

- لا رابط مشتركاً بين اليهود وبين البشر الآخرين.

- تتضمن التوراة دعوة لإبادة الآخرين، تدمير، وحرق ممتلكاتهم ومنشآتهم ومزارعهم، وإبعاد من تبقى منهم على قيد الحياة إلى خارج الحدود لإحلال اليهود محلهم.

- تنطوي التوراة على نزعة دموية ظلامية نمت واستقرت في أعماق النفس اليهودية على مدى قرون عديدة.

- كما تمثل مصدراً للحقد على الآخرين والاستيلاء على ثرواتهم.

- والأهم أن التوراة تدعو إلى دولة يهودية نظيفة.

- أما فيما يتصل بالتلمود فيُعده اليهود تفسير الحاخامات للتوراة وله مكانة مقدسة ترقى إلى مستوى التوراة بل ربما تتقدم عليها. واستناداً إلى دراسة عودة * فإن:

- أرواح اليهود جزء من الله، أما الأرواح غير اليهودية فهي شيطانية حيوانية.

- الله يعز اليهود أكثر مما يعز الملائكة.

- لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض.

- الشعب المختار (اليهود) فقط هو من يستحق الحياة الأبدية، أما باقي الشعوب فهم كالحمير، على حد تعبير الحاخام آبارابائيل.

- الصهيونية كعقيدة ومنهج عملي لها أصول في التوراة المحرفة وخطتها المفصلة في التلمود.

4. الخلاصة

وخلاصة القول إن الكيان الصهيوني تأسس على الإجرام، وقاده عتاة المجرمين في العالم ممن رضعوا الحليب السام للفاشية والنازية والصهيونية وتعاليم جابوتنسكي والكتب المحرفة، وما هذا (النتن) إلا امتداد طبيعي وإفراز مريض للصهيونية التي أنجبت بيغن وشارون ورابين وغيرهم الكثير. وما حرب الإبادة وجرائم الحرب وعمليات التطهير العرقي في غزة والضفة الفلسطينية وسلسلة الهجمات العدوانية المتواصلة على كل من لبنان وسوريا واليمن وإيران إلاّ تجسيد للعدوانية الصهيونية المدعومة بلا تردد ولا كلل من الغرب الإمبريالي وفي مقدمته الإدارات الأمريكية المتعاقبة وشراذم «عربية» تتغذى على مساندة لفظية أجنبية لا تصمد أمام تحديات عظيمة قادمة.

هوامش

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المراجع أبرزها:

1-Office of Strategic Services ,1999.

2- بديعة أمين، الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية، وزارة الثقافة، بغداد ،(2002).

3-Shaul Kimhi ,Benjamin Netanyahu: A Psychological Profile ,) 2001).

4-عودة عبد عودة، التلمود وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، (2006).

5-ويكيبيديا، عناوين مختلفة.

6-Walid Abd al-Hay: The Psychological Studies of the Personality of B.Netanyahu .

ترجمة

عزلة إسرائيل تتعمّق في الأمم المتحدة، ونتنياهو يتوعّد بمواصلة الحرب حتى «النهاية»

وكالة أنباء (أسوشيتد برس) الأمريكية ـ بقلم: جينيفر بيلتز، آدم جيلر ـ 27 أيلول/سبتمبر 2025

ترجمة: نور نوارة

محاطًا بالمنتقدين والمتظاهرين في الأمم المتحدة، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لزعماء العالم يوم الجمعة إن بلاده «يجب أن تُنهي المهمة» ضد حركة حماس في غزة، مُلقيًا خطابًا متحديًا رغم تزايد العزلة الدولية نتيجة رفضه إنهاء الحرب المدمرة. وأضاف: «قد يكون القادة الغربيون قد خضعوا للضغط، لكن أضمن لكم أمرًا واحدًا: إسرائيل لن تفعل ذلك».

كان خطاب نتنياهو موجّهًا بالقدر نفسه إلى جمهوره الداخلي المنقسم بشكل متزايد كما إلى المجتمع الدولي، وبدأ بعد أن غادر عشرات المندوبين من دول مختلفة قاعة الجمعية العامة للأمم المتحدة بشكل جماعي صباح الجمعة عند بدئه بالكلام.

وردًا على القرارات الأخيرة لعدد من الدول بالاعتراف بدولة فلسطينية، قال نتنياهو: «إن قراركم المخزي سيشجع الإرهاب ضد اليهود وضد الأبرياء في كل مكان.»

وأثناء حديثه، ترددت هتافات غير مفهومة في أرجاء القاعة، بينما جاء التصفيق من بعض أنصاره في الشرفات. المقاعد المخصصة للولايات المتحدة – التي تدعم نتنياهو في حملته ضد حماس – وللمملكة المتحدة، شغلها دبلوماسيون من الصف الثاني بدلاً من سفراء أو مسؤولين رفيعي المستوى. كثير من المقاعد كانت فارغة؛ وإلى جانب المقاعد الشاغرة لإيران وُضعت مجموعة صور لأطفال قالت طهران إنهم قُتلوا خلال حرب إسرائيل هناك في يونيو.

قال نتنياهو: «معاداة السامية عصيّة على الزوال. في الواقع، هي لا تزول أبدًا»، مكرّرًا اتهاماته الروتينية لمعارضيه باللاسامية.

يواجه نتنياهو عزلة دولية، واتهامات بارتكاب جرائم حرب، وضغوطًا متزايدة لإنهاء صراع يواصل تصعيده. وكان خطابه يوم الجمعة فرصة له للرد من على أكبر منصة في المجتمع الدولي.

استغل نتنياهو الخطاب ليصور غزة باعتبارها الجبهة الأخيرة المتبقية في حرب أوسع، معدّدًا العمليات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة لاستهداف أعدائها واحتواء التهديدات لأمنها في إيران ولبنان وسوريا واليمن.

وقال إن تلك الجهود قد «فتحت آفاقًا للسلام»، مشيرًا إلى أن إسرائيل بدأت مفاوضات مع سوريا للتوصل إلى ترتيبات أمنية مع الحكومة الجديدة في دمشق. وأضاف أن التحدي الأخير هو استئصال ما وصفه بـ «البقايا الأخيرة من حركة حماس.»

وأشاد مرارًا بالرئيس الأميركي دونالد ترامب، حليفه الرئيسي في نهجه السياسي والعسكري في المنطقة.

وسائل إيضاح وبثّ الخطاب

كما جرت عادته في الأمم المتحدة، رفع نتنياهو وسائل إيضاح مرئية – من بينها خريطة للمنطقة بعنوان «اللعنة»، تُظهر التحديات التي تواجهها إسرائيل في جوارها. قام بتعليمها بعلامة بارزة. وكان يرتدي دبوسًا عليه رمز QR يؤدي إلى موقع إلكتروني عن هجوم حماس في 7 أكتوبر 2023، الذي أشعل الحرب وعن الرهائن الإسرائيليين الذين احتجزتهم الحركة.

وفي ما وصفه بمحاولة للوصول إلى الأسرى المحتجزين في غزة، نصبت الحكومة الإسرائيلية مكبرات صوت لبث الخطاب داخل القطاع، رغم أن الجيش دفع الفلسطينيين بعيدًا عن حدوده. كما ادعى مكتب رئيس الوزراء أن الجيش الإسرائيلي استولى على الهواتف المحمولة في غزة لبثّ رسالته، إلا أن صحفيي «أسوشيتد برس» داخل غزة لم يرصدوا أي دليل فوري على ذلك.

وفي وادي غزة – قرب مدينة غزة حيث شنّت إسرائيل عملية برية كبرى أخرى مطلع الشهر – تابع الفلسطينيون الخطاب بمزيج من الإنهاك والتشبث بأملهم القديم في إقامة دولتهم.

قال منير طالب، النازح من مدينة غزة: «سواء أعجبه ذلك أم لا، عاجلاً أم آجلاً سيحصل الشعب الفلسطيني على استقلاله.»

وعبّر أمجد عبد الدايم عن مشاعر مماثلة لكنه أضاف: «نحن منهكون نفسيًا وجسديًا وأخلاقيًا وماليًا من كل شيء... عندما يقول إنه يريد مواصلة الحرب للقضاء على أفراد حماس أو حركة حماس أو حكومة حماس، لا أرى سوى أن الحرب مستمرة ضد فقراء مثلنا.»

بدورها، اتهمت حماس نتنياهو بتلفيق ذرائع لمواصلة الحرب، وقالت في بيان على موقعها: «لو كان حقًا مهتمًا بأسراه، لكان أوقف قصفه الوحشي ومجازره الإبادية وتدميره لمدينة غزة. لكنه بدلاً من ذلك يكذب ويواصل تعريض حياتهم للخطر.»

خطاب تحت المجهر

لطالما كان خطاب نتنياهو السنوي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة محل متابعة لصيقة، واعتراضات متكررة، ونبرة حادة، وأحيانًا ساحة لاتهامات دراماتيكية. لكن هذه المرة، كانت الرهانات أعلى من أي وقت مضى بالنسبة له.

ففي الأيام الأخيرة، أعلنت أستراليا وكندا وفرنسا والمملكة المتحدة ودول أخرى اعترافها بدولة فلسطينية مستقلة. والاتحاد الأوروبي يدرس فرض رسوم جمركية وعقوبات على إسرائيل. كما صوّتت الجمعية العامة هذا الشهر على قرار غير ملزم يحث إسرائيل على الالتزام بإقامة دولة فلسطينية مستقلة، وهو ما رفضه نتنياهو تمامًا.

وأصدر المحكمة الجنائية الدولية مذكرة توقيف تتهم نتنياهو بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وهو ينفي ذلك. كما تنظر أعلى محكمة في الأمم المتحدة في اتهام جنوب أفريقيا لإسرائيل بارتكاب إبادة جماعية في غزة، وهو ما ترفضه تل أبيب بشدة.

وفي الوقت الذي كان نتنياهو يلقي كلمته يوم الجمعة، تجمع مئات المتظاهرين المؤيدين لفلسطين على بُعد بضعة شوارع من مقر الأمم المتحدة الخاضع لإجراءات أمنية مشددة.

قالت نداء لافي، إحدى منظّمات حركة الشباب الفلسطيني: «لقد اختارت إسرائيل حربًا ضد كل إنسان صاحب ضمير في هذا العالم»، ما أثار هتافات «عار» من الحشد المتزايد.

أما منظمة «UN Watch»، الداعمة لإسرائيل منذ زمن طويل، فقد رحبت بخطاب نتنياهو. وقال مديرها التنفيذي، هيليل نوير: «لقد حمل خطابه نغمتين متوازيتين: التحدي في مواجهة الإرهاب، لكن أيضًا رؤية للسلام مع الجيران العرب، وحتى مع إيران حرّة يومًا ما.»

تزايد المعارضة لنهج نتنياهو

في جلسة خاصة لمجلس الأمن هذا الأسبوع، أعربت دولة تلو الأخرى عن فزعها من هجوم حماس عام 2023 الذي أودى بحياة نحو 1,200 شخص في إسرائيل، وأسفر عن خطف 251 شخصًا، وأشعل الحرب. لكن كثيرًا من المندوبين انتقدوا لاحقًا الرد الإسرائيلي ودعوا إلى وقف فوري لإطلاق النار في غزة وإدخال المساعدات.

وقد أودى الهجوم الإسرائيلي الواسع بحياة أكثر من 65 ألف فلسطيني في غزة وشرّد 90% من سكانها، مع ازدياد عدد من يواجهون خطر المجاعة.

في الوقت نفسه، تعترف أكثر من 150 دولة الآن بدولة فلسطين، بينما لم تفعل الولايات المتحدة ذلك بعد، مقدمة دعمًا قويًا لإسرائيل. ومع ذلك، أشار ترامب يوم الخميس إلى وجود حدود لهذا الدعم، قائلًا للصحفيين في واشنطن إنه لن يسمح لإسرائيل بضم الضفة الغربية المحتلة.

ولم تعلن إسرائيل عن مثل هذه الخطوة، لكن عدة شخصيات بارزة في حكومة نتنياهو دعت إلى تنفيذها. وقد وافق المسؤولون مؤخرًا على مشروع استيطاني مثير للجدل من شأنه فعليًا تقسيم الضفة الغربية إلى نصفين، وهي خطوة يقول منتقدوها إنها قد تقضي على فرص إقامة دولة فلسطينية. وفي ختام خطابه، شدّد نتنياهو على أن إسرائيل تخوض حربًا ضد «الإسلام الراديكالي» نيابة عن جميع الأمم.

وقال: «أنتم تعلمون في قرارة أنفسكم أن إسرائيل تقاتل معركتكم.»

تحقيق الهدف

غزة تحت وطأة التشريد:

آلاف النازحين بلا مأوى وسط انهيار الخدمات وارتفاع التكاليف

أحمد زقوت - غزة

يشهد جنوب قطاع غزة، وخاصة مدينتا خان يونس ودير البلح، أوضاعًا إنسانية بالغة القسوة مع استمرار تدفق عشرات الآلاف من النازحين من شمال القطاع ومدينة غزة بحثًا عن ملاذ آمن.

وتحولت المدارس والميادين العامة إلى أماكن إيواء مكتظة، بينما اضطرت العديد من العائلات إلى نصب خيام على الشواطئ أو المبيت في العراء نتيجة عدم قدرتها على شراء الخيام أو استئجار مساكن بأسعار باهظة.

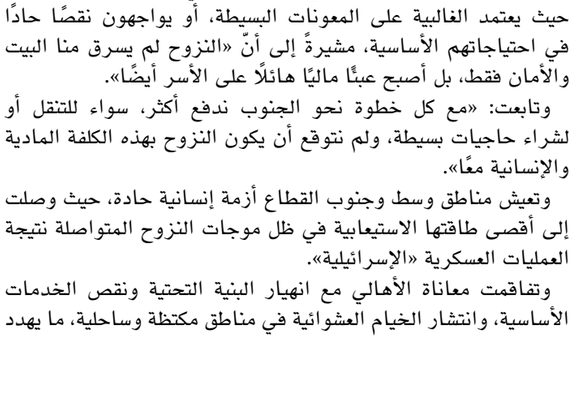

وبحسب تقارير محلية وأممية، نزح مئات الآلاف من المواطنين من مدينة غزة نحو مناطق الوسط والجنوب المكتظة بالنازحين أصلاً، ما يزيد من الضغوط الإنسانية على السكان والمجتمع المحلي، كما أن تكلفة النزوح المرتفعة تفوق قدرة العديد من المواطنين، مما يؤثر سلبًا على وصولهم إلى الخدمات الإنسانية، ويزيد من الضغط على المؤسسات الدولية والإغاثية.

وتضع هذه الأوضاع مئات الآلاف أمام مخاطر صحية وأمنية كبيرة، كما تزيد من هشاشة النساء والأطفال في مواجهة العنف والاستغلال.

المواطن خليل معروف يجلس بجوار بعض قطع أثاث منزله التي تمكن من اصطحابها معه بعد نزوحه من مدينة غزة نحو منطقة الزوايدة في وسط القطاع، وصف في حديثه مع «مجلة الهدف» الوضع القاسي الذي يعيشه، قائلاً: «وصلنا قبل يومين، ولم نجد أي مكان سوى العراء، حاولنا شراء خيمة، لكن الأسعار مرتفعة جدًا، ولا نستطيع تحمله، إذ أنني أعمل في وظائف مؤقتة، والدخل لا يكفي لتغطية احتياجاتنا الأساسية.»

وأضاف معروف وهو يعبّر عن قلقه الكبير على مستقبله ومستقبل عائلته: «أشعر باليأس من هذا الوضع، ولا أعرف كيف سنستمر، فكل شيء أصبح صعبًا، من تأمين الطعام والماء إلى الحصول على مأوى آمن، والوضع يزداد سوءًا مع كل يوم يمر»، مشيراً إلى أنّ النزوح لم يقتصر على فقدان المنزل فقط، بل أثر أيضًا على الاستقرار النفسي لأطفاله الذين يواجهون صعوبة في التأقلم مع الظروف القاسية».

وبيّن معروف أنّ مخيمات الإيواء تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة، لافتًا إلى أنّ الخيام متهالكة وغير صالحة للاستخدام، خصوصًا مع اقتراب فصل الشتاء، ما يزيد من معاناة النازحين.

في الأزقة الضيقة والساحات الفارغة التي تحولت إلى مخيمات، تنتصب خيام مهترئة بالكاد تحمي ساكنيها من حرارة الشمس الحارقة، بينما يتنقل الأطفال حفاة بين الخيام، فيما تكافح الأمهات لتأمين جرعات قليلة من الماء أو وجبات بسيطة تكفي لسد رمق أسرهن.

النازحة من حي تل الهوى أم محمد غبن إلى دير البلح، قالت لـ «الهدف: «أعيش في خيمة لا تقي من الحر، والنهار طويل وشاق، ولا ماء، ولا كهرباء، ولا أي خدمات، بالكاد نحصل على ما يسد الرمق، ولا أحد ينظر لمعاناتنا.»

وأضافت غبن بمرارة: «كنا نمتلك بيتًا وعملاً وحياة مستقرة، لكن اليوم فقدنا كل شيء، نعيش كارثة بكل ما تحمل الكلمة من معنى».

من جهتها، أكدت الفلسطينية هناء الزعانين لـ«الهدف» أن تكلفة النزوح نحو الجنوب كانت باهظة، قائلة: «حتى تأمين الخيمة التي نقيم فيها الآن كلفنا ما يزيد عن نصف مدخراتنا، كل شيء غالٍ؛ من الطعام إلى الماء، والأسعار ترتفع أكثر بسبب الازدحام.»

وأضافت الزعانين أنّ الأوضاع الاقتصادية في المخيمات سيئة للغاية، حيث يعتمد الغالبية على المعونات البسيطة، أو يواجهون نقصًا حادًا في احتياجاتهم الأساسية، مشيرةً إلى أنّ «النزوح لم يسرق منا البيت والأمان فقط، بل أصبح عبئًا ماليًا هائلًا على الأسر أيضًا».

وتابعت: «مع كل خطوة نحو الجنوب ندفع أكثر، سواء للتنقل أو لشراء حاجيات بسيطة، ولم نتوقع أن يكون النزوح بهذه الكلفة المادية والإنسانية معًا».

وتعيش مناطق وسط وجنوب القطاع أزمة إنسانية حادة، حيث وصلت إلى أقصى طاقتها الاستيعابية في ظل موجات النزوح المتواصلة نتيجة العمليات العسكرية «الإسرائيلية».

وتفاقمت معاناة الأهالي مع انهيار البنية التحتية ونقص الخدمات الأساسية، وانتشار الخيام العشوائية في مناطق مكتظة وساحلية، ما يهدد

بحدوث كارثة إنسانية وشيكة.»

وتتزامن هذه الأوضاع مع تحذيرات رسمية من البلديات والمكاتب الحكومية ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) حول تدهور الوضع الإنساني، واستمرار نزوح عشرات العائلات دون مأوى، في وقت يشهد فيه القطاع صعوبة كبيرة في وصول المساعدات الإنسانية.

وفي الإطار، حذّر رئيس بلدية دير البلح، نزار عياش، من أن المدينة وصلت إلى أقصى طاقتها الاستيعابية في ظل موجات النزوح المتواصلة، مشيرًا إلى أنه «لا توجد مساحة واحدة قادرة على استيعاب أي خيمة نزوح جديدة».

وأوضح عياش لـ «الهدف» أنّ الساحل مكتظ بالكامل بالنازحين، بينما تشكل شرق المدينة منطقة خطرة تحت القصف المباشر، في وقت تعاني فيه البنية التحتية من انهيار واسع، وتكاد محطة التحلية توفر الحد الأدنى من احتياجات السكان.

وبين رئيس البلدية أنّ ما تعيشه دير البلح ينسحب على عموم مناطق المحافظة الوسطى، حيث تتفاقم معاناة الأهالي مع تزايد الضغط السكاني، محذرًا من أن استمرار الوضع على هذا النحو قد يقود إلى كارثة إنسانية وشيكة.

بدوره، أعرب المكتب الإعلامي الحكومي عن قلقه الشديد إزاء تفاقم معاناة مئات آلاف النازحين في غزة نتيجة التهجير القسري، حيث امتلأت محافظات الوسطى والجنوب بالكامل، وانتشرت الخيام العشوائية بين المكاره الصحية وعلى الطرقات، في ظروف تفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات الحياة.

وحذر البيان من تدهور الوضع الأمني واستهداف النازحين أثناء نزوحهم نحو الجنوب، مؤكداً أن 125 ألف خيمة من أصل 135 ألف خيمة نزوح لم تعد صالحة للإقامة بعد عامين من الإبادة «الإسرائيلية»، داعياً المجتمع الدولي للتدخل عاجلاً لتوفير الحماية للسكان المدنيين.

من جهتها، أكدت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، أنّ الهجمات «الإسرائيلية» المستمرة على الأبراج السكنية في غزة تسببت في نزوح عشرات العائلات، تاركة العديد منها في الشوارع دون مأوى أو مأمن.

وشددت الوكالة في تصريحها على أنّ الأوضاع الإنسانية للنازحين تتفاقم بشكل خطير، خاصة في ظل القيود المشددة على دخول المساعدات الإنسانية إلى القطاع.

وفصّلت وكالة الأونروا تكلفة النزوح من مدينة غزة في ظل العمليات العسكرية «الإسرائيلية» المكثفة، مشيرة إلى أنّ أجرة النقل تبلغ ألف دولار، والخيمة العائلية ألفَي دولار، وتأجير قطعة أرض لنصب الخيمة يكلف 180 دولارًا.

وجددت الأونروا مطالبتها بـ وقف فوري لإطلاق النار، محذّرة من أن استمرار العدوان سيؤدي إلى تفاقم الكارثة الإنسانية التي يعيشها سكان غزة منذ نحو عامين.

ترند العدد

أوروبيون ينتصرون للعلم الفلسطيني

ديمة داوودي ـ كاتبة وصحفية سورية

تناول رواد السوشال ميديا خلال شهر أيلول/سبتمبر مقاطع فيديو انتشرت كالنار في الهشيم تؤكد أن سيادة فلسطين وحريتها يجب أن تكون أولاً، إذ ظهرت مؤخراً النائب الهولندي «استر أويهاند» مرتدية لدى إلقائها كلمتها الخاصة على المنبر قميصاً بألوان العلم الفلسطيني في قاعة البرلمان مؤكدة تضامنها مع أهلنا في فلسطين والقضية الفلسطينية بكل أبعادها الأمر الذي رفضه رئيس البرلمان معللاً رفضه بأن على أعضاء البرلمان أن يلتزموا الحياد حتى في ملابسهم!! لتؤكد أويهاند أن من المهم أن نقف هنا تضامناً مع الفلسطينيين لكن الأهم كون كل ما له قيمة عرضة للانتهاك وأننا لن نتقدم إلا عندما نجرؤ على وضع الفئات الأكثر ضعفاً في صلب اهتمامنا عندما نجرؤ على التفكير انطلاقا من مصالح من لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

وفيما اضطرت النائب أويهاند لتغيير ملابسها إلا أنها أكدت أنها بالرغم من ذلك ستظل متضامنة كل التضامن مع فلسطين، الأمر الذي يعيد إلى ذاكرتنا أن 150 دولة من أصل 193دولة عضواً في الأمم المتحدة اعترفت بدولة فلسطين وأكدت وجودها وأحقيتها إلا أن المجازر الإسرائيلية مستمرة في محاولة تدمير وطمس الخارطة والهوية الفلسطينيتين.

ومن الجدير بالذكر أن أستر تحتفظ بمقعدها في البرلمان منذ عام 2006 وتشتهر ببياناتها المدعومة علمياً والموثقة ما أكسبها ثقة كبيرة ودوراً هاما في الشأن السياسي ومن أبرز الجمل التي تقدم نفسها بها: «أنقذوا كوكبنا وأنهوا الإبادة الجماعية».

بالتأكيد لم تكن أويهاند هذا الشهر «الترند» الوحيد على السوشال ميديا بل ظهرت سيدة سياسية إسبانية من الحزب الاشتراكي العمالي في البرلمان موبخة رئيسة حكومة مدريد التي تمنع وجود العلم الفلسطيني وتنادي بمطاردة داعميه، حيث حملت السياسية العلم الفلسطيني وصرخت برئيسة الحكومة:» أنت لا تعرفين شيئاً عن قصة هذا العلم أنت خارج الأمر، لتشرح للجميع قصة ألوانه التي تحكي حكاية الحق والحرية، فاللون الأسود هو لون المنفى، و الأبيض هو السلام، والأخضر يمثل الأمل بالعيش في أرض سعيدة، فيما يمثل الأحمر الدماء التي أريقت وتراق من مئات الآلاف من الفلسطينيين، إنه علم السلام وكرامة الشعب المضطهد الذي يطارده داعمو الاحتلال».

وبالطبع ليس الوقوف بجانب القضية الفلسطينية جديداً على إسبانيا التي أكد رئيس وزرائها بيدرو سانشير غير مرة أن إسرائيل هي دولة إبادة جماعية فهي منذ تشرين الأول 1993 منعت الولايات المتحدة من استخدام قواعدها العسكرية في إسبانيا لإرسال الأسلحة إلى إسرائيل وقد صرح وزراؤها وخاصة وزيرة العمل يولاندا دياز أن فلسطين ستكون حرة من النهر إلى البحر.

أوروبيون انتصروا لفلسطيننا فيما يكمم الصمت أفواه إخوة في العروبة والدم!.

حوار الهدف الثقافي

مع المخرج السينمائي والكاتب

قاسم حول

حوار:
محمد المواسي - سينمائي فلسطيني ـ ألمانيا
موسى مراغة - سينمائي فلسطيني ـ سورية

كاتب ومخرج سينمائي ومسرحي من مواليد البصرة 1940، هو خريج معهد الفنون الجميلة في بغداد قسم التمثيل والإخراج، يسجل في أرشيفه أكثر من 20 عملاً سينمائياً. كتب كثيراً من المسرحيات، وله كثير من الدراسات النقدية والنظرية في السينما والمسرح.

صعد المسرح في صباه واكتسب خبرة وشهرة كبيرتين، وأنشأ بعد إنهاء دراسته الأكاديمية فرقة (مسرح اليوم)، وأصدر مجلة (السينما اليوم).

أنتج أول وأهم فيلم عراقي في تاريخ السينما العراقية وهو فيلم الحارس وأخرج فيلماً عن الأهوار.

من أشهر أفلامه الروائية: بيوت في ذلك الزقاق – المغني – بغداد خارج بغداد – البحث عن ليلى العامرية – عائد إلى حيفا.

غادر العراق في بداية السبعينات واستقر في العاصمة اللبنانية، وأسس قسماً للسينما في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأخرج عدة أفلام من أولها (نهر البارد) ...واتبعها بالأفلام (لماذا نزرع الورد. لماذا نحمل السلاح) – (غسان كنفاني.. الكلمة والبندقية) – (بيوتنا الصغيرة) – (لن تسكت البنادق) – (لبنان تل الزعتر) - (الهوية الثقافية).

بعد عام 1982 غادر بيروت وجال في عدد من الدول الأوروبية، ويستقر الآن في هولندا حيث يعكف على تسجيل تجربته الفنية في مجال السينما والمسرح، إضافة لانشغاله بالتأليف النظري والدراسات والنقد في مجالات الفنون بشكل عام.

وللمخرج والكاتب قاسم حول عدة إصدارات منها (عودة السنونو، الكراج الخامس). مسرحيتان (زائرو الليلة الأخيرة). قصص، (3 أفلام عن القضية الفلسطينية) و (السينما الفلسطينية) دراسات وبحوث نظرية.

يكتب للعديد من المواقع والمراكز الإعلامية، ويشرف على الكثير من المواقع الإلكترونية المهتمة بأمور المسرح والسينما.

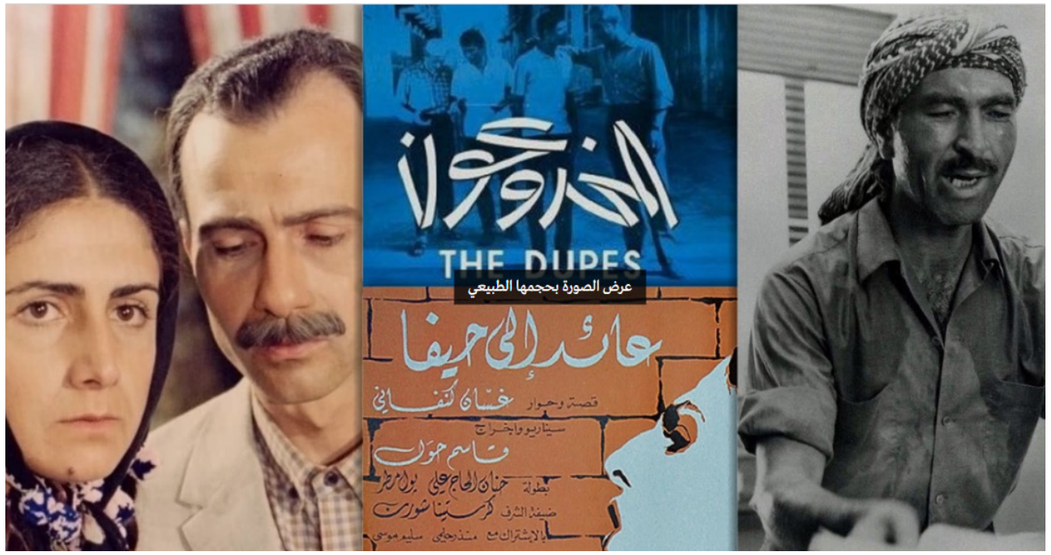

■ قبل دراستك الأكاديمية كانت لك تجارب فنية مختلفة.. حدثنا عن بداياتك الفنية بالعراق؟

صعدت المسرح في صباي وكسبت خبرة وشهرة كبيرتين قبل الدراسة الأكاديمية في معهد الفنون الجميلة وحين تخرجت من المعهد بعد خمس سنوات من الدراسة الأكاديمية أنشأت فرقة مسرح اليوم وأصدرت مجلة السينما اليوم وأنشأت مؤسسة سينمائية هي مؤسسة السينما اليوم. أنتجت أول وأهم فيلم عراقي في تاريخ السينما العراقية هو فيلم «الحارس» وحاز على الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج عام 1968.. كتبت قصة الفيلم وساهمت في إنتاجه ومثلت أحد أدواره الرئيسية. كما أخرجت فيلم «الأهوار» الذي أحرقته السلطة الدكتاتورية في العراق ولكني حصلت على نسخة تالفة بطريق الصدفة كان قد أخفاها أحد المواطنين وكانت مرمية في أحد أروقة دائرة السينما فاشتريتها منه بعد سقوط النظام الدكتاتوري.

■ ما هي الظروف التي دعتك لمغادرة العراق؟ وأين كانت وجهتك؟

كانت بيروت هي الوجهة.. وصلتها متعباً، لم أكن قد غادرت العراق، لكنني غادرت أحد بيوت الأشباح التي كانت الدكتاتورية تقيم فيها حفلات الموت.. كان أستاذي الذي درسني المحاسبة والتجارة هو فلسطيني واسمه «إبراهيم أبو الندى» وهو شخصية اقتصادية مرموقة. حين شاهدني آخر مرة وفي حالة متعبة بعد أن غادرت أحد بيوت الأشباح، قال لي: غادر العراق ولكنك بحاجة إلى تأشيرة سفر وأنا سوف أتحدث مع أبو ظبي حيث أنا أدقق ميزانياتهم وحساباتهم ولي عندهم مكانة ولا يردون لي طلباً، لكن تأشيرة الدخول تؤخذ من السفارة البريطانية في بغداد، فأقترح عليك السفر إلى بيروت ومن هناك نرسل لك تأشيرة السفر وسوف أعطيهم عنوانك حيث تقيم.. لم يكن معي مبلغ من المال يكفي للإقامة حتى أسبوعاً واحداً.. وصرت أنام على ساحل البحر وفي الصباح أذهب إلى أصدقاء عراقيين يقيمون في منزل واحد وكانوا يعملون في مجلة (إلى الأمام) التي تصدرها الجبهة الشعبية القيادة العامة، فأتسلم منهم المفتاح قبل أن يذهبوا للعمل في المجلة وآخذ استراحة نوم.. بقيت هكذا لمدة شهر تقريباً.

■ حدثنا عن ظروف اللقاء الأول مع الشهيد غسان كنفاني؟

يوماً أحد الأصدقاء قال لي لنذهب لتناول الطعام الشهي في مطعم صغير تابع لمجلة الهدف التي يرأس تحريرها غسان كنفاني وهي المجلة الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كانت حالتي الصحية ليست على ما يرام وكان وجهي وجهين من قسوة النظام.. وصلنا المطعم الصغير تحت بناية مجلة الهدف وجاء غسان كنفاني لتناول الغذاء والتقينا عند طاولة واحدة.. أحس من خلال الحديث حول الثقافة بأهمية ما أتمتع به، فطلب مني أن أذهب لمشاهدة مسرحية «أوكازيون» التي كتبها عصام محفوظ وأعطاني بطاقة الدعوة لحضور المسرحية وطلب مني الكتابة عن المسرحية لمجلة الهدف نصاً وأداء.. قرأت المسرحية ثم ذهبت لمشاهدتها وكتبت دراسة نقدية تقييمية عنها، فذهل من طبيعة النقد وسألني عن وجهتي القادمة قلت له: أنتظر تأشيرة سفر لمحاولة العمل في أبو ظبي قال لي: «اسمع قاسم نحن بحاجة إليك.. لا تذهب.. ابقَ في بيروت أشبع معنا وجُع معنا.. نحن بحاجة إلى طاقات عربية مثل طاقتك». وخبرته عن أحلامي السينمائية والمسرحية.. ولكني أرى كدمات موجعة في وجهك.. قلت له: «.. وأيضاً أطفؤوا سكائرهم في أذني اليسرى وأعاني من آلام. أخذني إلى جورج حبش وكان اول لقاء مع الشخصية الوطنية الأنيقة حقاً. وأرسلني إلى صديقه الدكتور شهاب أحمد لكي يجد لي علاجاً في مستشفى الجامعة الأمريكية.. وتمت معالجتي مما لحق بي من الأذى.

> يوما مع آخر تأكد لي أن الشعب الفلسطيني أعظم شعوب الأرض

■ كيف تطورت العلاقة مع غسان كنفاني؟ وما هي المهام التي أوكلها إليك؟

تسلمت مسؤولية رئاسة تحرير الصفحة الثقافية لمجلة الهدف، وتوطدت علاقتي مع غسان كنفاني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقد أخرجت مسرحية في مخيم «نهر البارد» عنوانها «طفل بلا عنوان» وكان للمسرحية صدى ممتاز وكتب عنها الكثير وعرضت في أكثر من مخيم. وفي مخيم النهر البارد شاهدت قناة مائية أشبه بنهر تمر المياه بين صخوره وشاهدت نساء المخيم يأتين كل يوم لغسل الصحون والشراشف والملابس.. كنت أعيش في المخيم وشعرت بأن الشعب الفلسطيني شعب نظيف في وجدانهم وفي حياتهم مع حالة التشرد.. يوماً مع آخر تأكد لي أن الشعب الفلسطيني أعظم شعوب الأرض.. وقررت أن أعمل فيلماً وثائقياً قصيراً، عنوانه «نهر البارد» وخلال عملي في دراسة موقع التصوير كنت أنام على البحر في مقر الجبهة الشعبية.. ويوما داهمتنا زوارق حربية إسرائيلية.. وهذه أول مواجهة لي مع الكيان المدجج بالسلاح وجهاً لوجه.. نهضنا من النوم وأعطوني رشاش كلاشنكوف. وسألني هشام.. وكان شبلاً في المقاومة: «تعرف تطخ».. أحرجت.. وقال لي: وجه بندقيتك نحو الزوارق ونحن سوف نمطرهم بالرصاص.. ونجحوا في هزيمة الزوارق.. كانت هذه أول تجربة مسلحة لي، ولكن لم أطلق ولا طلقة واحدة. عندما قررت تصوير الفيلم عدت إلى بيروت وطلبت ميزانية من غسان كنفاني، قلت له أريد أن أعمل فيلماً وثائقياً بسيطاً. سألني كم يكلف تصوير ومونتاج الفيلم؟ قلت له: بحدود أربعة آلاف ليرة لبنانية إذ نحن بحاجة تأجير كاميرا مع المصور من ستوديو بعلبك. تمت الموافقة على صرف المبلغ وعدت إلى نهر البارد وصورت الفيلم وأخذته للمشاركة في مهرجان لايبزغ في ألمانيا الديمقراطية وهو أهم مهرجان للسينما الوثائقية.. بالصدفة تأخر صرف رواتب أبناء المخيم من عناصر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بسبب أزمة مالية مؤقتة عاشتها الجبهة.. فسرت إشاعة أن مخرجا سينمائيا جاء من العراق واستعمل ميزانية الجبهة للسينما.. نحن بحاجة إلى الخبز وليس إلى أفلام ... وصرت محرجاً بالذهاب إلى المخيمات.. حلت الأزمة المالية بطريقة أو بأخرى وجلبت الجبهة أموالاً لتغطية نفقات النضال العسكري، السياسي، الاقتصادي، الثقافي، والاجتماعي.

■ حدثنا عن أصداء مشاركتك في مهرجان لايبزغ السينمائي في ألمانيا؟

كانت مشاركتي في المهرجان السينمائي في ألمانيا، وإصراري على رفع العلم الفلسطيني مع أعلام الدول المشاركة نصراً كبيراً للجبهة الشعبية ولفلسطين. وقد عقدت علاقة مع الوفد الفيتنامي والوفد الكوبي وحصلت منهم على هدايا من مراحل النضال ضد الإمبريالية وضد الاستعمار الأمريكي، ومن الهدايا التي حصلت عليها مزهرية بارتفاع أكثر من نصف متر مصنوعة من حطام طائرة أمريكية أسقطوها، مدون عليها بالحروف الفيتنامية تاريخ النضال الفيتنامي والمعارك التي خاضوها ضد القوات الأمريكية. أهديت المزهرية إلى جورج حبش واستحوذ عليها «عشقاً» غسان كنفاني. أما الأفلام النضالية التي أهديت لنا فلقد أقمت أمسية سينمائية عرضت فيها فيلم النهر البارد وأفلام فيتنامية وكوبية وصار التصفيق عالياً مع مشاهد صورتها عن مقاتلين فلسطينيين، وكلما ظهر مقاتل فلسطيني أو فيتنامي أو كوبي ترتفع الهتافات مع التصفيق.. وكانت تلك الليلة هي ليلة الصلح مع المخيمات وزال من أذهانهم أنني استحوذت على ميزانية الجبهة وفهموا قصة السينما وصارت بيني وبين أبناء المخيمات ومقاتلي الثورة علاقة حب حميمة لدرجة أنني إذا لم أزرهم في فترات متقاربة وأصور حياتهم يوجهون رسائل نقد للجبهة الشعبية.. شعب لا يملك الإنسان سوى أن يصلي من أجله ويدعو السماء أن تمطر عليهم حناناً مع رذاذ المطر.

> من لا يعشق غسان كنفاني لا يعشق الحياة .. من لا يعشق فلسطين .. لا يعشق الحياة

■ أصبحت مصدر ثقة عند غسان كنفاني، أين انعكست هذه الثقة؟

صار غسان كنفاني يعتمد على قدراتي السينمائية والكتابية وليتأكد القارئ أن جورج حبش وكثير من عناصر الجبهة صاروا يقرؤون مجلة الهدف من الصفحات الأخيرة وهي الصفحات الثقافية قبل أن يقرؤوا افتتاحية الهدف لكثر ما كانت صفحات الثقافة مشوقة ومتنوعة! وكنت أمثل الجبهة الشعبية وغسان كنفاني في المؤتمرات ومنها مؤتمر اتحاد الصحفيين في اليمن الديمقراطية لانشغالاته السياسية وتوطدت علاقتي مع رئيس جمهورية اليمن «سالمين» ومع الأمين العام للحزب اليمني الحاكم «عبد الفتاح إسماعيل» ومع رئيس الوزراء «علي ناصر محمد» ومع وزير الدفاع وقمت بزيارات كثيرة كتبت لهم قوانين وزارة الثقافة وكتبت لهم خطة العمل، وانقذت أرشيفهم المصور الذي تركه البريطانيون وطبعاً ساهمت بشكل كامل الجبهة الشعبية في ترميم الأرشيف السينمائي في ستوديو بعلبك في لبنان، ونسخنا منه نسخاً سالبة «نيكتيف» وأعدناه

إليهم، كما عملت دورات سينمائية للشباب اليمني، وساعدتهم في الحصول على بعثات من ألمانيا الديمقراطية.

■ كان حضور الشهيد غسان كنفاني صباحاً إلى مقر الهدف له طقوس معينة، حدثنا عنها؟

من لا يعشق غسان كنفاني لا يعشق الحياة.. من لا يعشق فلسطين.. لا يعشق الحياة.. من لا يعشق الشعب الفلسطيني لا يعشق الحياة.. كان غسان كنفاني يأتي للعمل في الجريدة كل يوم في تمام الساعة التاسعة صباحاً.. يجدنا نحن المحررين عند طاولتنا نتناول فطور الصباح.. الزيت والزعتر والنعنع واللبنة والفول والزيتون.. يأتي غسان وكان تناول فطوره في المنزل ولكنه يحب أن يأخذ من صحن هذا زيتونة خضراء يانعة ومن ذاك قطعة صغيرة من الخبز ويغمسها بصحن الفول وبضع وريقات من النعنع ويمتزج الحديث بضحكات تنعش القلب وفرح مستديم ويمزج الجد بتحليل جاد عما يجري في لبنان وفلسطين والعالم.. ونحن في حماية الله وبندقية الكلاشنكوف .

■ تم إنتاج فيلمي «السكين» و«المخدوعون» المأخوذين عن روايتين للشهيد غسان كنفاني، ما هي ظروف إنتاج الفيلمين، ورأي غسان كنفاني بهما؟ ورأيك شخصياً بالفيلمين؟

ذات يوم قررت مؤسسة السينما السورية إنتاج فيلم عن رواية (ما تبقى لكم) لغسان كنفاني وأسند إخراج الفيلم للمخرج السوري خالد حمادة.. انتهى تصوير وإخراج الفيلم وصار جاهزاً للعرض ولكن لم يتمكن غسان من مشاهدته حيث كانت ثمة مشكلة سياسية مع عموم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. كانت فترة جفاء مع النظام السوري، فكلفني غسان أن أذهب لمشاهدة الفيلم وإعطاء رأيي بالفيلم.. عدت وحدثته عن الفيلم وكتبت عنه في مجلة الهدف.. كان فيلماً متواضعا لا يرقى لمستوى الرواية.. بعد فترة اتخذت مؤسسة السينما السورية قرارا بإنتاج فيلم «المخدوعون» عن رواية رجال في الشمس.. انتهى الفيلم وعرض في دمشق، وكان غسان كنفاني يريد مشاهدة الفيلم سيما وأن اسم المخرج يثير الرغبة في المشاهدة بعد إخراجه لرواية نجيب محفوظ «درب المهابيل» وبعد فيلم «المتمردون»، والمخرج ينتمي للتيار المصري اليساري الراديكالي قبل أن يسقط في أحضان الدكتاتورية العراقية وإخراجه فيلم «الأيام الطويلة» عن حياة الدكتاتور العراقي.

سألني غسان كيف نشاهد الفيلم.. اتصلت بمدير مؤسسة السينما السورية عبد الحميد مرعي وأقنعته أن يرسل لنا فيلم «المخدوعون» مع المخرج توفيق صالح لمشاهدته.. وكان الفيلم قياس 35 ملمتر وبالأسود والأبيض وليس بالألوان. اتصلت أيضاً بإدارة ستوديو بعلبك دون إعطائهم أية تفاصيل من سيحضر لمشاهدة فيلم سينمائي وأننا اتفقنا أن يشاهد الفيلم جورج حبش وحددنا يوم الأحد عطلة الأستوديو لعرض الفيلم في صالة صغيرة تتسع لخمسين شخصاً داخل الأستوديو «ستوديو بعلبك يملكه مستثمرون فلسطينيون، وأغلب التقنيين هم من الشباب الفلسطيني» كانت تلك ضمانتنا الأمنية. عرضنا الفيلم أمام غسان كنفاني وجورج حبش وأنا مع المخرج توفيق صالح.. ودار بيننا حوار وملاحظات.. والفيلم أفضل بكثير من فيلم «السكين».. وكانت عندي ملاحظة أن المشاهد للسفر من البصرة إلى الكويت لم يتم التدريب جيداً على اللهجة العراقية حيث نسب المخرج كومبارس سوري وليس عراقياً ما أضعف القناعة بالشخصية الفلسطينية.. كان الفيلم مثار ارتياح كل من غسان كنفاني وجورج حبش.. ولكن دائماً تبقى الرواية أفضل من الفيلم. وهو مبدأ ثقافي حيث كل روايات العالم وحتى رواية «الزمن المفقود» للكاتب الفرنسي مارسيل بروست تبقى الروايات أعظم من الأفلام مهما بلغت عظمة ودقة إنتاج الأفلام المأخوذة من الروايات لكبار الكتاب ومنها «الشيخ والبحر» لهمنغواي وفيلم «خريف امرأة» عن رواية قصيرة للكاتب المسرحي تنسي وليامز وسواها من الروايات العالمية.. كان فيلم المخدوعون مقبولاً ومثار إعجاب بعض النقاد مع ملاحظاتي الشخصية التي حرصت ألَّا أدلي بها.

> منذ العام 1982 وحتى الآن يعرض فيلم «عائد الى حيفا» في مناسبات كثيرة وقد عرض في فرنسا ووقف الجمهور يصفق لعشر دقائق

■ من خلال ملازمتك للشهيد غسان كنفاني، هل لاحظت أنه كان يستشعر استهدافه من قبل العدو؟ ماذا أسر لك حول هذا الموضوع؟

صرنا أصدقاء غسان كنفاني وأنا.. وغدوت صديق جورج حبش وأبو علي مصطفى. وصار جورج حبش يقرأ مجلة الهدف كل يوم سبت في شقتي ونناقش المجلة بحضور سكرتير التحرير هاني حبيب.. ومن لا يعشق غسان والجبهة وفلسطين.. كنا نتناول الغداء في المطعم الصغير تحت مجلة الهدف.. وذات يوم خطر في بال غسان كنفاني أن نذهب لتناول الغداء في مطعم فلسطيني بشارع ستراند في بيروت.. وذهبنا بسيارته المتواضعة.. كان شارد الذهن وحدثني أن نتغدى بوجبة فلسطينية «مسخن دجاج» قال لي يا قاسم.. أشعر بأنني مستهدف اغتيالاً.. قلت له: كيف عرفت ذلك؟ قال: بالأمس مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة وهو يلقي كلمته خصني بالاسم في كلمته واعتبر مقالاتي ومجلة الهدف تهديدا لأمن إسرائيل.. وهذه إشارة تمهيد لاغتيالي.. سألته لماذا لا تكلف الجبهة بحماية دائمة.. ضحك وقال كيف للمثقف المرهف أن يتحرك وهو يشعر بأن ثمة من يحميه.. ذلك يفقدني حريتي الشخصية !!

هنا لا بد أن أدون إن محاولة سبقت خطاب مندوب إسرائيل قبل اغتيال غسان كنفاني.. كان ثمة شاب عراقي مقيم في سويسرا ومقترن من امرأة كويتية أكبر منه سناً، وهي ثرية، تزوجته وانتقلا للإقامة في سويسرا.. وقد ارتبط الشاب ومن خلال زوجته الثرية بالموساد الإسرائيلي. وكان بين فترة وأخرى يزور بيروت ويقترب من المثقفين اللبنانيين وحاول إجراء مقابلة صحفية مع غسان كنفاني، وخلال أكثر من لقاء مع غسان شك غسان بأمره، وتم اعتقاله من قبل أمن الجبهة الشعبية وتمت محاكمته واعترف بكل مخططاته!!!

في الثامن من يوليو عام 1972، ونحن نعد المقالات صباحاً في مجلة الهدف منتظرين وصول غسان كنفاني في موعده المألوف عند الساعة التاسعة صباحاً، وإذا بالنبأ المفجع عن استشهاد غسان كنفاني وابنة أخته لميس في بيتهم الكائن في منطقة الحازمية حيث تم تفجير السيارة عن بعد وذلك بعد أن استقلها.

اهتزت بيروت بكل فصائلها ومؤسساتها الصحفية والسياسية والثقافية لذلك النبأ الفاجع وبدأنا لا نعرف كيف نكتب وماذا نكتب وإلى أين تسير الأمور. شاهدنا فقط الإعلامي والكاتب بسام أبو شريف يجلس في غرفة غسان كنفاني.

ما كان ينبغي صراحة أن يحدث ما حدث لو كانت الشؤون الأمنية تسير بدقة متناهية لتم اكتشاف اللغم الذي تمكنوا من وضعه تحت سيارته.. ولعاش غسان كنفاني فترة أطول ولأنجز الكثير ولكان قد صحح مسارات قد تسودها الأخطاء.. العظماء يعيشون مرة واحدة ويموتون أكثر من مرة.. أحياناً.

■ ما هو موقف غسان كنفاني من السيناريوهات التي كتبت لأفلامه؟

- السيناريو ينقسم إلى قسمين.. السيناريو الأدبي والسيناريو الفني.. غسان كنفاني للمناسبة فإن أعماله الروائية تقترب كثيراً من السيناريوهات الأدبية، فهي تنتهج نهجا سينمائياً وبنفس الوقت روائياً من الناحية الأدبية. وهنا تكمن عبقرية غسان كنفاني.. فالذي يقرأ أعمال غسان الروائية والقصصية يشعر بمتعة الرواية والمشاهدة لأنها تفتح أفق المشاهدة السينمائية. أما السيناريو الفني فهو عمل يتعلق بحركة الكاميرا وأحجام اللقطات والإضاءة وسوى ذلك وهي ليست من مهام الكاتب الروائي.

■ كيف بدأت فكرة تأسيس قسم للسينما والمسرح في الجبهة الشعبية؟

بداية تسلمت رئاسة تحرير القسم الثقافي. وفي حوار بصدد تأسيس قسم للسينما والمسرح في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وقف وقفة ثقافية عالية في إنشاء هذا القسم وتم تزويد القسم بالمعدات السينمائية وأنشأنا قسماً للتصوير الفوتوغرافي وفي داخل هذه المؤسسة العظيمة التي أنشأناها ساهمنا بأمور أمنية ذات بعد تقني من الصعب كشفها كاملة ولكنها كانت مهام عظيمة لا أحد سوانا يستطيع إنجازها. ولقد أقمنا دورات تدريبية لأبناء المخيمات وصرنا نحرص على أمن الجبهة الشعبية، كنا نمنع على سبيل المثال وكالات الأنباء استعمال الإنارة حين مقابلة الأمين العام للجبهة الشعبية جورج حبش، لخوفنا من استهدافه ضوئياً. وقد منعنا أي شاب من عناصر الجبهة بأن يلتقط صوراً عند المصورين، وكنا نحن نصور حتى صور هوياتهم.. ولقد ساهمنا في توثيق سينمائي لكل وثائق الجبهة الشعبية بالميكرو فيلم، فيما كانت الجبهة تستأجر البيوت وتملؤها بالوثائق السرية، فحولنا وثائق البيوت إلى حقيبة سمسونايت تحتوي على كل وثائق الجبهة الشعبية بحيث حين غادرت المقاومة الفلسطينية بيروت كانت الجبهة تحمل معها حقيبة سمسونايت لا يعرف أحد محتوياتها. وكانت تجربتنا هذه موضع اعتزاز قيادة الجبهة. أمور كثيرة قمنا بها وحتى مراسلات الجبهة مع الداخل الفلسطيني وجدنا طرائق لإنجازها يصعب على كل خبرات الجهات المعادية اكتشافها!! هذا إضافة إلى توثيق العمل النضالي سينمائياً.. على سبيل المثال كانت هناك كلية عسكرية تحت الأرض وهناك أنفاق بين المخيمات وكنا وثقناها.

■ يسجل لك تصديك لإخراج أول فيلم سينمائي فلسطيني (عائد إلى حيفا)، ما هي ظروف إنتاج ذلك الفلم؟

كانت تجربتنا في إنتاج فيلم «عائد إلى حيفا» وفاء لغسان كنفاني وإصراراً على قدرتنا في إنتاج الفيلم الروائي حتى في ظروف الحرب الأهلية اللبنانية وكانت تجربتنا مثار إعجاب العالم والفيلم أخذ مداه في القنوات التلفزيونية. تلفزيون دمشق والجزائر وتونس وليبيا إضافة إلى مهرجانات سينمائية عربية وعالمية ومنذ العام 1982 وحتى الآن يعرض الفيلم في مناسبات كثيرة وقد عرض في فرنسا ووقف الجمهور يصفق لعشر دقائق.

وقد حفظت جامعة براون يونيفرستي الأمريكية فيلم «عائد إلى حيفا» في أرشيفها وأنها ستستعمله كدرس للطلبة حول الصراع العربي الإسرائيلي. فهو، أي الفيلم مع احتفاظه بالقيمة الفكرية والأدبية لرواية غسان كنفاني، فإنه وبميزانية تكاد لا تذكر حيث أنتج بميزانية 120 ألف دولار تتكون من عشرين ألف دولار من الجبهة الشعبية ومئة ألف دولار دعم من ليبيا. وكثيرون تبرعوا للفيلم بضمنهم أو في المقدمة منهم أنا طبعاً.. حيث أعيش براتب مقاتل لا أكثر وأرفض أجور الكتابة والإخراج وكذلك الممثلة الألمانية كرستينا شورن وأيضاً الحزب الشيوعي اللبناني ونقابة صيادي الأسماك والتبرع السوري بمنحنا التصوير بطائرة هليوكبتر وطبعاً إعارتنا ميناء طرابلس لتحويله لميناء حيفا وجماهير النهر البارد والبداوي الذين لعبوا شخصيات الكومبارس الذي جاوز عددهم الألف شخص. وطبعاً لن ننسى موقف الموسيقار الكبير زياد الرحباني الذي قدم الموسيقى هدية للفيلم تأليفاً وتنفيذاً.

■ قد يتبادر إلى الذهن السؤال الطبيعي هل كان عائد إلى حيفا

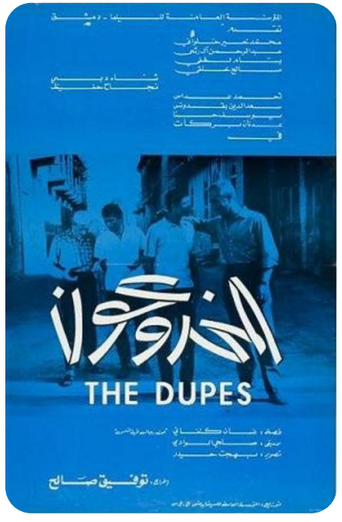

من اختيارك؟ ألم تفكر في تحويل أعمال غسان كنفاني القصصية إلى أفلام قصيرة؟؟

كثير من مخرجي السينما العربية أنتجوا أفلاماً قصيرة عن قصصه القصيرة، لأن كثيراً من القصص تحفز على إنتاجها سينمائياً. وأنا بعد استشهاد غسان كنفاني، كنت ميالاً لإخراج رواية «الأعمى والأطرش»، لأبعادها الفلسفية العميقة. ولكن بعد حوارات كثيرة مع اللجنة الثقافية في الجبهة صرنا مقتنعين بإنتاج رواية «عائد إلى حيفا» لأنها ستكون الأكثر شعبية لما يخدم القضية الفلسطينية فهي تعمق طبيعة الصراع ولها بعد إنساني وأممي.. وهكذا بدأت بكتابة سيناريو الفيلم وتم إنتاج الفيلم... لم تكن الجهود سهلة في إنتاج الفيلم وثمة حروب أهلية صغيرة بعد الحرب الأهلية التي حصلت في لبنان. لم تكن طائرات العدو الإسرائيلي بعيدة عن الفيلم.. ففي يوم تصوير الهجرة الفلسطينية ونحن نصور في طائرة هليكوبتر كان الطيران الإسرائيلي يحوم حول طائرة التصوير ... وكنا شجعاناً.. ولا نزال.

عندما غزت إسرائيل جنوب لبنان وطوقت مدينة صور كنت مع المصور الفوتوغرافي محمود خليل في مجابهة القوات الإسرائيلية ونجونا بأعجوبة.. شعرت في لحظة القصف الشديد بأنني مشروع شهادة فلسطينية فقلت لمحمود.. صورني .

■ ما هي المعايير التي حكمت اختيارك للممثلين في فيلمك عائد إلى حيفا؟

في كل أفلامي الروائية لا أميل إلى الممثل الجاهز، وبشكل خاص الممثل العربي الذي لا يستطيع المشاهد أن يتخلص من اسمه وشهرته وهو دائماً أي الممثل العربي وبسبب عدم العلمية في التمثيل لا يستطيع أن يؤدي الشخصية المطلوبة بحيث ينسيك أنه فلان.. ويظل المشاهد ينظر إليه كاسم. ولقد لمست ذلك أيضاً من خلال علاقتي بمهرجانات السينما العربية وقياساً بمهرجانات السينما العالمية التي كنت أيضاً في لجان تحكيمها ومنها ما ترأست لجنة تحكيم مهرجان أكاديميات السينما في العالم.. ثمة فرق بين الممثل العربي وغير العربي.. لذلك فأنا أختار الممثلين الذين لم تستهلكهم شاشات التلفزة أو بعض شاشات السينما.. وأنا باعتباري ممثلاً ناجحاً جداً في المسرح والسينما باعتبار أني درست التمثيل علمياً واعتمدت نظرية ستانسلافسكي الروسية في بناء الشخصية وما تلقيته من دروس من الأساتذة الذين تعلموا في أمريكا والذين تمكنوا من نظرية ستانسلافسكي التي طورها أستاذ السينما في «كودمان ثييتر» وهو المسرحي «جارلس ماكاو» الذي اعتمد الأسس النظرية للروسي «قسطنطين ستانسلافسكي».. فأنا في تعلمت المدرستين الروسية والأمريكية. لذلك فالمشاهد لأفلامي ينظر إلى شخوص الفيلم كشخوص حقيقية وليس كنجوم على شاشات عربية بائسة. وفي فيلمي عائد إلى حيفا ممثلون أبدعوا في الأداء وبينهم ممثلون ليسوا ممثلين ظهروا على الشاشة وأتقنوا أداء شخوص رواية عائد إلى حيفا.

■ عملت على إخراج العديد من الأفلام السينمائية، ما هي أهم هذه الإنجازات؟

أخرجت أفلاماً وثائقية فلسطينية ويمنية وعراقية ما يقرب من ثلاثين فيلماً وحزت جوائز عالمية منها جائزتان ذهبيتان وجائزتان فضيتان.. أخرجت خمسة أفلام روائية طويلة إلى جانب عائد إلى حيفا هي فيلم بيوت في ذلك الزقاق والمغني وبغداد خارج بغداد والبحث عن ليلى العامرية وأغلب مشاهده عن القضية الفلسطينية. وكتبت عدة سيناريوهات للسينما وسوف أصدرها في كتاب سيناريوهات ليست للبيع كي يستفيد منها طلبة السينما. تجاربي السينمائية جميعها صدرت في كتب بعنوان الفيلم والتجربة.

من الأفلام التي حققت نجاحاً كبيراً وحاز على الجائزة الذهبية فيلم «المغني» الذي نشرت عنه دراسة في موقع قناة الجزيرة للدكتور أحمد القاسمي أستاذ النقد في جامعة منوبة ووصف الفيلم بأنه يتساوى في مستواه مع فيلم «الدكتاتور» لشارلي شابلن.. وفيلم المغني هو عن الدكتاتور العراقي.

■ هل لك من كلمة في نهاية هذا اللقاء؟

في نهاية اللقاء أود أن أذكر حقيقة اهتمامي بالتاريخ الفلسطيني، لكن الواقع أقوى من الحلم. حيث أنني في العام 1979 وفي مؤتمر لحفظ التاريخ السينمائي في العالم. قدمت مقترحاً إلى اللجنة المشرفة على المؤتمر في ألمانيا ويتمثل المقترح، في دعم مشروع بناء نصب فلسطيني في فيتنام وتحت النصب متحف كبير يضم كافة الوثائق الفلسطينية المرئية والمسموعة والمقروءة.. وقد وافق المؤتمر على مقترحي وعلى دعمه ماليا، وبالتفاصيل التي ذكرتها ووافق عليها وفد فيتنام.. وقد أعطيت الوثائق إلى التنظيم الخارجي الذي كان يشرف عليه المناضل «تيسير قبعة» واستحصل الموافقات.. لكننا فوجئنا بالغزو الإسرائيلي إلى لبنان واحتلالهم للعاصمة اللبنانية وتفرقنا شذر مذر وصرنا نحاول جمع شتاتنا.. وها هي وثائقنا متوزعة بين البلدان.. ونحتاج إلى متحف أرشيفي فلسطيني.. من يا ترى قادر على تنفيذ هذا المشروع الهام بعيداً عن الأنا.

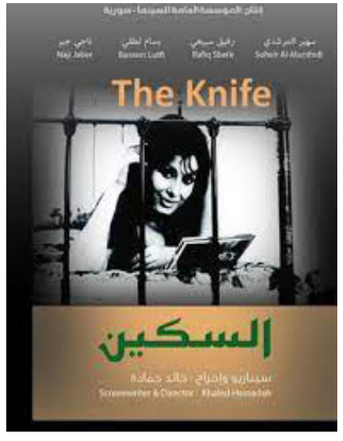

الأدب والنضال، أو نضالية الأدب وأدب النضال

الإعلامي أحمد طنيش - المغرب

نحن بهذا العنوان: «الأدب والنضال، أو نضالية الأدب وأدب النضال» أمام أطروحة مقال، يضم ثلاث عناوين متداخلة ومتحاورة مع بعضها البعض بل متقاطعة، وهي كالتالي:

1ـ الأدب والنضال؛

2ـ نضالية الأدب؛

3ـ أدب النضال.

بهذا التقسيم يظهر أننا فعلاً أمام عنوان مركب وملتبس، لكننا سنكتشف سره من خلال محاورته.

1ـ الأدب والنضال: الأول ينتمي للوجدان والمخيال والفن، هو مجال فردي والثاني، ينتمي للدفاع والترافع والتضحية وهو مجال جماعي، الرابط بينهما هي تلك التبعية بقيادة «واو» العطف الذي يكون دائماً تابعاً لمعطوفه.. فهل النضال تابع للأدب؟ أم الأدب تابع للنضال؟ أم أنهما معا حينما يلتقيان يؤثر كل منهما على الآخر، ومعطوفهما معلوم وقد يكون مجهولاً.

2ـ نضالية الأدب: هنا حددت وجهة النضالية والمعني بها الأدب، ويفهم من هذا المبنى، أن للأدب نضالية من خلال النحت والبحث والتنقيب والدراسة وسبر أغوار الأدب.

3ـ أدب النضال: يخبرنا المبنى أن للنضال أدباً، وأن أدبه في ذاته، أو في معناه أو في ممارسته وفلسفة كينونته.

في ظل هذه الإشكالية العامة للعنوان المركب بكل فرضياته، نناقش أطروحة المقال، من خلال خاصيتين (النضال والأدب):

أ ـ النضال:

تشير دلالة المفهوم (النضال) لمعنى مقصود نتوافق حوله أنه ضرورة وجهد واجتهاد وفعل مقاومة وتتفاوت هنا التراتبية حسب مجمل مقاصد المعاجم العربية والغربية التي تميل إلى مفهوم الدفاع عن شيء ما يوافق المعنى الاصطلاحي، كالدفاع عن قضية مجتمعية مشتركة تتصل بوجدان العامة، (لها علاقة بالهوية أو الوطنية أو النسب وغيره) ويرتبط الأمر بمنطق حقوقي وحاجة طبيعية تستدعيها الظروف القارة والمتغيرة، والمتجددة ثم المتطورة، في اتجاهات أخرى غير وجهتها التقليدية والتي من خلالها تتشكل المطالب الحقوقية التي يفترض في المناضل الدفاع عنها، والتضحية لأجل تحقيقها، والمكافحة لتحويلها من مطالب مكتوبة، منطوقة، متضمنة في الشعارات واللافتات، إلى تحقق واقعي، وسلوك مجتمعي، وعادة ثقافية (من هنا من الممكن أن نناقش نضالية الفنان والأديب، بمفهوم غرامشي حول المثقف المنخرط في قضايا مجتمعه، أو المجتمعات التي لها قضية كبرى تتوحد حولها، نموذج

الشعب الفلسطيني).

أصبح مفهوم النضال مركباً، معقداً، تكتنفه العديد من الحيثيات الأخلاقية والقانونية، وهو أمر مستحدث، متجدد، أسهمت في انبثاقه العديد من العوامل الثقافية والقانونية والسياسية، حيث أصبحت المطالب الأخلاقية في مقامات متعددة تخضع للمساومة المادية، وتتجزأ إلى قضايا هامشية قلما تدخلها المؤسسات في مطالبها الرسمية، حيث انتزع النضال من سياقه الأصلي، وجرد من معناه المركزي، وأصبح يخضع لمقاسات الاستفادة والمصلحة والمزاجية والمساومة وغيرها، بل تم الاستحواذ على النضال، ودخلنا مرحلة النضال من أجل حماية النضال والحق فيه، الأمر الذي يقودنا إلى استنتاجات أساسية :

ـ دافع النضال؛
ـ أحقيته،
ـ زمنه؛
ـ فئته أو فئاته؛
ـ أفقه المطلبي.

فعلاً لقد دخلنا مرحلة الأنثربولوجية الثقافية للنضال حيث تقتضي ثقافة النضال وعياً مسبقاً يعتبر يقود الحركية الاحتجاجية، ودافعاً للإبداع في أشكالها، وحافزاً لتجديد تحققاتها، وهو أمر لا يتأتى لأي كان، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا من خلال مكونات واستحقاقات الذات المناضلة، وهنا يحضر الأدب كآلية على الإبداع، النقد، التشكيك في اليقينيات، خلخلة الحقائق الجمعية، تبني قيم حقيقية بعيدة عن الجشع المادي، فالنضال قبل أن يكون تحققاً سلوكياً راقياً كان فكرة محورية زرعت في الذات المناضلة حافزاً قيمياً للنضال، للمقاومة، للكفاح، للتمرد على الظلم، والاضطهاد، والاستغلال، ليصبح النضال سلوكاً مقاوماً ينم عن وعي نضالي مكتسب.

ب ـ الأدب

في البدء سنتعرف إلى بعض من سيرة ومسار الأدب ونشأته وتاريخه وأقسامه وعصوره، من خلال آراء ووجهات نظر بعض الأعلام من هذا المجال، جذر الأدب قادم من (المأدبة) التي يُدعَى إليها الناس. ومع مرور الزمن انتقلت دلالة اللفظة من معناها الحسّي إلى المعنى المجرد، جاء في تاج العروس: "الأَدَبُ مُحَرَّكةً؛ الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي به لأنه يؤدِبُ الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح". وبعد ذلك انطوت اللفظة على دلالة خلقية هي التعليم والتهذيب والتثقيف. وبقيت لفظة الأدب محافظة على معنى التهذيب، كما يرى مصطفى صادق الرافعي، حتى منتصف القرن الثالث الهجري، إذ قال: (إن لفظة الأدباء بقيت في القرن الثاني الهجري خاصة بالمؤدِّبين، لا تطلق على الكتاب والشعراء، واستمرت لقباً على أولئك إلى منتصف القرن الثالث)، حيث كان يطلق الاسم/الصفة، على المعلمين بما فيهم النّحوي واللغوي والعالم والشاعر وشملت لفظة الأدباء هؤلاء جميعاً.

في القرن الرابع أخذت ألفاظ (الأدب والأدباء والمؤدِّبين) تتخصص، ثم أطلقت لفظة (الأدب) على فنون المنَادَمة وأصولها. وفي منتصف القرن الرابع تم التمييز بين العلماء والأدباء.

مرّ لفظ (الأدب) في تطوره ببضع دلالات قبل أن يأخذ معناه الاصطلاحي الذي ثبت عليه. بدأ بالدعوة إلى المآدب، ومنها انتقل إلى التهذيب، ثم غدا بمعنى التكسب بالتعليم، وأخيراً استقر على معناه المعهود، وهو التعبير الفني بالشعر والنثر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الجميل المؤلف بطريقة فنية تؤثر في النفس، وقد يكون التعريف الوارد في المعجم الأدبي أوفى بالغرض من التعريفات السابقة، جاء في هذا المعجم:(الأدب في معناه الحديث هو علم يشمل أصول فنّ الكتابة، ويُعنى بالآثار الخطية والنثرية والشعرية، وهو المعبّر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة عن العواطف التي تعتمد في نفوس شعب أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات.

اختلفت آراء الباحثين والنقاد في الباعث على نشأة الأدب أو إنشائه، فمنهم من رده كغيره من الفنون إلى رغبة الإنسان في اللعب الذي يفرّغ طاقة النفس الزائدة، قال فردريك فون شالار: (إن اللعب تعبير عن الطاقة الفائرة، وإنه أصل كل الفنون) وقال سبنسر: (إن اللعب هو أصل الفنون، وإنه تعبير غير هادف عن الطاقة الزائدة) وذهب "كانط" إلى أن (الفن سرور أو ارتياح بلا هدف، أو متعة خالصة من أي غرض)، والجامع بين هؤلاء العلماء إلى رد الأدب إلى منبع فردي، نشاط خاص، ومَلكة ذاتية.

إن ارتباط الأدب بالمجتمع يجعل له سلطاناً على الأفراد، وهذا هو سبب علاقته الجدلية بالنضال ويجعل تطوره مرهوناً بقوانين المجتمع وهو لا يسير تبعاً للأهواء والمصادفات، ولا وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين ثابتة مطّردة. وكل خروج على نظامه ولو كان عن خطأ أو جهل ـ يلقى من المجتمع مقاومة، تكفل ردّ الأمور إلى نصابها الصحيح.

إن الاختلاف في تعريف (الأدب) يقود إلى الاختلاف في المقصود من تاريخ الأدب، وفي النطاق الذي تدور فيه مباحث التاريخ الأدبي، يحيلنا الأمر إلى مفهوم الأدب عند ابن خلدون، (قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف) لكن هل وعى المؤرخ الأدبي بهذا التصريح؟ وهل تم الاشتغال على تاريخ الأدب عموماً من هذا المنظور؟ لهذا قسّم مؤرخو الأدب العربي تراثنا إلى أقسام، فما الأساس الذي اعتمدوا عليه في هذا التقسيم؟ سيما والتاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، لذلك اصطلحوا على أن يقسموه على حسب العصور التاريخية والانقلابات الاجتماعية.

«الأدب والنضال، أو نضالية الأدب وأدب النضال» مقال أطروحة، يضم ثلاثة عناوين متداخلة ومتحاورة مع بعضها البعض بل متقاطعة، روحها أننا أمام أدب ونضال، بين الوجدان والمخيال وبين الجهد والتضحية والمرافعة، أدب له نضاليته في جيناته ونضال له أدبيته في ذاته، يناقش في بوتقة أدب النضال ونضال الأدب.

تجليات مجزرة صبرا وشاتيلا في الأدب الفلسطيني والعربي

د. ثائر يوسف عودة ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

تعتبر مجزرة صبرا وشاتيلا (أيلول/ سبتمبر 1982) واحدة من أكثر الأحداث مأساوية في تاريخ الصراع العربي- الصهيوني، ارتكبتها ميليشيات لبنانية بحق اللاجئين الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا خلال الاجتياح الصهيوني للبنان. وتجاوزت هذه المجزرة كونها حدثاً سياسياً لتصبح رمزاً للألم الجماعي والعدالة المفقودة، وما تبعها من شعور بالعجز والفقدان، وأثّرت بشكل مباشر على الوعي الأدبي والفني الفلسطيني والعربي.

وقد أنتج هذا الحدث مجموعة من الأعمال الأدبية التي تناولت المجزرة في مستويات مختلفة: شعراً احتجاجياً، سرداً روائياً وقصصياً، ومسرحيات، ليصبح الأدب شاهداً على الجريمة ورافداً للذاكرة الجمعية التي توثّق الحدث كجزء من التاريخ الفلسطيني، للحفاظ على الرواية الوطنية أمام محاولات النسيان.

لقد استقبل الأدب هذا الحدث بوصفه مأساة تاريخية إضافية تضاف إلى النكبة، والتهجير، والحروب، ليصبح المحرك الأساسي للسردية الوطنية المقاومة. فركّز على تصوير معاناة اللاجئين والرعب الرهيب وفقدان الأحبة، بالإضافة إلى الحديث عن العدالة المفقودة والنقد السياسي والرمزية في تصوير القمع والقتل.

وفي النظر إلى الأعمال الأدبية المرتبطة بمجزرة صبرا وشاتيلا نرى القدرة الفائقة للأدب على توثيق المأساة وتحويلها إلى ذاكرة جماعية، ليس على المستويين الفلسطيني واللبناني وحسب، بل على مستوى الإنسانية العالمية؛ كون الأدب أداة مقاومة ضد الاحتلال، وضد نسيان التاريخ وظلم الإنسانية، حيث تمزج النصوص بين الذاكرة والألم والمقاومة، وتبرز الإنسانية في أفظع الظروف، وتؤكد تجليات المجزرة في الأدب قدرة الفن على معالجة الصدمة، والحفاظ على الذاكرة، ونقل قضية الظلم من المحلية إلى العالمية، لتصبح النصوص الأدبية مصدراً للتأمل والدراسة الإنسانية.

تجليات المجزرة في الشعر:

تناول الشعراء الفلسطينيون والعرب المجزرة بوصفها امتداداً للنكبة، مستخدمين أساليب الرمزية والتشخيص الشعوري. ومن أبرز الأمثلة الناصعة، ما كتبه الشاعر العظيم محمود درويش في قصيدته الملحمية الكبرى (مديح الظل العالي)، فعلى الرغم من أنه لم يكتب نصاً محدداً عن مجزرة صبرا وشاتيلا، لكنه دمج الحدث ضمن سياق شعري أوسع صوّر فيه يوميات الحصار في بيروت عام 1982، ورصد معاناة المحاصَرين، وربطها بمعاناة الفلسطينيين الكبرى في الشتات والرحيل، مع التأكيد على الحق في المقاومة والحرية. فاستخدم الصور الدموية والوحشية لتصوير المجزرة، وركّز على الانفعال الإنساني (الخوف، الحزن، الصدمة)، وجمع بين البعد المحلي والبعد العالمي للعدالة والإنسانية. نقرأ بعض هذه السمات في المقطع الشعري الآتي:

صبرا فتاةٌ نائمة / رحل الرجالُ إلى الرحيل / .... ليلٌ طويل يرصد الأحلامَ في صبرا / وصبرا نائمة / صبرا بقايا الكف في جسدٍ قتيل/ ودّعت فرسانَها وزمانها/ واستسلمت للنوم من تعبٍ، ومن عربٍ رمَوْها خلفهم... لمَ ترحلونَ/ وتتركونَ نساءكم في بطن ليلٍ من حديد؟ / لمَ ترحلونْ وتعلّقون مساءكم فوق المخيم والنشيد؟

كم مرةً ستسافرونْ/ وإلى متى ستسافرونْ/ ولأي حلم؟/ وإذا رجعتم ذاتَ يومْ/ فلأي منفى ترجعون، صبرا- تنام. وخنجر الفاشي يصحو/ صبرا تنادي.. من تنادي/ كل هذا الليل لي، والليل ملحُ/ يقطع الفاشي ثدييها/ يرقص حول خنجره ويلعقه. يغني لانتصار الأرز موالا/ ويمحو في هدوءٍ.. في هدوءٍ لحمها عن عظمها/ صبرا – تقاطع شارعين على جسد/ صبرا نزول الروح في حجر/ وصبرا – لا أحد/ صبرا – هُوية عصرنا حتى الأبد.

يرصد هذا النص الملحمي مأساة صبرا من زاوية تصوير المكان كشخصية حيّة تعيش الألم والرعب، وتُجسَّد بأنها فتاة نائمة، جسد يعاني من الفقد والخوف، وطن متروك للغزاة. أما تكرار كلمة «صبرا» فهو لتأكيد حضور المكان كشخصية أساسية، ولخلق إحساس بالاستمرارية والصدمة. ويدمج النص بين التاريخ (الحرب، الجنود الراحلون) والعاطفة الإنسانية (الخوف، الحزن، الانتظار). كما أن الشاعر يلجأ هنا إلى الحوارات الدرامية والمنولوج أو الحوار الداخلي: صبرا تسائل عن الغياب: لمَ ترحلون؟، إلى متى ستسافرون؟ فتعكس حوار الذات مع الغائبين والمصير. وكذلك الحوار الرمزي مع العدو/ الفاشي يَظهر كقوة خارجة، الحوار معه غير لفظي بل عبر الفعل والرمز. مما يخلق التضاد الدرامي: بين صبرا النائمة/المهزقة والفاشي الفاعل فأنتج صراعاً رمزياً ووجدانياً مكثفاً.

تجليات المجزرة في الرواية والقصة القصيرة

أعطت الرواية الفلسطينية الحديثة مساحة كبيرة لتناول مجزرة صبرا وشاتيلا، باعتبارها امتدادًا لمأساة النكبة والشتات. ومن الأمثلة على ذلك رواية سوزان أبو الهوى، «بينما ينام العالم» (2010) التي تعرض بعض مشاهد المجازر كجزء من سرد الشتات الفلسطيني في لبنان، صحيح أن الرواية تروي مأساة اللاجئين الفلسطينيين منذ النكبة حتى الانتفاضة الثانية 2002، لكنها تبرز مجازر صبرا وشاتيلا كجزء من سرد الشتات الفلسطيني، فاستُخدمت الرواية كأداة لتوثيق الصدمة، من خلال تصوير التجربة الإنسانية للناجين والمصابين، واعتمدت على السرد الزمني المتقطع، والسرد متعدد الأصوات لإعطاء مساحة لتجربة كل شخصية، من طفل إلى بالغ، من نازح إلى شاهد عيان.

وهناك روايات أخرى ركزت على تجربة اللاجئ/الناجي، مع تصوير الألم النفسي والذكرى المستمرة وفقدان الأسرة. من ذلك ما كتبه الراحل وليد عبد الرحيم في روايته الصادمة «لستُ حيواناً» (2024) وتناولت المجزرة من خلال سرد تجريبي، يصور مشاهد العنف والدمار التي تعرض لها الفلسطينيون، معبراً عن الألم والخذلان الذي يشعرون به. ومركّزاً على التفاصيل الدقيقة للمكان والرائحة والدماء والخراب لتعزيز مصداقية الحدث. وكذلك ما كتبته جنى فواز الحسن في روايتها «طابق 99» (2014)، وتناولت تأثير المجزرة على الأفراد، حيث يظهر بطل الرواية الذي يحمل ندبة من آثار المجزرة، في سياق سردي يربط بين الماضي والحاضر. الروائي علي بدر في روايته «الكافرة»، يعرض شخصية الأب الذي يبرر ارتكابه لمجزرة صبرا وشاتيلا بدافع الانتقام، مما أثار جدلاً واسعاً حول تبرير الجريمة في الأدب. أما الروائي أكرم مسلم فيستعرض في روايته «بنت من شاتيلا» (2019)، معاناة اللاجئين الفلسطينيين في مخيم شاتيلا، مسلطاً الضوء على آثار المجزرة على الذاكرة والهوية الفلسطينية وذلك من خلال الانتقال بين الماضي والحاضر لتصوير الانفجار النفسي للناجين. بالإضافة إلى الكثير من الأعمال التي كتبها كتّاب فلسطينيون وعرب في سرد متعدد الأصوات يقدّم أصواتاً مختلفة للضحايا والعائلات والشهود. وتمكن الإشارة في هذا السياق إلى كتاب المفكر الكبير إدوارد سعيد: «النكبة المستمرة» (2023)، الذي يستذكر فيه مجزرة صبرا وشاتيلا، حين ذهب إلى المخيم في 16 أيلول/ سبتمبر 1983 لإحياء الذكرى السنوية الأولى لضحايا المجزرة.

أما القصة القصيرة فقد ركّز بعضها على تصوير المشهد اللحظي للمجزرة، والانفجارات والدماء والهلع وفقدان الأحبة من خلال استخدام الصور الحسية: الروائح، الأصوات، الألوان لتقريب القارئ من الحدث. وركزت قصص أخرى على إظهار الكيفية التي أصبح فيها الأطفال رموزاً للبراءة المفقودة، واللاجئون رموزاً للمعاناة المستمرة.

يمكن تقصّي سمات أدبية مشتركة بين كل هذه الأعمال الأدبية، من أبرزها: الرمزية: الدم، الخراب، المخيمات، الجدران المهدمة، ووجوه الأطفال. والبعد النفسي تصوير الصدمة، الفقد، الصراع الداخلي، الإحساس بالظلم والغضب. والبعد السياسي: النقد المباشر أو الرمزي للقوى المسؤولة عن المجزرة، سواء ميليشيات محلية أو الاحتلال الصهيوني. والبعد الإنساني العالمي: التأكيد على المظلومية الإنسانية، وربط المأساة الفلسطينية بقضايا العدالة وحقوق الإنسان عالمياً.

تؤكد تجليات مجزرة صبرا وشاتيلا في الأدب الفلسطيني والعربي على دور الأدب في توثيق المأساة الإنسانية والحفاظ على الذاكرة الجماعية، فاستُخدم الشعر والرواية والمسرح كوسائل لتجسيد الصدمة، والتعبير عن الألم الجماعي، والمطالبة بالعدالة. ولم يكتفِ الأدب الفلسطيني المقاوم بعد المجزرة بتصوير المأساة فحسب، بل امتد ليشمل البعد العالمي، حيث أصبح كل نص أدبي شهادة إنسانية حيّة، يعكس حق الفلسطينيين في الحياة، ويعمل على إيصال الرواية الفلسطينية للعالم، وكسر السردية الصهيونية المهيمنة، والتأكيد على أن الأدب هو فعل مقاومة، ورمز للعدالة والحرية الإنسانية المنشودة.

عِرقبادةُ قطاع غزّة كمصطلحٍ فارق في التاريخ

د. مكرم خوري ـ مخّول - أكاديمي فلسطيني - بريطانيا

يعكس مصطلح العِرقبادة الجرائم الكارثية في قطاع غزة ولذلك فهو للاستعمال العام كرأس حربة يجب أن يُعادل ويتفوق على مصطلحات أخرى استعملها الصهاينة للدفاع عن وضعهم في الحرب العالمية الثانية.

لن تكون الأيديولوجيا واضحة إلا بوضوح المصطلحات. فالمصطلحات والأيديولوجيا مفهومان مترابطان يظهران بشكل كبير في الفكر السياسي والاجتماعي-الاقتصادي. ولأن الأيديولوجيا هي مجموعة من الأفكار والقيم و\أو المعتقدات التي تشكل وتعبر عن رؤية فرد أو جماعة للعالم وتوجه سلوكهم أو قراراتهم فيجب توظيف المفردات الدقيقة للتعبير عن هذه الأيديولوجيا. أحياناً تكون المصطلحات واضحة بشكل يدل على هوية الأيديولوجيا دون الولوج بالتفاصيل. الا ان استعمال مصطلحات عشوائية غير دقيقة قد تُضعف من الأيديولوجيا والموقف السياسي لأصحابه، رغم أنه من الممكن أن نفهم ما بين السطور ما يقصده الكاتب. إلا أن الصراعات الإعلامية لا تتحمل الخطأ كما أن كتابة التاريخ لا ترحم ولا تتسامح مع المصطلحات المغلوطة في الصراعات المصيرية كقضية فلسطين.

حتّم علينا واجبنا الفكري-المهني والأخلاقي القومي القيام بنحت مُصطلح (العِرقبادة (أو «الـ CleansOcide وهو مزيج لمصطلحي/ جريمتي «التطهير العرقي» Ethnic Cleansing و«الإبادة الجماعية»Genocide) عن الجرائم المُقترفة في غزة-قطاع_غزة ليس لاستعمالنا الشخصي فحسب وإنما مساهمة منّا للاستعمال العام.

فمثلما روج الصهاينة للهولوكوست (اليوناني الأصل: المحرقة) واخترع الأكاديمي اليهودي الصهيوني رفائيل لمكين الإبادة الجماعية / جينوسايد وروّج له لنحو عقدين من الزمان حتى تمت مأسسته، هكذا نطمح أن يكون الحال بالنسبة لمصطلح العِرقبادة في إطار جرائم قطاع غزة الفلسطيني!

فالمصطلح اللغوي هو مساهمة الأكاديمي المهتم حقاً والمشتبك وليس سلعة بالمعنى التقليدي، لأنه ليس منتجًا ماديًا يُباع أو يُشترى في السوق. ومع ذلك، يمكن اعتباره «سلعة» بشكل مجازي في سياقات مثل الصراعات اليومية ومُعترك نيل الحقوق القومية.

وبما أن سياقنا هو سياق واسع يشمل صراعاً في حقول السياسة والاقتصاد والعسكرة والثقافة (أكاديمياً وثقافة تشمل الإعلام) فإنه أيضاً وبالأساس يشمل حقل الصراع الثقافي والتعليمي.

فالمصطلحات اللغوية (مثل المفردات المتخصصة أو المصطلحات الفنية أو السياسية) تكون ذات قيمة في مجالات مثل التعليم، الترجمة، أو التخصصات الأكاديمية، حيث يتم «تداولها» كجزء من المعرفة.

وما يساهم بالمعرفة هي تلك المصطلحات الفارقة التي تساهم في فهم التاريخ وصراعاته المصيرية على وجه التحديد، كهذا الذي نشهده في فلسطين عموماً. وقطاع غزة على وجه التحديد.

وقد ارتكزت الحركة الصهيونية على أسلوب صقل السردية للاستعمال الذاتي والاستحواذ على العقول والسيطرة على الرأي العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية فقد قرروا:

١. إحياء ذكرى الكارثة

٢. الاحتفال بالبطولة في نَفَسٍ واحد ودقيقة واحدة.

الأولى لنيل عطف الرأي العام العالمي والثانية للنهوض بمجتمعهم/ شعبهم بخطوة استعراضية تُبرز للعالم قدرتهم على النهوض والتقدم رغم المُعاناة.

وهكذا وفي محاولة مدروسة من الحركة الصهيونية ومنذ 1948 وما قبل تم اختيار وتسمية محرقة أوروبا المُقترفة من جهات أوروبية متعددة وبالأساس ألمانيا بقيادة هتلر بالهولوكوست وهي كلمة يونانية Holokauston وتعني حرق الأضاحي وتقديمها للآلهة) وقيام أكاديمي يهودي آخر وذلك بعد أن درس قضية إبادة الأرمن من قبل العثمانيين حيث تمت إبادة نحو ربع مليون أرمني، وهو الأكاديمي والمحامي اليهودي البولندي رفائيل ليمكين (1900-1959) بنحت مصطلح الجينوساید (الإبادة).

ففي صناعات ما يسمى بـ Creative Industries

الصناعات الإبداعية مثل نحت المصطلحات لتوضيح الأفكار والمفاهيم وكتابة المحتوى لشرح مفهوم صراع القوة، يمكن أن تُعتبر المصطلحات اللغوية جزءًا من رأس المال الفكري الذي يُستخدم لتوليد القيمة السياسية في مُعترك التاريخ وجزءاً من صناعة وكتابة التاريخ التي هي ليست أمراً يتعلق بالماضي وإنما

بصراع مستمر تارة وبنجت الحق لتعرفه الأجيال القادمة على مدار العصور.

وهنا نرى من واجبنا التذكير بجملة كارل ماركس: «إن الرجال يصنعون تاريخهم بأنفسهم...» وجزء من هذه الصناعة هي صناعة المصطلحات. لأن المصطلح اللغوي في حد ذاته هو أداة تواصل ذهنية ملموسة عند استعمالها وتكرارها والتركيز عليها.

فإن التداول بالمصطلحات واختيارها ليس ترفاً أو هواية. إنها جزء من فرض المفاهيم من وجهة نظرنا عن مصير الشعب الفلسطيني وحياته ومستقبله. المصطلحات غالبًا تعكس المفاهيم، لأنها تُستخدم كأدوات لغوية للتعبير عن الأفكار والمعاني المرتبطة بهذه المفاهيم. ولذلك فإننا عندما نقترح التوقف عن تسمية الإجرام في قطاع غزة بالحرب إنما نعتمد على أيديولوجيتنا التي ترفض الاستعلاء الاستشراقي الصهيوني الإبادي وبالتالي تبني مصطلحاته.

في محاولة بائسة ولكن عنيدة و «واقعية» يحاول الاحتلال الإسرائيلي خطف السردية عبر التحول من كون الحركة الصهيونية هي المجرم المُبيد للشعب الفلسطيني(والجوار) - إلى المُباد من قبل العرب والمسلمين ولذلك تبرر عدوانها على العالم العربي المقاوم والعرقبادة في فلسطين .

نكرر أنه وللتخلص من مأزقها القانوني المتنامي عالمياً والإعلامي الكارثي، تسعى الحركة الصهيونية العالمية (كما نتنياهو بشكل خاص والذي يسعى جاهداً) لتعريف ما يقترفه هو وعصابات الاحتلال في قطاع غزة بالـ «حرب" وهذا ما نرفضه!

فالمعركة العسكرية بين المقاومة (في #فلسطين على وجه التحديد) والاحتلال الصهيوني هي معركة غير متكافئة. أما على الصعيد الإعلامي (سوشيال ميديا وإلخ) فقد حقق الفلسطيني وأنصاره إنجازات كبيرة يجب أن تُشكل مدماكاً لفرض السردية وكتابة التاريخ.

إنها مسؤولية أخلاقية ومهنية يجب أن نعي أهميتها ونصر على المواظبة على الاهتمام بها. فها نحن ما زلنا نصارع حتى بعد مرور 8 عقود على الكارثة الفلسطينية لنعرّفها بـ «النكبة».

غَسّان كَنَفَاني..
أُسْطُورَةُ العِشْقِ الفِلَسْطِينِيّ

مَحْمُود عَلِي السَّعِيد شاعر وكاتب فلسطيني سورية

بِاليَقِينِ المُشْرِئِبِّ كَعُنُقِ الحَقِيقَةِ سُطوعًا، وَبِالتَّأَكِيدِ القاطِعِ الَّذِي لا تُشَوِّبُهُ شَذْرَةُ اعْتِسافٍ، أَوْ تَلْمَسُهُ قَطْرَةُ ظَنٍّ، أَوْ تُخامِرُهُ إِشَارَةُ سَلْبٍ وَجُرْعَةُ تَوَجُّسٍ، بِأَنَّ راهِنِيَّةَ سَرَيَانِ تِيَّارِ الكَهْرَبَةِ وَالمَفْنَطَةِ وَالمَسِّ لأَدَبِ أُيْقُونَةِ الثَّقَافَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وَبُوصِلَةِ تَوَجُّهِها وَمَرْقَدِ أَسْفارِها غَسَّان كَنَفَانِي، فِي أَدِيمِ أَوْصالِ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلاعِ مُثَلَّثِ الزَّمَنِ: المَاضِي وَالحَاضِرِ، فِي أَوْجِ تَوَهُّجِها وَأَنْصَعِ عَطَائِها، وَهِيَ تَضُخُّ مِنَ الثِّمارِ أَنْضَجَها، وَمِنَ المَواسِمِ أَخْصَبَها، وَمِنَ المَوائِدِ أَوْفَرَها وَأَدْسَمَها، وَمِنْظارُ عَيْنَيْها يَرْنُو إِلَى المُسْتَقْبَلِ تَشَوُّقًا وَاسْتِمْرارِيَّةَ حُضُورٍ. فَبِمَسْحٍ بَانُورامِيٍّ لِمَجْمَلِ ما يَدُورُ مِنْ فَعَالِيَّاتٍ كِتابِيَّةٍ هادِفَةٍ وَأَنْشِطَةٍ مُتَوَخَّاةٍ فِي ساحاتٍ وَاقِعِنا الثَّقافِيِّ المَعِيشِ، فِي هذِهِ الحِقْبَةِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ عُمُرِ العَصْرِ الإِسْبَرْطِيِّ المَاثِلِ، لَيْسَ فِي ذِكْرَى مُسَلْسَلِ سَنَواتِ الاسْتِشْهادِ فَحَسْبُ، بَلْ وَفِي جُلِّ المُناسَباتِ الوَطَنِيَّةِ وَالإِنْسانِيَّةِ وَالقَوْمِيَّةِ، تُدْهِمُكَ إِيجابًا وَتَصْدُمُكَ قَلَقًا بَعْضُ إِنْجازاتِ هذَا الرَّقَمِ النِّضالِيِّ الصَّعْبِ، وَقَتَ اسْتِشْراءِ مَدِّ الرَّخاوَةِ وَالضَّعْضَعَةِ وَالقُنُوطِ، مِنْ: («عائِدٌ إِلَى حَيْفا» - «رِجالٌ فِي الشَّمْسِ» - «أُمُّ سَعْدٍ» - «ما تَبَقَّى لَكُمْ» - «العاشِقُ» - «أَدَبُ المُقاوَمَةِ فِي فِلَسْطِينَ المُحْتَلَّةِ» - «الأَدَبُ الصُّهْيُونِيُّ» - إِلخ...). وَقَدْ أَصْبَحَتْ بَعْدَ قُطوفِها شِيفْرَةَ حِكْمَةٍ وَأُمْثولَةَ رِوَايَةٍ وَسِفارَةَ تَجْرِبَةٍ، تَلْهَجُ بِها الأَلْسُنُ وَالمَهَجُ، وَتَتَناقَلُها الجُمُوعُ، وَتَعْتَنِقُها المِلَلُ وَالمَذاهِبُ وَالأُسَرُ، كَمَقُولَةِ: «لِمَاذَا لَمْ تُدَقَّ جُدْرانُ الخَزَّانِ؟»، «خَيْمَةٌ عَنْ خَيْمَةٍ بِتْفَرَّقْ».

فَالتَّكافُلُ الوَظِيفِيُّ وَالتَّعاطُفُ المَنْهَجِيُّ لِمَجْمَلِ الأَجْناسِ الأَدَبِيَّةِ، مِنَ: «القِصَّةِ - الرِّوايَةِ - المَسْرَحِيَّةِ - الشِّعْرِ - الخاطِرَةِ - المَقالِ السِّياسِيِّ»، إِضافَةً إِلَى التَّشْكِيلِ بِلَوْحاتِهِ الفاتِنَةِ، فِي حَصادِ سَيْرورَةِ غَسَّان كَنَفَانِي الإِبْداعِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، الأَشْهَرِ رايَةً وَالأَعْلَى مِنَصَّةً، بِالتَوَاشُجِ مَعَ الفِعْلِ النِّضالِيِّ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ وَخاصَّ الاسْتِثْناءِ، وَذلِكَ بِتَوْأَمَةِ البُنْدُقِيَّةِ مَعَ النَّصِّ، وَالطَّلْقَةِ مَعَ الكَلِمَةِ، وَالخُطوَةِ مَعَ المُؤَدَّى وَالمَرْمَى وَالمَبْتَغَى، مِمَّا جَعَلَ مِنْ غَسَّان كَنَفَانِي - دُونَ أَقْرانِهِ - مَدْرَسَةً تَتَلَمَذَ عَلَى مَقاعِدِها أَجْيالٌ وَأَجْيالٌ.

تَعَرُّجًا عَلَى هامِشِ المَتْنِ القَوْلِيِّ: كَمْ تُثْلِجُ صُدورَنا وَتُغْبِطُ أَفْئِدَتَنا وَتَبْتَهِجُ سَرِيرَتَنا نَحْنُ («اتِّحادُ كُتَّابِ فِلَسْطِينَ» - «النَّادِي الثَّقافِيُّ الفِلَسْطِينِيُّ» - «بَيْتُ الذَّاكِرَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فِي حَلَبَ: المُتَنَبِّي وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الحَمَدانِيُّ وَالسُّهْرَوَرْدِيُّ وَخَيْرُ الدِّينِ الأَسَدِيُّ») بِإِحْياءِ ذِكْرَى غَسَّان كَنَفَانِي فِي كُلِّ عامٍ بِأَحْرِ الأَعْراسِ، عارِضِينَ فِيلْمَ «غَسَّان كَنَفَانِي أُسْطُورَةُ العِشْقِ الفِلَسْطِينِيِّ» لِمُخْرِجِهِ المَعْروفِ رامِي السَّعِيدِ، عَلَى جُمْهُورٍ مِنْ عُشَّاقِ المَواقِفِ. أَقُولُ: كَمْ أَضْحَتِ القَضِيَّةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ بِخاصَّةٍ، وَباقَةُ القَضايا الإِنْسانِيَّةِ العادِلَةِ وَالمُحِقَّةِ بِعامَّةٍ، فِي هذِهِ الأَيَّامِ العَصِيبَةِ مِنْ عُمُرِ التَّقْوِيمِ الأَرْضِيِّ الدَّهْرِيِّ، أَنْ انْبِطاحُ سَدَنَةِ الكَراسِيِّ وَالمُرْتَفَعاتِ مُشْتَرِينَ كَالدُّودَةِ الشَّرِيطِيَّةِ، وَأَشاوِسِ فِلَسْطِينَ وَمَيامِينُها يَرْفَعُونَ اليَدَ احْتِجاجًا وَيَسْطُرُونَ بِدَمِهِمِ المُراقِ أَسْمَى آياتِ البَطُولَةِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالبَذْلِ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ وَمَطْلَبٍ مِلِحّاحٍ لِفُرُوسِيَّةِ مَوْقِفِكَ وَشَهامَةِ وَعَنْفُوانِ قامَتِكَ وَقُدْوَةٍ وَأَصالَةِ مَسِيرَةِ حَياتِكَ بِشِقَّيْها الكِتابِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ.

من صبرا إلى غزة
الصورة تتحدث

مصعب عيسى - كاتب فلسطيني - بلجيكا

أيلول ذاك الموسم الأصفر يوقد في الذاكرة أنيناً جمعياً.. خريفاً من دم ورماد ومقصلة للموت المتنقل لا يتوقف. تأخذ إذناً بالإعدام... فيصاب الجسد المطعون بدوار البحر القريب من كل مذبحة ومن كل جريمة... بحر من الحبر في فوهة الوقت يتجمد مداده الكحلي على رمل الشاطئ

في الجوار صليبنا الأزلي يتربص برائحة البرتقال... وسط الساحة تتبعثر الكلمات في تلك النار الموقدة مذ... أضرم هسيسها الأول في تاريخ الأرض بأكملها... وصلت مفردة الحزن إلى فم الاختناق فأصيبت بالخذلان... راحت حروف الإلياذة تتشكل من طين وسراب تستجمع كل قوافي الشعر العربي لتنسج شطراً يفي بالمجزرة... لكن عبثاً حاولت الكلمات ...

ثمة لغة مهزومة.. مكتملة النقصان تدور حول الدمية الخشبية.. حول جواري السلطان.. لغة كاملة مخصية أصيبت بحمى التعدي والاعتداء فراحت كل الأسماء تحمل ضدها.. وحتى الأفعال.

بين عرب.. وأعراب

وعرض.. وإعراض

ومستوطن حل أمتعته على الثرى... فأحل له المنطق الدولي احتلالنا وإحلالنا.. وتحليل هويتنا.. بماء النار

ثمة وطن أعرابي معتل بالضاد.. وطن مضاد للأمل.. ومصاب بالأضداد

ومازالت تستعر النار في الجسد المصلوب على دفتي التاريخ.. من أوقد هذي النيران منذ زمن هو ذاك الأسخريوطي الناقم على اليسوع الفلسطيني.. تقنع بالإسفلت وبالفولاذ وتهادى رويداً رويداً في خطوته يتكئ على رقاع أتقن حرفتها وتحريفها واحتراف تيهها المزعوم... بين رمال الأرض وسرابها الموهوم... من علاه فوق تراب الأرض... من أعطاه هذا الوهم... حمل لغة الأعراب وطلاسم الأحبار ثم جاب الصخر بالواد... ونقش سفراً من وهم... أوهمهم أنهم شعب الله المختار... فأصبحنا شعب الله المحتار مذ دخلت حروف التعدي والمعتدي... إلى أزقة تاريخنا والكتاب

راحت النار تبتلع التاريخ أثراً تلو أثر...وشاهداً إثر شاهد أينما وطأ لهيبها... أحالته إلى رماد.. (ثمة معضلة أن تلتهم النار التاريخ...)

من يخسر تاريخه... يخسر الجغرافية.. وما بينهما من سحاب..... أترانا نحرق تاريخنا بأيدينا وأيادي المحتلين

على شاشة التلفاز بث حي ومباشر... لحريق يضرم في مدينة بلغت ضرباً عميقاً في التاريخ يقدر بخمسة آلاف عام قبل الميلاد على يد وهم عمره سبعة وسبعون عاماً وقبائل مأجورة

تصب النفط على النيران..!!!!

ألا يوجد في محاريبها قطرة ماء.. لكربلاء العصر ..

ونبي صاح الليلة ملء السماء..

في المدينة حي يسمى صبرا.. يتربع جنوب التاريخ الذي يشهد محرقة حية... صبرا شاهدة وشهيدة على المأساة المتسعة منذ حاك المحتل خيوط اللعبة.. وأصدر أمر اعتقال بحق الفكرة فوأد الحرف المقاوم.. وصادر الحبر السري. ولفق للعالم كذب الدولة المفتعلة... صبرا في غزة اليوم جريحة تعيد ذاكرة الدم النازف على إسفلت المخيم هناك شمال الفردوس العائم على جذر يبوس... وساق النكبة

تبكي غزة في صبرا ونبكي مجزرة تلو الأخرى.. وذاكرة تولد دماً.. ورصاصاً.. بين مخيم صبرا وغزة برزخ من الذاكرة الملتهبة يبلغ ثلاثمئة كيلو متر من الدم المسفوك على طول الطريق الواصلة... يلزمك نظرياً ساعات بالحافلة وبضعة أيام سيراً على الأقدام. لكن في معادلات النكبة يلزمنا مثلث رأسه في بيروت وقاعدته في غزة ونضرب وتد الأرض بعمقها.. نصل إلى ناتج مفاده أن الطريق الواصل بينهما يوازي الطريق من مسقط إلى طنجة... ومساحة للجغرافية المتآكلة... وتاريخ يتهالك... لن يعلو ارتفاعه إلا بالمقاومة

غزة تاريخ يتساءل عن شكل السفك القادم.. ولون المقصلة التالية.. ورائحة الجسد المتفسخ في الأرض العارية إلا من يدين إحداها تخيط الصبر دعاء... وتتاجي الله بترتيلة عشق كنعانية..

وصلاة استسقاء للفرح القادم.. أتراه يأتي حقاً!!

ويد أخرى تراكم الرماد التاريخي فوق أصابعها وابيضت من رمل المجزرة.. تفرك إصبعاً بالآخر تولد دفئاً باطن... تتزايد دورة الإصبعين فيمتد من الخنصر للسبابة.. وتزيد حرارة الدم في اليد المدفونة.. يواصل فعل الضغط بين الأرض واليد... هناك لوحظ وهج من عمق الرماد يضيء... تستعر النار في الجسد البارد... يولد من رحم الرماد طائر.. يحفظ للتاريخ وصاياه.. يربت على كتف الأرض الموجوعة... فتحمر وجنتاها ويطيب ثراها... وتقبل ثغر حبيبها.. وهي تعد له وسادة من جذر ورصاص.. وتقرأ عليه نصاً لدليلة...ودلال...وسناء

وسطراً من تاريخ بقاء... أنت الأرض الثكلى بالتاريخ.. أنت الجغرافيا.. وأنت السحاب.. هذي وصية جدك الأول من يبوس... إلى إيلياء... وتلك حمامات تحمل أرواحاً تحوم على المجزرة.. لا وقت للحزن.. لا وقت للرثاء...انهض...وقاتل

قبَسات من تاريخ المسرح الفلسطيني

إعداد: جوان جان كاتب ومسرحي من سورية

يُجمِع المهتمون بالحركة المسرحية الفلسطينية والمتابعون لها على أن نشاطها في الأراضي المحتلة بين العامين 1948 و1967 كان محدوداً ونادراً وأن العام 1967 شكّل بدايةَ انطلاقةٍ حقيقية للمسرح الفلسطينيّ عندما شعر بعضُ هواة المسرح في الضفة الغربية والقدس أن واجبهم الوطني تجاه وقوع أراضيهم تحت الاحتلال يحتم عليهم توظيف المسرح في خدمةِ قضيتهم الوجودية، فظهرت أعمال مسرحية كتبها شعراءُ الثورة الفلسطينية،

ويذكر الفنان الأردني زهير حسن المؤرخ للحركة المسرحية الفلسطينية أن فرقة بلالين المقدسية كانت من أولى الفرق المسرحية التي ظهرت في مدينة القدس عقب نكسة 1967 وبالتحديد في العام 1970 وقد اعتمدت في عروضها على إحياءِ التراث الفلسطينيّ والتركيز على علاقة الإنسان بالأرض بالاعتماد على عناصر الرقصِ الشعبيّ والغناء والحكايات التراثية، وقدمت الفرقة حينذاك عدداً من العروض المسرحية في مدن الضفة الغربية وقراها وأثبتت وجودها من خلال تقديمها لأعمال مسرحية لا يخفى على مُشاهدها حجم الإسقاطات ذات الطابع الوطني التي كانت تحفل بها الأمر الذي دعا الاحتلال الصهيوني إلى استشعار الخطر من هذه العروض فقام بمنع عرض عدد منها فارضاً الحصار على الفنانين المشاركين في هذه الأعمال كالفنان مصطفى الكرد الذي اعتقلته سلطات الاحتلال وقامت بطرده من فلسطين، فضلاً عن إيقافها لنشاط فرقة بلالين في العام 1975 ومن أهم العروض المسرحية التي تركت تأثيراً قوياً على جمهور تلك الفترة مسرحية بعنوان «العتمة» وأخرى بعنوان «لما انجنينا» ولم تعتمد هاتان المسرحيتان وسواهما من الأعمال المسرحية على نصوص موضوعة

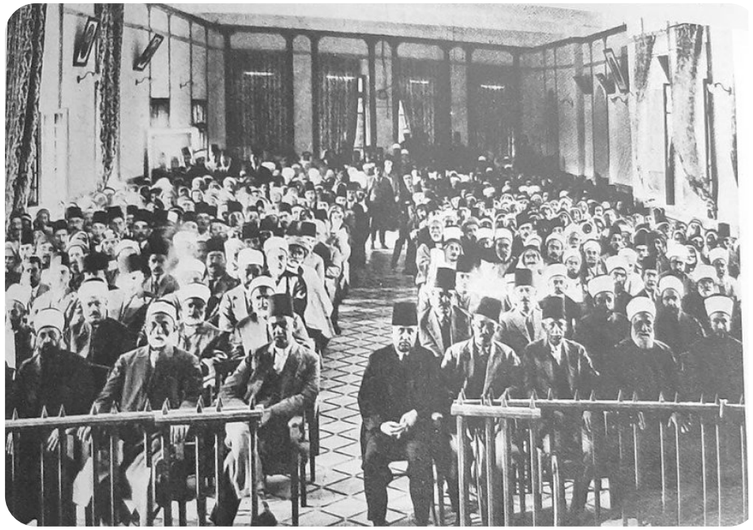

ومُنجَزة بل على أفكار متناثرة تقوم مجموعة العمل على تجميعها وتطويرها بحيث تتحول إلى عرضٍ مسرحي متكامل، ومما لا شك فيه أن المسرح الفلسطيني في الفترة التي تلتْ حرب 1967 قد ساهم في تشكيل الوعي الوطني الفلسطينيّ وبلورة شكل من أشكال النضال الثقافي والفني ضد الاحتلال، خاصة مع ولادة فرق مسرحية متعددة مثل فرقة المسرح الشعبي وفرقة المسرح الحديث وفرقة المسرح الحيّ، ويذكر الكاتب الفلسطيني عبد الرحمن شلش أن هذه الفرق كانت تقدم النصوصَ المسرحية المترجمة عن لغات أجنبية والنصوص العربية التي تقدم نقداً اجتماعياً أو ذات المضمون التاريخي القابل للإسقاطِ على الواقع، وكانت هذه الفرق تقدم عروضها في الشوارع والساحات والحدائقِ والمقاهي، وجهدت هذه الفرق لتقديم عروضٍ تحمل مضامين معبّرة عن المشاكل التي يعاني منها الإنسانُ الفلسطيني .

هذا النشاط المسرحي المتميز شجع الكتّابَ الفلسطينيين على خوضِ غمار الكتابة للمسرح بعد أن وجدوا فيه ملاذاً مقبولاً وقادراً على الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور، ومن هؤلاء الكتّاب برز اسم الشاعر سميح القاسم الذي كتب مسرحية شعرية بعنوان «قرقاش» تحدث فيها عن أحد الحكام الأفذاذ على صعيد القيادة العسكرية لكنه فاشل في بناء علاقة جيدة مع شعبه، وقد كتبها القاسم عام 1969 وهو قابع في أحد سجون الاحتلال في مدينة حيفا، واستطاع تهريبَها من السجن، ويفتتح سميح القاسم مسرحيته ممهداً الطريق أمام القارئ أو المُشاهد للتفاعل مع أحداثها قائلاً :

«في كلّ زمان.. في كلّ مكان.. يأتي في صورةِ إنسان.. يأتي فيجيء الموت.. ويظلّ يدوي الصوت.. في كل زمان عاش.. في كل مكان عاش» .

وساهم الشاعر توفيق فياض في هذا الحراك المسرحي من خلال مسرحيتِه «بيت الجنون» وقد عبّر فيها عن التصاق الإنسانِ الفلسطيني بأرضه من خلال شخصية مدرّس لمادة التاريخ متمسك بأرضه.. يقول مدرّس التاريخ معبّراً عن موقفه في أحد مَشاهد المسرحية مخاطباً الاحتلال :

«ألا تزالون هنا؟! ماذا تفعلون هنا بحقّ الشيطان؟! ظننتم أني سأترك هذا البيت لكم؟ إنكم تحتلّون بيتي.. تسرقون حريتي دون أن يردعكم قانون عن ذلك» .

ومن المسرحيات التي ظهرت أيضاً في الأرض المحتلة مسرحية «الطبيب سيحضر من الشارع الخلفي» لكاتبها سليمان عبد المنعم وهي ذات مضمون وطنيّ وتقوم على فكرة التضحيةِ والفداء، حيث يضحي بطل المسرحية بنفسه من أجل إنقاذِ زوجته وابنه .

في المقابل وخارج الأراضي المحتلة كان

قصة قصيرة

فُنّ

راسم عبدالقادر الحديثي - أديب وروائي من العراق

هناك فنانون مسرحيون فلسطينيون يعيشون في دول الجوارِ الفلسطيني، وتحديداً في سوريا ممن كانت لهم نشاطات مسرحية رائدة شكّلت نواةَ المسرح الفلسطيني خارج الأرض المحتلة، فقد قام فنانون مسرحيون فلسطينيون هواة يقيمون على الأراضي السورية في أواخر ستينيات القرن الماضي بتأسيس فرقة مسرحية قدمت عرضين مسرحيين في سوريا هما «شعب لن يموت» و«الطريق» ثم انطلقت بهما الفرقة إلى الفضاء العربي حيث لقيا الترحيب في أكثر من بلد عربي تم تقديمهما فيه وهو الأمر الذي أكد نقاء الشعور القومي عند المواطنين العرب في كلّ مكان، خاصة وأن العملين المذكورين قدما القضية الفلسطينية بكافةِ إرهاصاتها وملابساتها ومفاعيلها على الساحتين الفلسطينية والعربية.. وبناء على نجاح عروضِ الفرقة سورياً ومن ثم عربياً فقد انضم إليها عدد من الفنانين الأكاديميين الفلسطينيين والعرب كخليل طافش وحسن عويتي وحسين الأسمر ونائلة الأطرش، وبعد انضمام هؤلاء وغيرهم إلى الفرقة اتخذت لنفسها تسمية المسرح الوطني الفلسطيني وكانت أول الأعمال المسرحية التي قُدّمت بعد الولادة الثانية لهذه الفرقة مسرحية «محاكمة الرجل الذي لم يحارب» للكاتب السوري ممدوح عدوان إخراج حسن عويتي وقد عُرِضت في دمشق وتونس والجزائر، تلتْها مسرحية «الكرسي» للكاتب الفلسطيني معين بسيسو إخراج خليل طافش وتم تقديمها في ليبيا والمغرب، ثم أخرج للفرقة حسين الأسمر مسرحية «حلم فلسطيني» للكاتب الفلسطيني رشاد أبو شاور وتم تقديمها في دمشق، لتأتي بعدها مسرحية «مؤسسة الجنون الوطنية» تأليف الكاتب الفلسطيني سميح القاسم إخراج فواز الساجر وقُدمت في دمشق، وكانت تلك المسرحية خاتمة نشاطات فرقة المسرح الوطني الفلسطيني التي أغنت الساحة المسرحية السورية والعربية لمدة زادتْ عن الثماني سنوات .

وفي الفترةِ التي ظهرت فيها أعمال فرقة المسرح الوطني الفلسطيني في دمشق ومنها انطلقت إلى أرجاء الوطن العربي ظهرت محاولات موازية وإن كانت أقل تأثيراً وأهمية في لبنان والأردن ومصر والكويت ولم تستمر هذه المحاولات طويلاً بسببِ عدم وجود تمويل كافٍ لها واقتصرت عروضها على المناسباتِ الوطنية .

وفي اللقاء الأول الذي سبق اللقاء الخاص...

استبقتُ موعدَ اللقاء بأكثر من ساعةٍ كي أتجنب معوقات الشوارع واختناقاتها...

الشمسُ ساطعةٌ والأجواء ساخنة، الساعة الحادية عشرة. وسط إلحاحي على سائق التاكسي المسن كي يضغط على دواسة البنزين، سيارته عتيقة خالية من منظومة التكييف، وعدني سيصل في الموعد الذي أوده، أقنعني بتلك الابتسامة الطرية وحكاياته عن عالم بغداد اليوم.

بيني وبين عرابّة الموضوع هو الهاتف كي تدلّني على مكان لقائنا، وصلت في الموعد فوجدتها تنتظرني على حافة الشارع، ارتقينا سلم الكازينو المطل على شارع الضباط في منطقة الأعظمية، اخترنا معًا المكان المناسب لجلوسنا في انتظار وصولها التي هي غاية هذا اللقاء المفاجئ والتاريخي! قد يعيد دوران نواعير تاريخي إلى حالتها الطبيعية.. هل سيصح ذلك؟

وجدتها جلسة قبول وارتياح وكأن الليلة هي ليلة عرسنا، أدهشني ذاك الود والانسجام، صنعته هي بروحها الشفافة العذبة، كنتُ أحلمُ وأطير قاصدًا قرص الشمس، كم حلمتُ بهذا اللقاء! اليوم أينعتْ فحانَ قطافها، ارتعشتْ كل مشاعري حتى تناغمت يدي معها فتعذر عليَّ ارتشاف القهوة بهدوء.

هكذا خرجنا متفقين على الصغيرة والكبيرة ونحن نستظل بمظلة عرّابة الموضوع وراعيته.. لم لا وهي قادرةٌ أن ترتقي بنا إلى السماء، هكذا رأيتها. لم لا!!..

ألسن هنَّ من أنزلن آدمَ من السماء صاغراً..

ألسن هنَّ من أغوين يوسف لولا أن رأى برهان ربه.

هل غاية هذا اللقاء بحجم هذه وتلك؟

لكني رغم تجاربي في هذه الدنيا وقراءاتي وكتبي، نسيت أن أصدقَ قاعدةً في الحياة : - لكلِ قاعدةٍ شواذ -

« بيد أنهما استسلمتا من دون أية ممانعة لمن أصرَّ على إفشال هذا اللقاء!»

صدق القول الموروثي: «الدنيا حظوظ.. الدنيا حظوظ «

فضاءات سورية في (سيرة ذاتية لكحولي واضح) لباسم الصباغ

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

تتمتع نصوص السيرة الذاتية بطبيعة فنية حتى وإن طالبناها بموضوعية المؤرخ وحياديته، فهي تتعامل مع متغير شديد التحول يستعصي على التحديد والتأطير، وهو الإنسان، الذي يتعسر علينا التنبؤ بأفعاله التي ينشئها، أو ردود الأفعال التي يصدرها تجاه الأشياء والأحداث، ولأن جزءاً كبيراً من الصدق والخيال مرتهن بأشياء لا يمكن قياسها.

فمن يتحدث عن نفسه يمتلك حقيقة ما يتحدث عنه، ومن يمتلك الحقيقة يصبح أقدر على تسجيلها وعرضها ممن لا يملكها، فكانت السيرة أكثر إلماماً بدقائق حياته، وأشد إحساساً بنبضات قلبه، وبدوافع حركاته ونوازع تفكيره ومواقفه من العالم المحيط به، وهو دون غيره أكثر وعياً بتطورها من ناحية ووحدتها من ناحية ثانية، أليس هو ذاته المؤلف والبطل والممثل في وقت واحد لمسرحية الحياة؟

ومن روايات السيرة الذاتية الصادرة في دمشق عن دار كنعان هذا العام «سيرة ذاتية لكحولي واضح» للفنان التشكيلي والروائي باسم صباغ.

فضاءات دمشقية:

تبدأ الفضاءات الدمشقية في الرواية من بيت نورس في حي ساروجا الدمشقي العتيق، الذي كان يقطنه أيام الاحتلال العثماني ضباط من جيش هذا الاحتلال على أنه الحي الدمشقي الجديد والأرقى، لكن في القرن الحادي والعشرين نجده «في شارع مائل كان نورس يقطن غرفة صغيرة في بناء قديم يئن من الرطوبة، في قلب ساروجا. تطل شبابيكها على حائط متداع، مغطى بأوراق الشجر اليابس والذكريات المبتلة».

ومن بيته في ساروجا إلى خان أسعد باشا في دمشق القديمة لنجد نورس أمام لوحته التي أصبحت غلاف لرواية «التيه»، موقعة في العام باسم «ب. صباغ،1967».

والمكان الدمشقي الذي سوف يتكرر كثيراً في الرواية مع اسم صاحبه هو «خمارة أبو جورج» الكائنة في الشارع الطويل، قرب باب شرقي، وأبو جورج يصبح شخصية روائية «في زاوية نصف معتمة من خمارة أبو جورج، جلس نورس، لا يرسم، بل يستدعي، كما يقول لمن يسأله عما يفعله بالألوان».

تغرق شخصيات الرواية ما بين الخمارة وشارع باب شرقي كمكان يحمل دلالة التداخل مع ذوات الشخصيات الروائية في تعبير يجسد حالات الشخصيات الروائية، وفي الوضعية القائمة في دمشق من زاوية التميز في القول «ليل ثقيل في الشام. تمر السيارات بلا رغبة، وينكمش الناس في معاطفهم كأنهم يهربون من ذاكرة الجو».

وتتجلى العلاقات المعقدة للعديد من شخصيات الرواية، فهذه ميرنا تحاول مسح الصور من هاتفها بعد تلك الليلة في بساتين الرازي، لكن هاتفها لا يتخلى عن هذه الصور بعنوان ذاكرة مؤقتة وتستكمل صور سرد حكايتها عبر صورة شارع مهجور في المزة، لصورة ثانية، مرآة داخل مقهى مهجور في باب شرقي.

ويعيد الروائي باسم صباغ توظيف المكان في الفضاء الدمشقي من خلال «بيت صغير في الشعلان، جدرانه تقرأ العابرين، تجلس ميرنا على الأرض، ظهرها للحائط، عينها على الدفتر المفتوح، حيث رأت نفسها، لكن ليست هي بل كما رآها أحدهم، كما رسمت قبل أن تعرف أنها يمكن أن ترى هكذا الاستخدام للا معقولية والمنطقية جزء رئيس من البناء الروائي الذي يعتمد عليه الكاتب من أجل قول ما لا يستطيع قوله في السرد المنطقي الحقيقي، فكاتب السيرة هو من يقدم ذاته بأسلوبه الخاص به بعيداً عن المحيط وما مرت به دمشق.

ويعمق الروائي المكان السوري في الاستخدام عبر شخصيتي هبة ونورس بالقول: «ليست مدينة واحدة، بل شظايا مدن، كما لو أن الزلزال بعد أن هز الزمان، نثر أحياءً من حلب فوق بساتين الشام، وحارة من حمص في جوف دير الزور».

فمن الفضاء الدمشقي إلى الفضاء السوري في تجاور مكاني يعيد تشكيل فضاءات الحرب السورية عبر أجزاء المدن المدمرة.

وتعود لوسيا إلى الفضاء الدمشقي من خلال نورس وذاكرته «رآها.. هي، تمشي في سوق الحميدية قلادة فضية، وجه غرب مألوف، لكن الظلال خلفها كانت أكثر حضوراً منها».

بينما نورس يعمق المكان دخل زقاقاً جانبياً قرب كلية الفنون الجميلة، يبحث عن عنوان لم يكن متأكداً من وجوده، الطابق الأول، الباب الخشبي، وعليه لوحة صغيرة مكتوب عليها «دار كنعان للطباعة والنشر»، دفع الباب ودخل إلى غابة من الكتب والورق والغبار العطر».

وهذا فضاء دمشقي لا يتوقف عند حدود المكان، وإنما يتجاوزه نحو حدود فضاءات الكتاب الدمشقي في مرحلة تاريخية محددة تتعلق بأشكال الحضور وتنوعه من المكان إلى توظيف عالم الكتب والطباعة كجزء من الحياة الدمشقية الثرية «خزان سري لذاكرة دمشق».

وتبقى نهاية الفضاءات الدمشقية عند باسم صباغ في الرواية «أغلق نورس اللابتوب، خرج من غرفته بساروجا باتجاه شارع الثورة، صعد إلى سطح بناء يلبغا، وقف على الحافة، فتح ذراعيه، رمى نفسه ليصطدم بالإسفلت».

في انتحار شخصية نورس من سطح بناء يلبغا الدمشقي في شارع الثورة بعد دلالي عميق أن الثورة السورية رغم امتدادها الزمني الذي يشابه إتمام بناء يلبغا الذي استمر عقوداً جاء لكي يساهم في انتحار إنسان، وليس بفائدة عميقة للإنسان السوري رغم الأسماء الكبيرة المستخدمة مثال (شارع الثورة) بعيداً عن الأسماء التقليدية (ساروجا، يلبغا).

الحرب:

فرضت الحرب السورية ذاتها على كل إنسان يعيش في سوريا بغض النظر عن أسبابها ودوافعها، إلا أن جاءت كأمر واقع جديد زمن خرج من يد السوريين جميعاً ودخل في زمن الحفاظ على حكم البلاد بقوة العسكر والبوط العسكري «صوت يشبه الماء، لكنه يحترق! ثم تأتي صورة، ثم لا شيء، رائحة حذاء عسكري محترق». ويتوسع الصباغ في رسم ملامح الحرب «البيت الذي قصف، ثم عاد في المنام.

- أمي.. ليش رأسك بلا وجه؟

- لأني ما كنت هون لما نزل الصاروخ.

-بس كنتي هون.

- كنت جسد بدون توقيت».

وأثناء الحرب تنشأ علاقة بين الإنسان والأدوات المدمرة المستخدمة لقتل الحياة وحرقها» كانت الحارة كلها تطلع تركض لما تجي الطيارة. بس أنا ركضت لجوا. مش لبرا. كنت بدي شوف كيف يموت الوقت»، ويرسم الروائي لحظات القصف حين يقول «- قلتلك لا ترجع عالبيت، نورس، القذائف بتتذكر الوجوه.

-ما كنت متذكر وجهي، كنت بدي رجعو.

-بس وجهك ضاع تحت الركام».

وتظهر السخرية في اللا معقول عبر أسئلة تطرحها الشخصية في شروط الحرب «- وهل عدت من القصف؟

-لم أعد، بقيت هناك، فقط رجع عقلي. يسألني شخص لا فم له، فقط نظرات تحضر».

ويستمر اللا معقول في الرواية «خديجة شو عم تعملي تحت الركام؟ فكي ضفيرتك، إيديك مشبوكتين بالطين. تتحول الخمارة تبتل الجدران، تمتلئ الكؤوس بالتراب، ويصير الضوء أصفر باهتاً، كأنه خارج من مصباح مهجر»، و»لينا كان بدها تصير عازفة بيانو، بس أصابعها راحوا مع أول قذيفة».

ويوظف الشعر في الحرب من خلال قصيدة الخراب يلقيها لقمان ويمزجها بضحك عال، كأن الحزن بحاجة إلى سخرية كي يهضم «هالحرب، يا جماعة، ما قتلتنا، نحنا يلي قتلناها بعد ما زهقنا منها».

ويبني الروائي عالماً موازياً للحرب حين يقول: «صار الرصاص، حين يطلق، يفتت إلى رماد لا يؤذي، لأن الجدار الأخير انهار، واللوحة انفتحت، والسجين رسم العالم كما أراد أن يكون مجرد غرفة بلا أقفال، وضوء لا يطارد».

تنوعت عوالم الحرب ما بين البلاد إلى المناطق والحارات حيث فقط الناس بيوتهم ومناطقهم وأحباؤهم، لكن النقائض لا تظهر الحسن في عالم الحرب، وإنما تظهر الخراب والسخرية من الواقع والوقائع «فقط رجع عقلي» وصولاً إلى التراجيكوميدي» لينا كان بدها تصير عازفة بيانو، بس أصابعها راحوا في أول قذيفة «و «كأن الحزن بحاجة إلى سخرية كي يهضم».

الذات المتشظية:

لا تسير رواية «سيرة ذاتية لكحولي واضح» لباسم الصباغ وفق السيرة الذاتية الخطية، التعاقبية، المنظمة حول التطور الزمني لمراحل حياة الراوي (نورس) الشخصية الأساسية، بل تذهب إلى تشظي قول الذات وكتابة الذات المتفجرة في أساليب متنوعة ومختلفة في الكتابة والقول، إذ يتجلى أحد الأصوات،» ذلك الهمس النسائي ذاته: «هل مازلت تذكرني، يا نورس؟ لقد رسمتني ولم تسمني»، فهذه بداية الأصوات النسائية في الرواية، بينما تقبل «أزورا من الفراغ، فيهتز العالم، وتتكسر المرايا التي لا تعكس شيئاً، وشتات الغيم الذي نسي أن يهطل».

ويظهر تعدد الأصوات من «لونا» إلى «أنا صوفي.. كنت تنويني في لوحة الأم المعلقة، لم تكمل عيني، وأنا أمجد عازف الكمان الذي رسمته ذات مساء، ثم محوته كي ترسم كأساً بدله».

فالتشظي في الرواية يتجلى في مسارين، الأول: له علاقة في فضاءات المكان وتعدده، إذ نجده في الفضاءات الدمشقية المتعددة والمتنوعة، وتزداد حضوراً وتتوسع إلى الفضاءات السورية عموماً من خلال المدن والبلدات السورية مثل «دير الزور، حمص، حلب، السلمية.. إلخ»، بينما الفضاءات الدمشقية كان عنوان فقرة.

المسار الثاني: في حضور الشخصيات المتعددة والمتنوعة والمتشظية مثل «أزورا، أبو جورج، نورس، لوسيا، عزة، إيلي، إيهم، يارا، (لمى، فريدة الطير)، هبة، زياد، لجين، ندى، ميرنا وخليل درويش، لقمان، عبد المنعم، حكيم».

وتلعب الصورة دوراً كبيراً في الرواية خصيصاً في حضور خليل درويش «لم يتحرك خليل، كان يحمل حقيبة صغيرة، يخرج منها أصوات أطفال يضحكون، ثم يختفون:

- صورتن؟

- أي.. بس ما طلعوا بالصورة. الكاميرا خجلت! هن بيبقوا بس بالنيغاتيف».

وفي مكان آخر، على السطح، ينهض نورس فجأة، بيده صورة محروقة لا تظهر فيها ملامح، فقط ظل طفل يركض. من بعيد، ويتنوع حضور الصورة من جملة «الصبار لا يصور، لكنه لا ينسى».

إلى «الصورة لا تشرح، الصورة لا تتحرك، لكن الزمن داخلها ليس ميتاً.. بل معلقاً»، وأيضاً «الصورة تصور المصور. في لحظة التجميد، تتسع عينا الصبي، يرى الكاميرا، يرانا، ويبتسم».

بينما تعيد الصورة الذاكرة، «كجهاز استرجاع مكسور، لا كما كانت، بل كما أرادت الحرب أن تمحى، الصورة لا تشرح، لكنها تفضح، لا توثق، بل تخرق الزمن، تسمح لمن اندفن أن يطل من جديد، ولو في هيئة ظل أو ارتباك».

فالصور لدى صباغ تشكل حضوراً إعلامياً يطلق فضاء الرواية من الذاتي إلى الآخر، عبر تشظٍ لا محدود مفتوح على فضاءات وعوالم متعددة منها (مكاني، وما هو إنساني متنوع، وفني) يعيد تشكيل الذاكرة الذاتية وفق انتقائيتها لتعيد الذات وبوحها في أشكال متعددة.

وزمن التشظي مفتوح غير مغلق على فترة زمنية بذاتها ممتد، لكن نجد بعض التحديدات الزمنية مثل زمن توقيع لوحة غلاف رواية التيه (1867)، وهل هذا التاريخ جاء عفو الخاطر، هزيمة العام (67) في القرن العشرين، وكذلك زمن ذهاب نورس إلى دار كنعان في شتاء العام 2006، وكذلك «الساعة في ساحة المدينة تشير إلى العام1994، بينما الراديو في الخمارة يبث خبراً من العام2013.

أخيراً رواية (سيرة ذاتية لكحولي واضح) لباسم صباغ غنية متنوعة ترصد واقعاً سورياً في زمان متعدد متربصة لحياة السوريين عبر الشخصيات المختارة بعناية التي عاشت زمن الحرب والتفتت السوري، وانتهاك الحياة في كل أبعادها، ووضعها في لوحة معلقة على جدار أو في صورة من صور الذاكرة، وهي تستحق القراءة والكتابة أكثر من مرة.

في ذكرى رحيله الأولى
رشاد أبو شاور
لم يسكت عن الخطأ.. وانتقد كل المشاريع المشبوهة

أمينة عباس صحفية سورية

رحل رشاد أبو شاور الأديب والمقاتل والكاتب والسياسي والمثقف الثوري في 28 أيلول، وظل القلم يلازمه حتى رحيله يكتب عن فقده لفلسطين تاركاً وراءه سجلاً إبداعياً من المواقف والنضال والقصص والمقالات والمسرحيات والروايات التي نهلت من محور المقاومة والهموم الفلسطينية منذ النكبة عام 1948 التي وإن أجبرته على الابتعاد عن فلسطين إلا أنها بقيت في روحه، يستعين بالكتابة عنها ليعود إليها مسطراً ما حدث من اغتصاب لوطنه وتشريد لأهله واحتلال لأرضه، مستعيداً في روايته الأخيرة «وداعاً يا زكرين» التي أصدرتها وزارة الثقافة السورية العام الماضي حكاية قريته زكرين التي أُجبر على تركها تحت تهديد العصابات الصهيونية وارتكابها مجزرة فيها أدت إلى استشهاد نحو 13 من أفرادها بعد معركة ضارية مع العدو الصهيوني.

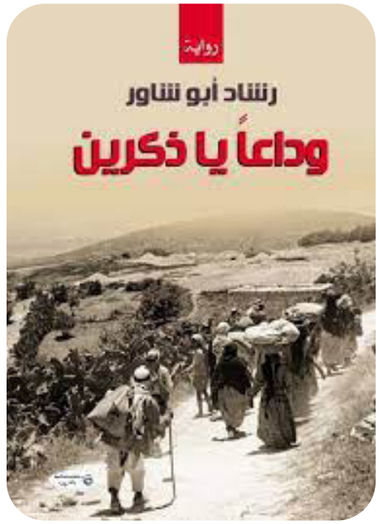

يقول الروائي د. حسن حميد: «كان رشاد أبو شاور في هذه الرواية لسان حال أهالي قرية زكرين وصوتهم مثلما هو صوت الفلسطينيين عامة.. صوَّر أفعال الصهاينة وكان الراوي لتاريخ الفلسطينيين البطولي والجغرافي الذي يعرف حدود القرية وأسيجتها، والسوسيولوجي الذي يتحدث عن ثقافة الناس وروزنامة الحياة الزراعية التي يعملون وفق تواريخها، فهو الطفل الذي عاش سنواته الست الأولى فيها، فحفظ الأمكنة والدروب والحقول والينابيع والأشجار».

رواية واحدة طويلة

أصدر رشاد أبو شاور قبل روايته الأخيرة «وداعاً زكرين» عدة روايات : «أيام بين الحب والموت-البكاء على صدر الحبيب-العشّاق-الربّ لم يسترح في اليوم السابع-ترويض النسر» وكانت رواياته الأربع الأولى حسب النقاد «رواية واحدة طويلة، تحكي رحلة النضال والتغريب الفلسطيني، فقد تناول في رواية «العشاق» الإرهاصات الأولى للمقاومة مذ كانت عملاً عفوياً إلى أن أصبحت عملاً منظماً، وأكملت الدرب رواية «البكاء على صدر الحبيب» التي صوَّرت حالة الاغتراب التي عاناها المقاتلون بعد طردهم من الأردن عام 1970 في حين رافقت رواية «الرب لم يسترح في اليوم السابع» رحلة النفي الثالثة للمقاومين في خروجهم من بيروت إلى تونس عام 1982 وأرَّخت «شبابيك زينب» لانتفاضة الحجارة التي انطلقت في 8 كانون أوّل 1987 في حين سلّط الكاتب الضوء عام 1987 من خلال «ترويض النسر» على قضايا وهموم اجتماعية في دول العالم الثالث والوطن العربي وينحاز رشاد أبو شاور إلى روايته «العشاق» التي تم اختيارها كواحدة من ضمن أفضل مئة رواية عربية وقد قدم فيها صورة التشرد الفلسطيني منذ العام 1948 حتى مطلع السبعينيات، مبيناً فيها ما حلَّ بفلسطينيي المخيمات من مصائب وكوارث دون أن ينسى في صفحات كثيرة التأكيد على التاريخ العريق والقديم للفلسطينيين في أرض آبائهم وأجدادهم.

المرأة المقاتلة

يجمع النقاد على أن أكثر ما يـميّز أعمال أبو شاور الروائية إلى جانب كشفه عن معاناة المقاتلين وإحباطاتهم بعد الهزائم المتكررة «إبرازه لدور المرأة المقاتلة وغربتها في مجتمع ذكوري، وتركيزه على عروبة الثورة الفلسطينية، ففي كل مراحل النضال وعند كل مفاصل الخيبات كان هناك دائماً لبنانيون وسوريون وأردنيون وعراقيون ومصريون ويمنيون وغيرهم يشاركون ويدعمون ويؤازرون، كما ظلّت روايته حتى في أحلك الظروف متمسكة بأمل التحرير والعودة».

ذكرى الأيام الماضية

من خلال مجلة «الآداب» اللبنانية حضر أبو شاور في القصة الفلسطينية، فعلى صفحاتها نشر قصصه التي كان العمل الفدائي الموضوع الأساس فيها، وفي العام 1970 صدرت مجموعته القصصية الأولى «ذكرى الأيام الماضية» في بيروت وضمّت قصصاً كان قد نُشر أغلبها على صفحات المجلة.. يقول: «أطلقتني المجلة من خلال كتاباتي التي وُلدت مع بدايات زمن المقاومة، ومن معايشتي المباشرة بتحدّ للهزيمة والانكسار وبوعود الانتصار والتحرير، فعلى صفحاتها نشرتُ أولى قصصي واستمريت على فعل ذلك حتى رأت مجموعتي النور».. كما كتب أبو شاور جملة مقالات حول عملية الغزو الصهيوني لمدينة بيروت عام 1982 ضمّها في كتابه التوثيقي «آه يا بيروت» حيث وثّق فيه معارك الدفاع البطولي الذي خاضه المناضلون الفلسطينيون ومعهم القوى الوطنية اللبنانية عندما تعرضوا لتلك الحرب التي شنتها قوى التحالف اللبناني الرجعي مع جيش الاستيطان الصهيوني.

ملهمة الشعراء والأدباء

تنقّل رشاد أبو شاور بين أقطار عربية عديدة، ثم استقر في عمّان عام 1994 وكانت سورية إحدى المحطات الهامة في مسيرته.. يقول: «في العام 1957 كنت قد لحقتُ بوالدي الذي لجأ سياسياً إلى سورية بعدما غادر أريحا في فلسطين وأقمتُ معه في دمشق، وكنتُ في الخامسة عشرة، وقد أُتيح لي فيها أن أقرأ الكثير من الكتب وأتابع النشاطات الثقافية، ومنذ تلك الأيام تحددت وجهة حياتي حيث أصبحت الكتابة خياري، وحين غادرتُها لم تنقطع زياراتي لسورية، وأنا مؤمن أنها في مقدمة من يدافع عن العرب وحقوقهم في كل المجالات، لذلك تدفع الثمن غالياً، وهي رمز للعروبة والمقاومة والنضال، الأمر الذي عرَّضها للكثير من الاستهدافات من أصحاب الأطماع والأهداف الرامية إلى طمس الهوية العربية وتهشيم شخصيتها، وهي أيضاً بلد الأدب والثقافة بمختلف أجناسها وأشكالها الأدبية التي تميزت أغلبها بالنضال والمقاومة، وهي ملهمة الشعراء والأدباء، فكما أنا كاتب فلسطيني يكتب للأمة العربية يوجد كتّاب في سورية يكتبون في ذات الاتجاه، ونحن نسعى من خلال كتاباتنا وسلوكنا إلى المساهمة في نهوض هذه الأمة لتكون قادرة على المواجهة وإثبات الذات».. ويذكر من كان بقربه قبل رحيله أنه كان يقول وهو على فراش المرض: «سأنتصر على المرض وسآتي إلى دمشق لأوسع رئتي برائحة ياسمينها وأتسكع في الأحياء القديمة.»

جيل الكبار

يقول الكاتب والناقد د. يوسف حطيني عن رشاد أبو شاور: عاش أيام الحب والموت، مغمضاً عينيه مثل كل العشاق وهو يحلم بأرض العسل، بينما راحت قريته زكرين تردد: وداعاً يا رشاد، وينتمي أبو شاور إلى جيل الكبار الذين عاصروا انتصارات الإنسان العربي وانكساراته، وهو واحد من الأدباء المحاربين الذين أقاموا علاقة وثيقة بين الكلمة والبندقية، إذ اختار طريق الكفاح المعمّد بالخطر على طريق عبد الرحيم محمود وغسان كنفاني وناجي العلي وخالد أبو خالد، فسار على النهج ليكون نهجاً لمن بعده من خلال التزامه الوطني والقومي والإنساني الذي لا يخفى على أحد من قرّائه، وكان أبو شاور روائياً وقاصاً وصحفياً جرّب النزوح والنفي والقهر، لكنه لم يحنِ هامته ولم يسكت عن الخطأ، حيث انتقد كل المشاريع المشبوهة صحفياً وإبداعياً، ولم ينجُ من قلمه الجريء حتى الذين عمل معهم في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، ويستطيع كل قارئ لكتاباته أن يلمس ميله للبسطاء والمهمّشين والتزامه بقضاياهم، كما يستطيع أن يلتقط مشروعاً إبداعياً وتسجيلياً يغطّي تاريخ النضال الوطني الفلسطيني منذ وعد بلفور، مروراً بكل المراحل التي مرّ بها هذا النضال.. لقد قدم أديبنا الكبير لغة تنتمي إلى الكفاح وتدعو إلى الثورة وتحيي الأمل في النفوس من خلال إصراره في سردياته المختلفة على إعادة إحياء التراث الشعبي في الذاكرة لأنه كان واعياً ومدركاً أن الغاصب المحتلّ يخاف من الذاكرة أكثر مما يخاف من الجنود».

يُذكر أن رشاد أبو شاور من مواليد العام 1942 في قرية زكرين التابعة لمحافظة الخليل، وانتقل مع أسرته بعد نكبة الفلسطينيين في العام 1948 إلى مخيمات الشتات، وانخرط في صفوف المقاومة الفلسطينيّة، وتسلم عدّة مناصب في مؤسّسات منظّمة التحرير الفلسطينيّة أبرزها رئاسة اتّحاد الكتّاب والصحفيّين الفلسطينيين، وعمل نائباً لرئيس تحرير مجلّة «الكاتب الفلسطينيّ» الصادرة عن الاتّحاد، وارتحل إلى عواصم عربية عديدة، فعاش فترة في بغداد وبيروت ودمشق ليستقر بعدها في عمّان، وكتب للكبار والصغار، وفي رصيده عدة مجموعات قصصية وأعمال روائية ومسرحية ونقدية.

أفق لسردية مغايرة
نضال عبد العال
رواية اكتملت بالشهادة

أحمد علي هلال ناقد أدبي فلسطيني - سورية

كيف لنا أن نلتقط ذاكرة ذلك المتعدد، صاحب الرحلة والحكايات الملونة، أن نقف في دروبها الشاقة وأن نحتفظ ولوقت بعيد بما قاله فدائي الثقافة، ولعل هذا التركيب ما ينفك على أن يكون تورية دالة على الروائي والمناضل والشهيد نضال عبد العال، باستحقاق كل الأسماء المثقف المشتبك جسداً ووعياً وكلمة، وهو من أدرك أن الكلمة هي مكون في بنيان معماري عماده الوعي أولاً، ولتتدفق السرديات مجدولة الحكايات، وليصب مجراها في أذن التاريخ،

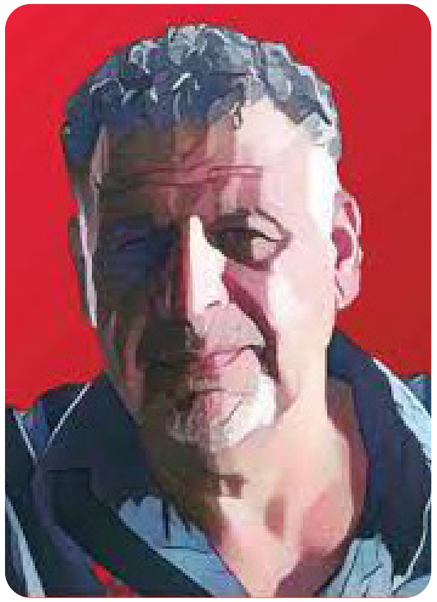

إذن ثمة علاقة جدلية بين الفدائي والكلمة، ذلك إرث مديد تلقفناه في رصدنا لسيرورة التاريخ الفلسطيني، وتعبيرات الهوية الفلسطينية، لكن نضالاً بجدارة الأسماء والأفعال، جهر بسردياته الأربع منذ (ازدحام، مسلة آدم المفقودة، سرد آخر، والسلك النحاسي)، ليضعنا أمام مدونة جمع أجزاءها بصبر وأناة، مدونة ترسم ظلال التراجيديا الفلسطينية، بل الملحمة الفلسطينية الكبرى، بحيوات شخوص من لحم ودم ومدن ومخيمات ومحكيات عن الإنسان وجدلية علاقته بالوطن، وكيف يصبح الإنسان ذاته هو الوطن، سنجد معادلاً لذلك -على الأقل- في روايته (السلك النحاسي)، ببحثه الدؤوب عن ما يتصادى في كينونة المرأة نظير الوطن، ورؤية في الحوامل الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، ناسه وحكاياته الآسرة وذاكرته الممتدة أقصى اللغة وبوح المتاح منها، ذلك أن دلالة السلك النحاسي سنجدها في تعبير الروائي (بوصفه الأضعف والأرفع في الدارة الكهربائية والذي سيتلقى الصعقة فينقطع، لتنفصل الدارة ولا تؤدي إلى احتراق الشبكة كلها)، ولعله يضيف سؤالاً شاقاً في سياق روايته عن إحدى بطلاته (نادرة): (لماذا ترضى أن تكون في هذه الوضعية إنها دائماً بانتظار صعقة كي تحترق وتتفحم... هل هو دور بطولة، تحترقين لكي تمنعي انفجاراً).

ولعل الروائي هنا في توريته الذكية يشي بمحمولات فكره، عن الحرية والتعدد ونجاة الأوطان، وعن البطولة في الأزمنة الرجيمة، ذلك المشغول بقضيته حدَّ التماهي، ليذهب في إثر تدوينها على النحو الذي يجهر فيه في غير رواية، عن التنقيب في ذاكرة الأجداد، (في طين أرضنا) بحثاً عن مسلة كنعانية مفقودة، وذلك ما يتصل بنزوعه الطليق لأن يكشف سرده أكثر، وليذهب في إثر الأساطير والمرويات والحكايات الشعبية، راوياً طليقاً عما يشكل الهوية ومم تتكون هذه الهوية التي تضارع الغزاة لتنجو كما ينجو متخيل نضال عبد العال، المجازي/ الواقعي، في سردياته المشتهاة ليعيد سردية القضية إلى أبجديتها الأولى، منذ التحم الفدائي بأرضه ومنذ أن التحم المثقف بحبره، وما بين مرايا الحبر/ الدم، يكتب نضال تلك الحكايات الشهية، واضعاً التاريخ والوعي بوصفهما مرايا لتأمل أبعاد تلك الرحلة السردية التي لونها بثراء المحكي الروائي وتعدد متونه، وليشعل أسئلة الما بعد في ذاكرة التلقي، حكايات مترعة بالدهشة والاكتشاف، وتعدد مرايا التأويل لذلك الزمن الفلسطيني، حينما يسرده الروائي بفطنة روحه سطراً كثيفاً ينضاف إلى السردية الفلسطينية الكبرى، التي تتعاضد فيها حقيقتان هما الوعي والاستشراف.

ذلك أن دالة هذه الحقائق التي يعيد الروائي بثها، هو وعي الروائي ذاته بالمصير وبالخلاص، وهذا ما يشكل معنى المعنى في روايات ليست عابرة، بل تتواتر ظلال دلالاتها في غير أزمنة من أجل أن يصبح التجاوز سمة تحيلنا إليها أكوانه الروائية، بكل ما انطوت عليه من فطنة الروائي الذي يولم للحكاية، لكنه يشتق منها ما يعني متلقيه بدءاً من عمارة الوجدان، وليس انتهاءً بالقدرة على تأسيس ما يتراكم من أفعال قادمة، إذن هي سردية مثقف يتخطى بوعي ناجز كل المتعاليات التي طاولت إنسانه وقضيته، وبهذا المعنى فإن ما يتبقى هو خطاب المعرفة المكينة، والذي يفتح في الآفاق متسعاً لحضورات كثيفة، للتاريخ الفلسطيني المعاصر وتأسيساً على ما سبقه من تواريخ مؤسسة، يصبح فيها الوطن أكثر من نشيد خلاص، ويصبح فيها للإنسان ذلك الدور الباعث على الأمل، ولعلنا في خريطة السردية الفلسطينية وبالمعنى التاريخي، سنتأمل ما أنجزه الروائي نضال عبد العال في تعضيده لتلك السياقات المتلاحمة في نسيج ثنائية الوطني/ الجمالي، إذ هما معاً من يتآزران في وحدة عضوية ليميزا صنيع الروائي الأقرب إلى مشروع تنكبه ومضى فيه ليرسم أفقاً مغايراً في الاستلهام والنزوع إلى مفهوم البطل، ليس المجرد وليس صاحب الفكرة الفلسفية، بقدر ما هو الضمير الجمعي لشعب مكافح محارب، وذلك لا يشكل ابتعاداً عما خطته السردية الفلسطينية الكبرى بل تأليفاً آخر لأجزاء مكوناتها البنيوية والتاريخية المشبعة بأسئلة الذات والوطن وجدلية العلاقة بينهما، وأكثر من ذلك لعلنا نعثر أيضاً في مضاء محكيه الروائي، على سؤال كينونة الروح الإنسانية، بل أسئلتها الخالدة المشبعة بزمنها الفلسطيني والعربي ما يحيلنا مجدداً إلى رؤية تراجيديا الصراع بمستوياته وطبقاته، إذ يقف نضال عبد العال روائياً على أرض المعرفة بوصفها (سيرورة لا بداية لها ولا نهاية)، تماماً كشأن روايته الأخيرة (السلك النحاسي)، التي شاء أن يؤولها قارئ افتراضي أو مثالي أو عام، وقوفاً على خصوصيتها وفرادتها الأسلوبية، وهذا ما يحيلنا أكثر إلى هويته الثقافية الواسعة المشتبكة مع التزامه الوطني، لينتج جسارة الكلمات ونبل المعنى، وليعيد تشكيل -هذا الوعي- تشكيلاً معرفياً حامله الرؤيا، كما جهر بها في روايته (مسلة آدم المفقودة)، في تجاوز صراع الهويات والصدام الذي يهشم ومعادله التمسك بالهوية الفلسطينية.

وما بين السؤال الوطني كما السؤال الجمالي، تتواتر محكيات رواياته لتشكل في منظور القراءة الفاحصة كوناً دلالياً، سيعني علاقة المثقف بمنتجه، وبمعنى آخر كيف تكون الكتابة شاهدة لشهيد محتمل، سيظل في ذاكرة الرواية الفلسطينية الراهنة، مشروعاً اكتمل بالشهادة، فهو الرواية السارد والمسرود عنه أبعد من متخيل وأقرب إلى حقيقة مكتفية في زمن استثنائي جدد مقولة المثقف المشتبك حدَّ التماهي، لتكتمل في أفق التاريخ صيرورة ناجزة لأولئك المثقفين المشتبكين المتوزعين على غير زمن مفتوح بالدلالة والإنجاز.

خبر

«نضال واستثناءاته»

صدر عن أكاديمية دار الثقافة ودار الفارابي في بيروت كتاب: «نضال واستثناءاته»

من مقدمة الكتاب:

أنت نضال حقًا؛ اخترت اسمك لنفسك، كنت صاحب القرار في تسميتك، تتخيل نفسك فدائيا منذ الصغر وتخترع لك طريق في حياة أخرى، تمردت على اسمك، لم يكن مجرد فعل طفولي بل كان بداية لفعل بطولي.

واقنعتنا ان لك وحدك الحق الحصري في القرار، في صياغته بالاسم والمعنى، منذ ان صار «نضال» الاسم الرسمي لحلم صغير ينمو ويكبر مع كل لعبة جديدة اسمها الحرب. الحرب علمتنا كيف نتحدث عنها أكثر من سائر البشر، الحرب تطاردنا، نحن غرباء وهي ليست غريبة وتعيش معنا، تدركنا قبل ان ندركها، تتوغل في ازقة مخيماتنا، تجوب بين الحارات، جزء من تاريخنا وكأحد افراد اسرتنا، نتداول قصصها عبر الأجيال، نتوارثها.

«من مقدمة «مروان عبد العال

بين داوود وداوود
حكاية عزٍّ ترويها البندقية

خليل خليل كاتب من فلسطين غزة

في تاريخ الشعوب لحظات تتحوّل فيها التضحيات إلى أسطورة وملحمة كبرى، تتجاوز حدود المكان والزمان، وتظل منقوشة في ذاكرة الناس الذين احتفوا بها، وتصبح ملكاً للوطن كلّه، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل. هكذا هي حكاية داوود خلف، الفدائي المطارد، رفيق درب جيفارا غزة ونائبه، الذي ارتقى شهيداً عام 1971، وحكاية زوجته الفدائية «عايشة خلف» التي لم تكن ظلاً للرجل، بل نداً له في المعركة، ورفيقة البندقية كما هي رفيقة العمر. والتي كانت من النماذج البارزة التي قدمتها الجبهة الشعبية للمرأة الفدائية، قاتلت، وطوردت، إلى أن اعتُقلت، ثم خرجت من السجن لتكمل الطريق وتُربّي أبناءها على ذات الدرب.

لم تكن أماً عادية، بل كانت مدرسة ثورية قائمة بذاتها، تحمل في قلبها صلابة المقاتلة ودفء الأمومة. أنجبت بعد استشهاد داوود داوود آخر، كأنها كانت تُعيد للثورة ما أخذته منها، لتقول أن وهج الدم قنديلة لا تنطفئ، وأن الطريق لا يتوقف عند جسدٍ غيّبته رصاصة، وأن الأفكار النبيلة لا تموت بموت أصحابها.

لم تكن هذه الحكاية مجرد نخوة وشهامة امتدت من جيل الآباء إلى جيل الأبناء، بل هي فكرة غُرست في أعماق الأرض وتعمّقت فيها كجذور أشجار الزيتون، فأزهرت فكراً يقاتل، صنعته امرأة بوعي، وجمعت بين زوجة الفدائي الشهيد، والمقاتلة العنيدة، وأم الفدائي الشهيد. داوود «الأمس» كان رفيق دربها وزوجها المقاتل، الذي عاش معها سنوات المطاردة والرصاص والاعتقال حتى ارتقى شهيداً. ثم شاءت الأقدار أن تواصل الحياة مسيرتها، فتتزوج من جديد، ويولد داوود الابن، ليحمل الراية من جديد، ويفتح صفحة جديدة مكتوبة بالحبر ذاته: حبر البطولة والتضحية والالتصاق بالوطن. حيث غرست الأم في قلبه نفس القيم والمبادئ التي عاشت بها ومعها. هكذا بدا وكأن دماء داوود «الأمس» امتزجت برسالتها، لتورّثها لابنها داوود «اليوم»، الذي شبّ على ذات النهج، مقاتلاً جسوراً حتى ارتقى شهيداً في ظروف تكاد تعكس سيرة الأول وبطولاته.

وُلد داوود خلف عام 1945 في مدينة يافا الساحرة، المدينة العريقة التي تُعانق البحر بأذرع من نور، وما كاد يكبر حتى تفتحت عيناه على جرح النكبة عام 1948. رأى بأمّ عينه قوافل اللاجئين تسير على طرقات التشريد، عرف مبكراً معنى المجازر التي ارتكبتها عصابات شتيرن والهاغانا والأرغون في القرى والمدن الفلسطينية. طفولته لم تكن طفولة عادية، بل كانت دفتراً مليئاً بالتشرد واللجوء، وتعجّ بمشاهد البيوت المهدمة والمفاتيح المعلقة فوق صدور اللاجئين. وحين وقعت نكسة 1967، لم يحتمل أن يبقى متفرّجاً، فحمل البندقية، والتحق بالثورة، ليحوّل مشاهد الطفولة الممزقة إلى عنفوان ومقاومة. ظل مطارداً، مُحاطاً بحشود الناس وقلوبهم، حتى استشهد عام 1971، وهو يقبض على سلاحه كما يقبض المؤمن على يقينه.

في الثاني والعشرين من أكتوبر 1971، وبعد أسبوعين فقط من ولادة أحمد، كان مخيم البريج على موعد مع ملحمة جديدة. وصل الفدائي المطارد داوود خلف إلى بيت أحد أصدقائه في المخيم متخفياً، وأرسل عبر سيدة من معارفه رسالة عاجلة إلى زوجته: «أنا بانتظارك أنت وأحمد». يبدو أن أحد العملاء نجح في رصده عند قدومه للمخيم، طارت العصفورة إلى مخابرات العدو المتأهبة لسماع مثل هذه الأخبار، وخلال دقائق ضجّت أزقة المخيم بالجنود، انتشروا على أسطح البيوت، وسيطروا على المفترقات، وأحكموا قبضتهم على المنافذ. خرجت أم أحمد مسرعة نحو المكان، وما إن اقتربت حتى رأت الجنود يفرضون منع التجوّل، فارتجف قلبها، الكمين نُصب لزوجها للتو. لم يَطل الوقت حتى خرج داوود من البيت، فأشارت له بقلق، لكنه أومأ إليها بالعودة. تجاهلت الإشارة وتابعت خطاه، الجيش ينتشر بكثافة في شوارع المخيم، والأسطح تطل منها البنادق.

كانت اللحظة أثقل من أن تُحتمل. ابتسم لها من بعيد وقال كلماته الأخيرة: «أمانة في رقبتك، لمّا يكبر أحمد يدخل الكلية الحربية». ثم اندلعت المعركة. الرصاص ينهال من كل صوب، وأزيز الطلقات يشق الفضاء كأنها سيمفونية وداع. صمد الفدائي وحيداً، يقاتل جيشاً بأكمله، حتى ارتقى شهيداً. تسربلت دماؤه في تراب المخيم لتروي الأرض العطشى، وتخلّد ذكرى الفدائي الشهيد.

جنّ جنون الزوجة، تبحث بين الدخان عن فارسها، لكن الجنود تكالبوا عليه، وحملوها إلى بيتٍ مجاور مهدّدين أصحابه بعدم إخراجها. في هذه الأثناء، كان رفيقه المطارد «سليمان العر» قد دخل المخيم برفقته، لكنه تركه ليستقر قليلاً بين زوجته وطفله. وما إن سمع بخبر استشهاد رفيق دربه حتى هبّ كالنسر الجارح، محلقاً بجناحيه فوق سماء المخيم، حمل بندقيته وتوجّه نحو الجنود المتحلّقين حول جسد رفيقه. أطلق رصاصاته كالسيل، يحتمي بجدار ويزأر كأُسد جريح، يسقط أمامه الجنود واحداً تلو الآخر. ارتفعت أصوات الأهالي تردد نشيد «فدائي»، فيما المعركة تحتدم من جديد. وفي النهاية، التحم الدم بالدم، والتحق سليمان برفيقه داوود في موكب الشهداء، بعد مواجهة أسطورية حوّلت المخيم إلى ساحة عزّ، قالت البندقية كلمتها: الغزاة لا يجابهون إلا بلغة الرصاص.

في تلك الفترة شنّت قوات العدو أشد حملات العنف والتصفية وحشية وبربرية ضد جماهير شعبنا، وضد ثورته الباسلة في ظل صمت مُذِل على جميع الجبهات العربية، مما وفر للعدو فرصة تاريخية للاستفراد بقطاع غزة والانقضاض على ثورته. استخدم المجرم أرئيل شارون سياسة الأرض المحروقة والمجازر والاعتقالات الجماعية والتهجير، بهدف تصفية العمل الفدائي في القطاع بعد أحداث أيلول الأسود 1970، وسميت هذه الحملة بـ «طنجرة الضغط»، التي تعني فيما تعنيه إحكام الطوق على سكان القطاع، وتضييق الخناق عليهم لرفع الراية البيضاء، واستمرت حتى نهاية عام 1972. حشد فيها شارون قوات من حرس الحدود التي قامت بأبشع عملية مطاردة وقتل لجماهيرنا وثوارنا في القطاع وارتكبت مجازر جماعية للسكان، وضاعفت من عمليات هدم منازلهم وترحيلهم ووضعهم في معسكرات اعتقال في سيناء لاستكمال مشروع تفريغ القطاع من جماهيره الباسلة التي التصقت بالثورة حتى الرمق الأخير، وتعتبر عملية «طنجرة الضغط» أكبر حملة إبادة قام بها العدو في ذلك الوقت بحق الأهالي في قطاع غزة لاقتلاع ثورتهم وإنهائها.

في عام 1987، ومع اندلاع الانتفاضة الشعبية الكبرى، وُلد داوود خلف «الابن». جاء إلى الدنيا على وقع الحجارة والهتافات، وكأن القدر يعيد كتابة السطر الأول من جديد. نشأ الطفل في ظل الشوارع الملتهبة، فكانت المظاهرات أغاني طفولته، وصور الشهداء والمعتقلين صفحات كتابه الأول. لم تحتَج أمه لكثير من الكلام، فقد زرعت فيه أن البندقية لا تسقط، وأن دم داوود خلف بدأ يزهر وعبقه أصبح أكثر حضوراً. كبر داوود الابن وتشكّل وعيه بين أهازيج الانتفاضة، حتى صار مقاتلاً مطارداً محاطاً بالجماهير، ثم استشهد في الظروف ذاتها، ليغلق الدائرة بدمه ويؤكد أن الحكاية ليست صدفة، بل قدر لشعبٍ يواصل النضال ضد الظلم حتى اقتلاع حرّيته واسترداد أرضه.

وفي مشهد يكاد يعيد ذاكرة التاريخ ولكن هذه المرة أكثر وحشية، برز المجرم «التلميذ النجيب» بنيامين نتنياهو بعد السابع من أكتوبر 2023، وقاد حرباً جديدة ضد غزة، وأشرف على آلة القتل التي فتحت أبواب الجحيم على سكان القطاع، فكانت الطائرات والمدافع والبوارج تُطبق على القطاع حصاراً وناراً، ارتكبت تحت غطائه أبشع المجازر الجماعية، وقُصفت البيوت فوق ساكنيها، والمستشفيات والمدارس والجامعات والجوامع والكنائس، في محاولة لاقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وكسر إرادته. محرقة نتنياهو لم تترك للإنسانية موطئ قدم، وكانت امتداداً لنهج صهيوني قديم يفاخر بالبطش والقتل، حرب إبادة شاملة رآها العالم بأسره وبقي يتفرّج في صمت وعجز.

الموت الذي خطف داوود خلف في أتون «طنجرة الضغط» لم يكتفِ، بل عاد بعد عقود طويلة ليطلّ بوجهه الأكثر توحشاً. ففي الرابع من سبتمبر 2025، ترجّل داوود «الابن» على خطى ذات الطريق، حين حاصرت مخبأه قوات خاصة مدججة بالسلاح، جاءت لتعتقله حيّاً، لكنه أبى أن يُساق ذليلاً، وواجههم برصاصه مُحولاً المكان إلى قلعة صمود ارتقى فيها شهيداً. رفض الاستسلام وخاض اشتباكه الأخير بشجاعة داوود ذاته. وكما عاش الأول مطارداً صلباً في وجه الطغيان، قاوم الثاني حتى الرمق الأخير، مؤمناً أنّ دماء الشهداء وقود الطريق وملح الأرض، وأنّ البندقية لا تسقط أبداً، بل تنهض في كل مرة فوق أكتاف الرجال. لقد استشهدا في ظروف تكاد تكون صورة طبق الأصل، وكأنّ القدر شاء أن يربط دمهما بجسر واحد من التضحية، يذكّر الأجيال بأنّ الحصار مهما اشتد، والمجازر مهما توحّشت، فإن جذوة الثورة لا تنطفئ.

ولم يكن الشبه بين داوود الأمس وداوود اليوم مجرد ملامح وجه أو قامة، بل كان تشابهاً في الفكر والقيم والمبادئ. فكلاهما نهل من مدرسة كفاحية عريقة، انتميا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ نعومة أظفارهما، والتحقا بجهازها المقاتل، إلى أن أصبحا قائدين مطاردين، عُرفا بنظافة اليد، وبإيثار يقدّم الآخرين على النفس، وبمحبة الناس، وبقوة الحضور والجسارة التي لا تعرف خوفاً. وإذا كان سرّ التشابه يُبحث في الجينات، فإن سره الحقيقي يكمن في الأم التي صانت العهد. فهي الزوجة المقاتلة، والأسيرة الصابرة، والأم المربية، التي لم تحفظ الرسالة فقط، بل أعادت إنتاجها في جيل جديد. ومن صلابتها ومن وهج روحها، شكّلت الجسر الذي عبرت منه ذات القيم لتستمر وتبقى.

هكذا تحوّلت هذه المآثر إلى ملحمة بطولية، «الزوج الشهيد، الأم المقاتلة، الابن الشهيد». ثلاثية تختصر كل معاني التضحية، فالمرأة هنا ليست خلفية للمشهد، بل منبع البطولة ومصنع الرجال، والدم الذي يسيل لا يجف، بل ينبت مقاومين آخرين. ومن البندقية الأولى التي رفعها داوود خلف «الزوج» عام 1967، إلى البندقية التي ورثها داوود خلف «الابن»، ظلّت الرسالة حيّة: لا تسقط البندقية، ولا تنكسر الإرادة، ما دامت هناك أمّ تصنع الرجال ووطن يستحق الحياة.

لم تكن يوماً مسيرة النضال مساراً صاعداً دائماً، ولا طريقاً مفروشاً بالانتصارات وحدها، بل هي نهج لا ينكسر، تتعاقب فيه لحظات العنفوان والانتصار مع محطات التراجع والانطفاء، غير أنّ بندقية الثائر لا تعرف الهزيمة، وإن توقفت يد عن حملها، التقطتها يد أخرى، فالفكرة التي آمنوا بها وسقوها بدمائهم لا تموت، بل تكبر وتتعاظم في الوعي الجمعي وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، كما تتوارث الأرض الطيبة بذورها. والثورات قد تخبو نارها حيناً، لكنها لا تنطفئ أبداً، إذ سرعان ما يخرج من بين الرماد جيل أشد بأساً يشعلها من جديد. وما دام هناك أم تصوغ الرجال من صبرها، وأرض طيبة تُنبت الأبطال من جراحها، فإن البندقية ستظل مرفوعة، والراية لن تُطوى، والثائر يرحل جسداً ليبقى معنى، يتوارثه الأبناء كما يتوارثون حق العودة والحرية، وهكذا يبقى الدرب مفتوحاً أمام كل من يحفظ الوصايا ويواصل المسير.

رحّب عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الرفيق مروان عبد العال بالوفد الزائر، وقدم عرضاً حول طبيعة العلاقات اللبنانية – الفلسطينية وانعكاسات المرحلة الراهنة على الوجود الفلسطيني في لبنان. وقال: أيها الأصدقاء، أيها الرفاق، أهلاً بعودتكم كل عام. إنّ وجودكم بيننا في ذكرى مجزرة مستمرة طالما القاتل طليقاً وحياً، يذكّرنا أكثر بما مرّ على شعبنا من مآسٍ، خصوصاً في غزة والمخيمات الفلسطينية في لبنان، لكنه لم يكن عاماً للهزيمة، بل للتجربة والصمود والتحدي». وخلال اللقاء، أكد عبد العال أنّ المجزرة «مستمرة طالما أيديولوجيا القتل حيّة ومرتكبها طليقاً»، مشدداً على أنّ الذاكرة الجماعية تبقى الضمانة الأولى لعدم السماح للنسيان أن يمرّ دون مساءلة. وأضاف عبد العال أنّ المخيمات الفلسطينية «تظل منابر للوعي السياسي والثقافي، حيث يتجلّى النضال اليومي كمقاومة حيّة مرتبطة بالوعي الجماعي وبالحقوق الوطنية»، معتبراً أنّ النضال اللبناني – الفلسطيني المشترك «ليس مجرد حتمية إنسانية، بل خيار استراتيجي يحمي الكيان اللبناني والهوية الفلسطينية معاً».

وختم عبد العال بالتأكيد على أنّ «إحياء ذكرى المجزرة تحذير صارخ من أنّ المجزرة تستمر إذا استمرّت أيديولوجيا القتل»، مشيداً بدور اللجنة الدولية ووفودها التي «أطلقت شرارة التضامن الأممي مع الشعب الفلسطيني»، معتبراً أنّ وجود الوفد في المخيمات «اعتراف حي بالسردية الفلسطينية وبداية فعلية لكتابة تاريخ فلسطين الحقيقي».

ونظّمت أكاديمية دار الثقافة في دمشق ندوة فكرية بعنوان "الإبادة في الفكر الصهيوني"، وذلك في إطار إحياء الذكرى الثالثة والأربعين لمجزرة صبرا وشاتيلا. شارك في الندوة الدكتور سامي الشيخ والباحث محمد العبد الله، فيما أدار الحوار الكاتب الصحفي محمد حسين، بحضور نخبة من المثقفين والأدباء والمهتمين. واستعرض الباحث محمد العبد الله سلسلة المجازر التي ارتُكبت في شهر أيلول عبر التاريخ الفلسطيني، متوقفًا عند مجزرة صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها نحو 3500 شهيد، بينهم نساء وأطفال وشيوخ. وأكد أنّ هذه الجرائم تكشف "عقلية القتل المتأصلة

فعاليات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق إحياء للذكرى الثالثة والأربعين لمجزرة صبرا وشاتيلا وأيام الشهداء الثقافية

في سياق إحياء الذكرى الثالثة والأربعين لمجزرة صبرا وشاتيلا، شارك وفد أوروبي في لقاء تضامني ثقافي أقيم في مكتبة مركز أكاديمية دار الثقافة في بيروت، بتاريخ 18 أيلول 2025، ضمن برنامج اللجنة الدولية «كي لا ننسى صبرا وشاتيلا».

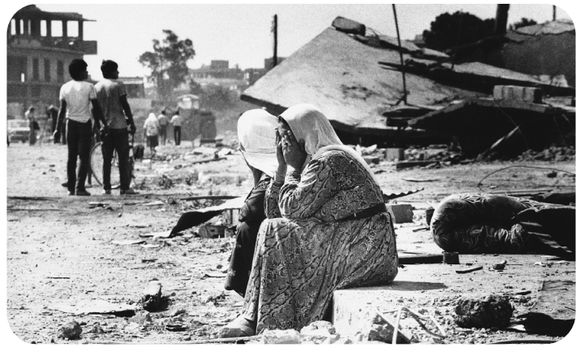

في الفكر الصهيوني"، والتي تتجلى اليوم في الحرب المفتوحة على قطاع غزة. أما الدكتور سامي الشيخ، فأوضح أنّ الجرائم الصهيونية ليست أحداثًا عابرة، بل "تجسيد عملي للنصوص التوراتية والتلمودية التي تدعو لإبادة الآخر"، مشيرًا إلى أنّ الاحتلال ارتكب مئات المجازر في فلسطين ولبنان ومصر وسوريا واليمن، بدعم غربي متواصل منذ وعد بلفور وحتى اليوم.

خلصت الندوة إلى أنّ مجازر مثل صبرا وشاتيلا وبحر البقر و غزة ما زالت شاهدة على "الهوية العنيفة للمشروع الصهيوني"، وأنّ الذاكرة الجماعية تبقى السلاح الأهم في مواجهة محاولات طمس الحقيقة أو تبرير الجرائم.

وأقامت الأكاديمية في بيروت فعاليات أيام الشهداء الثقافية (نضال القافلة المضيئة)، وقدمت تغريد عبدالعال الندوة قائلة لقد كان لهذه الأيام ذكرى أليمة لكنها تضيء هذا الحاضر القاسي بروح هؤلاء الشهداء وفكرهم وأحلامهم وكلماتهم... وجاءت عناوين النشاطات على التوالي في اليوم الأول في البحث عن مسلة أديم حيث أقيمت أمسية شعرية بحضور الشاعرة اللبنانية رنيم ضاهر وقراءات لنصوص عن الشهداء وفي ذكراهم من الحضور وأداء شعري سردي لفقرات من روايات نضال عبد العال للزميلتين سارة ياسين وميرا كريم.. وذلك في مكتبة الأكاديمية في يوم الثلاثاء 9/23 /2025 الساعة الخامسة عصرا..

وفي اليوم التالي عقدت جلسة حوارية وندوة خاصة عن القائد والروائي الشهيد نضال عبد العال فكره وحياته وقلمه ورواياته وإطلاق كتاب نضال واستثناءاته الصادر عن أكاديمية دار الثقافة ودار الفارابي وذلك بحضور. مروان عبد العال ود. حسن خليل والصحفي الزميل في جريدة الأخبار جاد حجار بالإضافة لإطلاق الفرقة الموسيقية الفنية للأكاديمية: فرقة القادمون وباقة من أغانيها الملتزمة للشهداء. وذلك في ملتقى السفير يوم الخميس 2025/09/25 الساعة السادسة مساء.

واختتمت الفعاليات بسرد آخر للذاكرة بالحديث عن فلسطين وشهدائها: سرد شخصي من القلب عن قافلة الشهداء المضيئة أصدقاء الشهداء وعائلاتهم وقراءة قصائد في ذكراهم وإطلاق كتاب: نضال واستثناءاته الصادر عن أكاديمية دار الثقافة ودار الفارابي حديثا وذلك على مسرح كنعان في نهر البارد في يوم الثلاثاء 30/09/27 الساعة السادسة مساء..

الغزّي:
الإنسان الأعلى وإرادة الحياة

لمى الشطلي ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

تخونك القيامة لتشهد حياة يملؤها انكسار الروح على أفواه الجائعين، ويُضرب عنك الحساب لتأخذ نفساً طويلاً في عدّ النكبات، تماماً كما تفعل الأحجية.
يغيب الصوت، وتنفجر الكلمات من أعين أدمتها قلة الحيلة، لا السؤال. هنا في غزة، ترى مشهداً تراجيدياً قاسياً، تتقيؤه النظرات؛ بؤساً يرسم نزوحه على جدار المفاوضات، ربما توقّع اتفاقية اليوم أو غداً، وربما ننتزع آخر شرط للحياة المصبوغة بالدماء. يسيل الوجع محموماً على سؤال واحد: ماذا سيحدث غداً؟ كيف سيكون شكل المدينة والبلاد؟ هل اكتفت منّا الأرض؟ وماذا عن خرابها؟ هل يخرج المعنى من كل ما حصل؟ وما القيمة التي يبنى عليها كلّ هذا؟

لطالما كان السؤال الأكثر إلحاحاً: ما معنى الفلسطيني بعد كل ما مر به؟ لكن الغزي أضاف بعداً آخر للمعادلة؛ كيف يكون إنسان يحمل معنى الفلسطيني ليباد على إثره بطريقة ممنهجة؟ ليس من المبالغة القول إن الغزي كان الأسبق، يستحق جوهر المعنى. وجوده في أرضه شكل معضلة سياسية استدعت تايفون العصر الجديد: «نتنياهو»، الطامح لتغيير شكل الأرض والسيطرة على المنطقة.

لقد وجد الغزّي نفسه أمام فصل جديد من الحكاية؛ الأرض تدمر، تحرق، والأجساد تتقطع، وشلالات الدماء تحبس الهواء الذي يتنفسه. معدة خاوية كما الكلمات، لكنه استطاع أن يسرق شيئاً واحداً فقط: وجوده. ففي قلب العدم، حيث يتلاشى كل معنى، تعلم من بروميثيوس حكمة السرقة؛ كما سرق هو النار ليهب الإنسانية فائدة عظيمة، سرق الغزي من آلة القتل الهمجية وجوده اليومي ليعلّم البشرية أن الأرض تستحق، وأن كل بقاع العالم لا تستطيع احتواءه كما منزله. المفارقة هنا أن الوجود نفسه يقف قبالة الموت، ولا رادع بينهما إلا الإبادة.

من هذه المعاناة ولدت إرادة حياة خاصة بالغزي وحده. ليست كما عرّفها شوبنهاور: قوة ميتافيزيقية عمياء تمثل جوهر الوجود، بل هي إرادة بالأرض، جعل منها مرآة الذات وسر مقاومتها، ومعنى الحياة. نتساءل: كيف استطاع الغزي الصمود كل هذا الوقت؟ كيف رسّخ الوجود على مدلول الهوية؟ هل أعطى الهوية الفلسطينية بعداً أعمق؟ أم أنه انتقل إلى مرحلة أخرى في وعينا الجمعي؟

الغزّي، بعد كل ما شهده من إبادة وتجويع، كان تجسيداً فعلياً لفكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه؛ من تحدّى الموت بفكرة الوجود، وانتزع الحياة من براثن الدمار، وعضّ على جوعه وعطشه ليقول: نحن هنا باقون. يؤكد بذلك إرادة القوة، ويخلق من مقاومة أساليب القتل جميعها زرادشت الغزي، الذي يبشر أبناء القضية أنفسهم قبل العالم بأن وعي إرادة القوة صار جزءاً لا يتجزأ منه، وأن المقاومة مرتبطة دائماً بثنائية الأرض والحرية.

في غزة، تصبح الأرض والهوية والوجود كياناً واحداً، لا يمكن الفصل بينها، والإنسان، في أقصى لحظاته، هو الذي يصنع معنى الحياة وسط الموت، ويعلّم البشرية كيف تكون الإرادة أقوى من كل محاولات الإبادة. لنتساءل نحن الفلسطينيين : كيف باستطاعتنا أن نحيا بلا الأرض، إن كانت هي تعبر عن ذاتنا وعن وعينا الأعلى؟

سباق - سيزيفي - على النهاية
عن العربي الذي كان يشبه وردة البراري

عبد النور الهنداوي - شاعر وأديب سوري

إنه الله العظيم الذي ساعدنا على عدم تحطيم الأزل !
ومن الضروري قتل العربي في كل مكان، وفي أي مكان، لكي يبقى الزمن؛ وبالتالي لكي تبقى البشرية على حالها ، وعدم العثور على دليل على موتها .

إنها جدلية الأقدام المغطسة بالدم التي تتعقّب العربي، ومطاردة الطين الذي يحيط به، على اعتبار أن الطين يمثّل التجليات المركزية للخليقة، حسب ما تؤكده التوراة، ولا أحد ينكر أنّ الكثير من كتاباتنا، والكثير من قادتنا وأنظمتهم الشمولية الباهتة، يمتلكون الصلاحيات الفذّة من الأفكار التي يعود بعضها، أو كلّها إلى عهد قابيل وهابيل، فيما ينتمي بعضها الآخر إلى أيام العبثية الكبرى، لأننا متهمون في كوننا أقل من أن نكون بشراً، وها هي أرواحنا وليست أقدامنا هي التي حملتنا إلى أرض الميعاد.. ما دام الله قال للحاخامات، إن الهيكل هو نهاية التيّه، وإن قتل العربي هو نهاية المفاوضات، وإن اللغة العربية الفخمة، مفخّخة، وعليها أن تظلّ هناك في أعماق الرعاة !

حاخام يهودي يقول: إن يوشع بن نون له عينان خاليتان كليّاً من البكاء، ليضيف حتى الحديث عن الملائكة يثير سخريتي، ولو حلّ الملائكة بيننا لقضى معظمهم في الأشياء التي تتحدّث بها قاذفات القنابل، نحن أبناء الازدواجية الهائلة، رِجل داخل هيكل سليمان، ورِجل في البيت الأبيض الذي هو الكنيس الأبيض؛ وها هم العرب بدؤوا يستعملون المزارع اليهودية - كقيلولة - عائمة .

العربي يقول: من المفترض أن يكون لي أكثر من وجه، حتى يبقى الزمن بعيداً عن ثيابي، أنا الآن أبحث عن مكان ينام فيه جسدي، ولا بأس أن يكون المكان مهجوراً، وشديد الحيّرة.. وإنه لشيء رائع أن تكون المنطقة العازلة بيني وبين المكان مسافة ملأى بالسكاكين.

يقول اليهودي: أنا لا أستسيغ الآخر الذي يتحوّل إلى صندوق للنفايات، إنني اليهودي الذي سيجعل العالم كلّه غرفة دافئة، لأن العالم بحاجة إلى إعادة بناء كي لا يؤدّي اهتزاز العرب إلى فضيحة، ولا بدّ من الحرب الأبدية ضدّهم، حتى لو اقتضى الأمر إبادتهم بالقنبلة النووية !

صديقنا العربي يرد: كنت فيما مضى أشبه وردة البراري، وكنت أستعمل أصابعي جيداً وهي تتجوّل في الوعي، ولم أكن أصدق أن أحداً يشبهني، لأنني كنت أشبه الزلزال، وكنت ازرع القوّة الغامضة في رأسي، رغم أن « الكثيرين « كتبوا عن شفافيتي، ولا أدري ماذا يعنون بكلمة شفافية، إذ كنت شديد الثقة بالتاريخ الغابر، وها أنا الآن شديد الاضطراب لأنني لا أعرف الطريقة التي نضع فيها رؤوسنا على أكتافنا؛ لكن قرع الطبول ظلّ في رأسي، وكان أشبه ما يكون بالنبوءة !

يهودي آخر يقول: لماذا يُفترض بالعالم كتابة التاريخ كما تكتب القردة، يجب أن يكون التاريخ - قويّ مثلنا - نحن الذين تركنا دموعنا على الأرصفة، وانتظرنا الكميات الهائلة من الجمر التي أعادت لنا صياغة أرواحنا، فلتحترق دموع العالم، لتغدو أكثر نقاء بحثاً عن الأشباح؛ اليهودي الآن صار لا نهائياً، وعلى أكتافنا أن ترتفع أكثر لكي يظلّ العالم كلّه فارغاً، لأننا أمّام أمّة تتقاطع كل لحظاتها مع الكارثة !

إن وقتنا اليهودي، ليس وقتاً للصراخ، ولا للمواقف الملتبسة أو المائعة في التعاطي مع العربي الذي يرسم خريطة للبلاء، يجب أن نحذّر انفسنا من الخطيئة النهائية والأخيرة كأمّة أصبحت أقل بكثير من الفتات الإستراتيجي .

صحيح أننا «العرب» لا نستطيع أن نحرّك ساكناً، وإننا نتعامل مع الأعداء بطريقة ذليلة، وإننا ما زلنا نبحث عن طريقة لافتة للتعاطي مع العالم، والشعور الضاغط أنّ هذا العالم قد انفلت من أيدينا وها هو الشيطان يجلس القرفصاء على الطاولة، وأصابعه تسوّر الهولوكست، وإن بعض الحكام العرب يبحثون

عن الهروب الخطأ، حتى ولو إلى خطأ آخر أشدّ هولاً من تدمير ما تبقّى لدينا من العواء !

ماذا يعني وجود العربي الذي أتقن تحطيم الزمن، ومزج الفلسفة بالصقيع اليهودي، وهو لا يستطيع أن يفرّق بين ظهر الذباب وظهر الخيال؟

بالتأكيد ليس لدى العربي نصوص مقدسة تشبه الطيف، لكن من المفترض أن يستعمل دمه الساخن الذي يعني الأمل، أو يبحث عن مكان فيه كمية وافرة من الحجارة الجائعة .

ما يعنيه اليهودي، أن مهنتنا جميلة وشاقة. وهي المثابرة على صناعة الرجاء.

ألا يكفي أننا انفصلنا عن جاذبية العالم، ودخلنا في الهزائم المطلقة، وبالكاد تكون لنا وجوه، وبالكاد تكون لنا أرواح، مع أننا ولدنا في أماكن ممتلئة بالأطلال، والآن نمتلك مؤسسات عمودية لتنظيم وإدارة مواكب الموتى .

نعم حكام عرب من المتاحف، وآخرون من الكهوف، وها نحن نكفكف دموعنا التي لم تجد مكاناً حتى على وجوهنا !

جثة وراء جثة، والرؤيا لم تكتمل، ويهوذا يعربد باحثاً عن اللحظة التي تولد فيها الخليقة الأخرى !

الآن بإمكاننا أن نكون ذلك النوع الجديد من اليهود، والمعجزة الإلهية أننا نندفع في كل الاتجاهات، لأن أبواب الكراهية مفتوحة في وجوه الآخرين، وسنطفئ كل الأنوار التي يمكن أن تكون بقاياها في أرواحهم / أي أرواحنا .

الحاكم العربي، مصمّم على قتل التاريخ الذي فينا، فيما لا أثر لتلك البقة المثقّفة التي تعتبر أن ثمّة تقنية معينة ومختلفة تماماً، لإعادة تصنيع العربي الذي مات في البعيد، كي تغطيّه الشمس القادمة من البعيد !

إنهم ينتظروننا على بوابة العالم الآخر، لاعتقادهم أن الفلسفة العربية قد سقطت بين دفتي «التلمود» وأن التعاليم الإلهية قد تخطّت خيالات العالم، كي لا يتم استيعاب الفضيحة !

غبار، وضياع، ودموع، والهيكل القادم أصابه الجنون، لكي يغطّي إستراتيجيته المجنونة، فيما العربي، يولد فجأة في الفراغ، لكنّه يذهب فجأة إلى حيث لا يدري، وعلينا أن نقلّد الذي يذهب إلى حيث لا يدري !

بماذا نحاور اليهودي الذي زرع كل هذه الدماء في نصوص التوراة؟ وأرغمها على انتعال الأحذية الثقيلة، وربط كل هذا بعربة النار، وإن الحوار مع أمريكا كما اليهود يكون بقاذفات القنابل؛ والعرب الأقحاح يتحاورون بالأسنان، أو بمنطق الحثالة، أقصد حثالة القومية العربية، وحثالة الثقافة العربية، مع سبق سيزيفي على النهاية، كوننا أبناء الأيديولوجيا العارية التي تدعو إلى متلازمة القتيل العربي، يقتل القتيل العربي، وإن يوم القيامة « سيتأجّل « قليلاً لإعادة ترتيب الأمة العربية الخالدة مع ملاحظة أننا ورثة الدم !

يا لهذه الأمة التي توقفت عند جاذبية البكاء، ووضعت
أفواهنا جانباً لإطلاق الزغاريد، ونطلب من أمهاتنا
واخواتنا ارتداء ثياب الزفاف، كي لا تظل يد الحاكم العربي ترتجف من قوّة وعبقرية الخطيئة التي نجحت في تخريب البقية الباقية من هذه الأمة، لإضفاء وجه إنساني على هذا الخراب !

لقد أصبح الطحين العربي يقول الشعر مع إشارة ساخرة ومرّة إلى اللعنة اللغوية والفلسفية لدى مثقفي هذه الأمة، كي نقدّم الخبز مطرّزاً بالقبلات لحكام كلّهم على الأقل جاؤوا من التوراة، ونحن باقون في الثلاجة إلى حين إعادة تشكيل هؤلاء الحكام في مستودع النيران، وتسليط الأضواء على أحاديثهم البعيدة المدى، وكيفية الاستمتاع بانحناءتهم البائسة، وقد ذهب كل شيء في سبيل البحث عن الأمكنة التي خزّقت أرواحهم .

يبدو أن قيمة الانسان العربي، «أصبحت « قيمة بلهاء، وأن الجاهلية العربية ارتبطت مباشرة بامرئ القيس والشنفرى، وطرفة بن العبد، وسقط العربي في دهشته ولم ولن يرتفع في دهشته، إلى أن اكتشف ذلك البكاء السخيّ حين «غادرنا» الأندلس، وأن الدهشة لا تذرف الدموع أمام الذكريات التي تشبه الذكريات !

وبعيداً عن التخمين في صحة هذا الكلام أو عدمه، يقال: إن ثمّة فضائح تحت جلود الحكام العرب لن يُكشف عنها إلّا إذا تحطمت العبقرية الملازمة لهذه الفضائح، ولابدّ عندها من استعمال التعاويذ لردّ كلّ هذه اللعنات التي ستأتيهم من عند الله !

الحاكم العربي
حجر
في جدار الهيكل
ويضحك
كما يضحك الدم !

(سفينة نون)

رواية جديدة للأديبة السورية ريم حبيب

أصدرت دار التكوين للطباعة والنشر في دمشق والشارقة مؤخراً رواية جديدة للأديبة السورية ريم حبيب، تحمل عنوان (سفينة نون). تقع الرواية في 175 صفحة من القطع المتوسط.

حيث يبدو عنوان الرواية نفسه مفتاحاً للغة إلماحية، وإشارة إلى التوغل في مسارات شخصيات نسائية، تجمعهن ظروفهن وسط مجتمع يسلبهن صوتهن ودورهن، فيبتدعن حلولاً لولوج رحلة متفردة، أو متفلتة من سطوة العادات والتقاليد، فتسلط الكاتبة الضوء على الصراع الداخلي للمرأة في مواجهة الحب، والحرية، والخيبة. فتصور الكاتبة بطلاتها اللواتي اجتمعن في عيادة مريم الغريب للأمراض النفسية، وهن يعكسن من خلال أوجاعهن، موقفاً مقصوداً يعكس رفضهن الانصياع، وبعد رحلة علاج طويلة يتحولن إلى صديقات حتى يتماهين تماماً وكأنهن امرأة واحدة بوجوه مختلفة، يحاولن بناء ذاتهن خارج سياقات الاستغلال العاطفي أو الجنسي والسلطة الذكورية، بحثاً عن وجودهن الإنساني من خلال الحب، أوالعمل، أوالسفر. لكن غالباً ماتحول البحث عن طوق النجاة إلى انهيار آخر، لأن المجتمعات العربية تتماثل في نظرتها للمرأة ثقافياً واجتماعياً ودينياً، لذا فواقع المرأة لايختلف كثيراً رغم التباينات الجغرافية والأقتصادية بين بلد وآخر. وهذا التيه والتكرار والدوران في دائرة مفرغة لا يقتصر على المكان، فالزمن أيضاً بالنسبة للمرأة لا يتحرك ولا يختلف، وهو مؤجل دائماً لصالح العبودية الذكورية دون أن يتحقق لها الخلاص. وهذا ماتشير له الكاتبة على لسان إحدى شخصياتها وهي تسأل:

أين أنا الآن؟

تُشير ساعة المُنبه إلى الثالثة فجراً من مطلع العِقد الثاني من الألفية الثالثة بعد الطوفان، حيث الأبواب مازالت موصدة، والآفاق مسدودة. أتكئ على الأريكة، وكأني في عرض الشارع، أرى أرواحاً تئن، ونساءً هاربة من سُبات ضارب بجذوره من زمن الوأد الأول إلى زمن وأد لا ينتهي، فيتسع الموت ويستحكِم الرسن. فيما نحن النساء نتخطف الحياة من أقدار متسخة، ونتبارى في قَنص لحظة وجود شاردة، فنتخبط ونهوي، نركض ونهوي، تنبت لنا أجنحة، فنُقصّ أجنحَتنا ونهوي، والكل مهووسٌ بجمع أجنحتنا المكسورة لأنها تُباع وتُشترى.

وتأتي هذه الرواية لتضاف إلى رصيد الكاتبة الروائي الذي يضم خمس روايات سابقة هي: (أكثر من امرأة).(سفاح الذكرى)، (كيف يموت الأقحوان)، (احتباس حراري)، (المخدع). تعرف ريم حبيب بأسلوبها السردي العميق، كما أن لها محاولات في مجال القصة القصيرة نشر منها عدة قصص في مجلة الآداب اللبنانية .

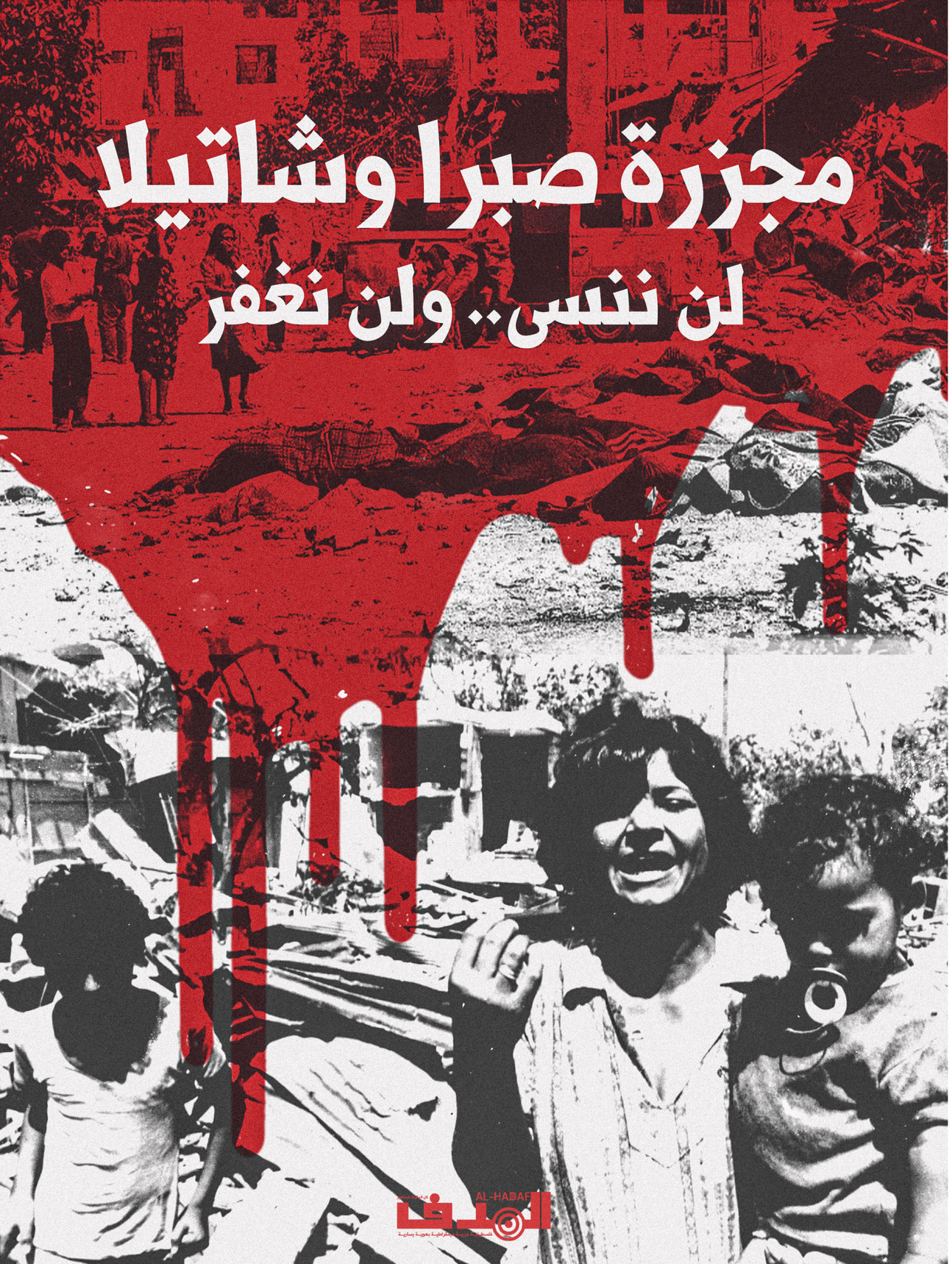

كَم ظَلَّ واقِفًا!

مروان عبد العال

تلك الروح الفلسطينية القوية، انفجرت في السابع من أكتوبر، ومع عبور السنة الثانية التي لا تُقاس بالساعات ولا الأيام، بل بالمواقف وبالصمود والتحدي والتمرد والمقاومة والتضحيات العظيمة، زمن يُكتب بالدم أكثر مما يُكتب بالحبر، زمن يُستنزف فيه التراب والحجر والبشر والهواء والبحر، في مواجهة الدبابات والجرافات والطائرات الحديثة، وزمن تكبر فيه الطفولة ألف مرة وهي تعبر الحواجز العسكرية إلى المدرسة، حاملة في قلبها حلمًا لا يعرف الهزيمة.

في غزة، لا نسأل: كم عاش الإنسان؟ بل: كم ظل واقفًا؟ كم ظل شامخًا أمام الرصاص، أمام الجوع، أمام الحصار، أمام النسيان، أمام التوحش، رافعًا رايته، حارسًا لكرامته وكرامة وطنه، زمننا يُقاس بقدر ما يرعب العدو، وبقدر ما تبقى الأرض حية في قلوبنا، وبقدر ما يضيء الشهداء الطريق لكل من يرفض الاستسلام.

إنها شرعية التضحية التي اختصرت الحياة في لحظة من الموت، وصنعت الخلود في لحظة الشهادة، كل دمعة وُسِجّت في الأرض، كل حجر أُلقي في وجه الجرافة، كل صرخة حرية في وجه المستوطن، وكل نبضة قلب فلسطيني هي شهادة على أن فلسطين لا تموت، وأن شعبها لا يسقط.

السابع من أكتوبر... أعاد الصراع إلى أصله؛ أعاد "لإسرائيل" سؤال وجودها، وردّها كان محاولة القتل واقتلاع الشعب من أرضه، محاولة استئصال فلسطين، وإلى شعبنا عاد سؤال الحق: من نَحن؟ وما حقّنا في هذه الأرض؟ نجح شعبنا في تثبيت سؤال الحق وأجاب عليه بالموقف، بالتجذر في الأرض، بالموت لا الركوع، بشرعية البقاء وبحق العودة.

السابع من أكتوبر أسقط صورة الكيان الصهيوني أمام شعوب العالم؛ من صورة ذكية وحضارية ومبدعة وديمقراطية ومتطورة، إلى صورة كيان متوحش، هذه الكيان ضد القانون والإنسانية والأخلاق بل كيان يخلق كل يوم شروط نفيه ويندفع نحو الهاوية، تدخلت القوى الاستعمارية العظمى؛ قُدمت خططٌ ودسائس، ومنها لتجديد نفوذها الاستعماري، قدمت العتاد والمال وأدوات وفكر وسياسة الابادة،

هناك من يريد وضع غزة تحت وصاية أو انتداب جديد، بينما على مدى عامين من القتال لم ترفع غزة الراية البيضاء، وظلت بقعة صغيرة تقف أمام أعتى جيوش العالم وتُقاوم إخضاعها ولم تستسلم.

إنها شرعية الضمير: أسطول الحرية وقوافل الصمود انتصار لفلسطين، وكل متضامن تعرض للخطر هو فلسطين أيضًا، مهما كانت جنسيته أو دينه أو فكره، وتتقاطع التجربة الفلسطينية مع تجارب الشعوب والضمائر الحرة في العالم، كما موقف الفيلسوف جان بول سارتر مثال حي على معنى الوقوف، حين وقف إلى جانب ثورة الطلاب في فرنسا عام 1968، طالب كثيرون باعتقاله، لكن الجنرال شارل ديغول رفض قائلاً: «سارتر هو فرنسا»، موقف واحد يلخص توازنًا دقيقًا بين الدولة والحريات، بين الوعي والمعارضة، بين الشرعية السياسية وشرعية الضمير، وشعار الطلبة آنذاك: «كن واقعياً واطلب المستحيل»، لم يكن مجرد رغبة عابرة بل تجسيدًا لحقيقة التوق الإنساني إلى الحرية والعدالة.

إنها شرعية البطولة، إنها حكاية أسطورة الشهداء في وعي معنى التضحية، تمامًا كما في فلسطين، لا تكمن البطولة في طول الحياة، بل في مدى قدرة الإنسان على الوقوف في مواجهة الظلم، البطولة، إنها رواية الضحية الإيجابية في مقاومة كل ما يزيف الرواية ويحرف الصراع ويُسقط الحقائق، **إنها شرعية روح التحرر الفلسطيني من جيل إلى جيل، الحياة الحقيقية هي أن تعيش واقفًا، رغم كل شيء، حاملاً قيمك، ومضيئًا الطريق لمن يأتي بعدك.**